أبو فراس الحمداني

هو الشّاعر والأمير الحمداني، أبو فراس ولد بالمُوصل عام 932م وقتل في واقعة جرت بينه وبين موالي أسرته سنة 968م

أبو فراس الحمداني

هو الشّاعر والأمير الحمداني، أبو فراس. ولد بالمُوصل حيث كانت أسرته. ولم يُكتَب له أن يعيش في كنف والده، فقد قُتِلَ الأب يوم كان الصبي في الثانية أو الثالثة من عمره. قتله ناصر الدولة ابن أخيه لأنه زاحمه على ولاية الموصل.

نشأ أبو فراس في رعاية ابن عمه سيف الدّولة الذي ضمّه إلى عائلته وحمله معه إلى بلاطه في حلب، حيث اتّصل بالعلماء والأدباء فأخذ عنهم. تدرّب على الفروسية والقتال، فرافق ابن عمه في غزواته، وحارب الروم، وأخضع القبائل الثّائرة، ممّا جعل سيف الدولة يثق به فيُوليه إمارة منبج وهو دون العشرين من سنيه. وكانت هذه الإمارة أخطر ثغر من ثغور الدولة الحمدانية وأسهل طريق ينفذ منه البيزنطيّون إلى بلاد الشام، فسهر عليها يدفع عنها أطماع الروم، ويردّ عنها غارات القبائل التي ثارت على الحمدانيين بفعل دعاية القرامطة.

ولكن النّصر الذي حالف أبا فراس في حروبه خانه ذات يومٍ فوقع أسيراً بين أيدي الرّوم الذين ساقوه إلى خرشنة ثم إلى القسطنطينية، وهناك طال أسره.

وكان يأمل أن يسرع ابن عمه إلى افتدائه. ولكن أمير حلب أبطأ في ذلك، فضاق صدر الشّاعر ونظم في أسره أروع أشعاره التي عُرِفَت "بالرّوميات" وفيها يشكو من إبطاء سيف الدولة في افتدائه، ويتأمّل من انصرافه عنه، ويبثّ حنينه إلى أمه العجوز وأهله وأصدقائه، وإلى منبج ملاعب صباه.

شعره من النوع الوجداني الرّقيق الذي تجاوز فيه تجربته الشّخصية الأليمة، كفارسٍ عربيٍّ، فذاق في أسره مرارة السّجن، فأرسل صرخةً ضمّنها أعمق المشاعر الإنسانية وأنبلها مَقصدًا وأقدرها على استثارة النّفس في توقها إلى الحرية، فاستحقّ معها مرتبة الشاعر الخالد، إذ لا تزال الأجيال العربيّة المتعاقبة -وستبقى- مرددةً رائعته الغنائية الوجدانية

أقولُ وقد ناحت بقربي حمامةٌ أيا جارتاه هل تشعرين بحالي

وورد في "وفيات الأعيان" لابن خلكان هو أبو فراس الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني ابن عم ناصر الدولة وسيف الدولة ابني حمدان-وسيأتي تتمة نسبه عند ذكرهما إن شاء الله تعالى-؛ قال الثعالبي في وصفه كان فرد دهره، وشمس عصره، أدباً وفضلاً، وكرماً ومجداً، وبلاغة وبراعة، وفروسية وشجاعة، وشعره مشهور سائر، بين الحسن والجودة والسهولة والجزالة والعذوبة والفخامة والحلاوة، ومعه رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك، ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلا في شعر عبد الله بن المعتز. وأبو فراس يعد اشعر منه عند أهل الصنعة ونقدة الكلام. وكان الصاحب بن عباد يقول بدئ الشعر بملك وختم بملك، يعني امرأ القيس وأبا فراس. وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته ولا يجترئ على مجاراته، وإنما لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيباً له وإجلالاً، لا إغفالاً وإخلالاً. وكان سيف الدولة يعجب جداً بمحاسن أبي فراس ويميزه بالإكرام على سائر قومه ويستصحبه في غزواته وستخلفه في أعماله.

وكانت الروم قد أسرته في بعض وقائعها، وهو جريح قد أصابه سهم بقي نصله في فخذه، ونقلته إلى خرشنة، ثم منها قسطنطينية، وذلك في سنة ثمان. وأربعين وثلثمائة، وفداه سيف الدولة في سنة خمس وخمسين.

قلت هكذا قال أبو الحسن علي بن الزراد الديلمي، وقد نسبوه في ذلك إلى الغلط، وقالوا أسر أبو فراس مرتين، فالمرة الأولى بمغارة الكحل في سنة ثمان وأربعين وثلثمائة، وما تعدوا به خرشنة، وهي قلعة ببلاد الروم والفرات يجري من تحتها، وفيها يقال إنه ركب فرسه وركضه برجله، فأهوى به من أعلى الحصن إلى الفرات، والله أعلم، والمرة الثانية أسره الروم على منبج في شوال سنة إحدى وخمسين، وحملوه إلى قسطنطينية. وأقام في الأسر أربع سنين، وله في السر أشعار كثيرة مثبتة في ديوانه. وكانت مدينة منبج إقطاعاً له، ومن شعره

قد كنت عدتي التي أسطو بها ويدي إذا اشتد الزمان وساعدي
فرميت منك بضد ما أملته والمرء يشرق بالزلال البارد
فصبرت كالولد التقي لبره أغضى على ألم لضرب الوالد

وله أيضاً

أساء فزادته الإساءة حظوة حبيب على ما كان منه حبيب
يعد علي الواشيان ذنوبه ومن أين للوجه الجميل ذنوب

وله أيضاً

سكرت من لحظه لا من مدامته ومال بالنوم عن عيني تمايله
فما السلاف دهتني بل سوالفه ولا الشمول ازدهتني بل شمائله
ألوى بعزمي أصداغ لوين له وغال قلبي بما تحوي غلائله

ومحاسن شعره كثيرة.

وقتل في واقعة جرت بينه وبين موالي أسرته في سنة سبع وخمسين وثلثمائة.

ورأيت في ديوانه أنه لم احضرته الوفاة كان ينشد مخاطباً ابنته

أبنيتي لا تجزعي كل الأنام إلى ذهاب
نوحي علي بحسرة من خلف سترك والحجاب
قولي إذا كلمتني فعييت عن رد الجواب
زين الشباب ابو فرا س لم يمتع بالشباب

وهذا يدل على أنه لم يقتل، أو يكون قد جرح وتأخر هوته، ثم مات من الجراحةوقيل إن هذا الشعر قاله وهو أسير في أيدي الروم، وكان قد جرح ثم أسر ثم خلص من الأسر، فداه سيف الدولة مع من فودي من أسرى المسلمين.

قال ابن خالويه لما مات سيف الدولة عزم أبو فراس على التغلب على حمص، فاتصل خبره بأبي المعالي بن سيف الدولة وغلام أبيه قرغويه، فأنفذ إليه من قاتله، فأخذ وقد ضرب ضربات فمات في الطريق.

وقرأت في بعض التعاليق أن أبا فراس قتل يوم الأربعاء لثمان خلون من شهر ربيع الآخر سنة سبع وخمسين وثلثمائة، في ضيعة تعرف بصدد.

وذكر ثابت بن سنان الصابئ في تاريخه، قال في يوم السبت لليلتين خلتا من جمادى الأولى من سنة سبع وخمسين وثلثمائة، جرت حرب بين أبي فراس، وكان مقيماً بحمص، وبين أبي المعالي بن سيف الدولة، واستظهر عليه أبو المعالي وقتله في الحرب وأخذ رأسه وبقيت جثته مطروحة في البرية إلى أن جاءه بعض الأعراب فكفنه ودفنه.

قال غيره وكان أبو فراس خال أبي المعالي، وقلعت أمه سخينة عينها لما بلغها وفاته، وقيل إنها لطمت وجهها فقلعت عينها. وقيل لما قتله قرغويه لم يعلم به أبو المعالي، فما بلغه الخبر شق عليه.

ويقال إن مولده كان في سنة عشرين وثلثمائة، والله أعلم. وقيل سنة إحدى وعشرين.

وقتل أبوه سعيد في رجب سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة، قتله ابن أخيه ناصر الدولة بالموصل، عصر مذاكيره حتى مات لقصة يطول شرحها، وحاصلها أنه شرع في ضمان الموصل وديار ربيعة من جهة الراضي بالله، ففعل ذلك سراً، ومضى إليها في خمسين غلاماً، فقبض ناصر الدولة

عليه حين وصل إليها ثم قتله، فأنكر ذلك الراضي حين بلغه، رحمهم الله تعالى.

وحكى ابن خالويه أيضاً قال كتب أبو فراس إلى سيف الدولة وقد شخص من حضرته إلى منزله بمنبج كتاباً صدره كتابي أطال الله بقاء مولانا من المنزل وقد وردته ورود السالم الغانم مثقل الظهر والظهر وفراً وشكراً، فاستحسن سيف الدولة بلاغته ووصف براعته، وبلغ ذلك أبا فراس فكتب إليه

هل للفصاحة والسما حة والعلا عني محيد
إذ أنت سيدي الذي ربيتني وأبي سعيد
في كل يوم أستفي د من العلاء وأستزيد
ويزيد في إذا رأي تك للندى خلق جديد

وكان سيف الدولة قلما ينشط لمجلس الأنس لاشتغاله عنه بتدبير الجيوش وملابسة الخطوب وممارسة الحروب، فوافت حضرته إحدى المحسنات من قيان بغداد، فتاقت نفس أبي فراس إلى سماعها ولم ير أن يبدأ باستدعائها قبل سيف الدولة، فكتب إليه يستحثه على استحضارها

محلك الجوزاء أو أرفع وصدرك الدهناء أو أوسع
وقلبك الرحب الذي لم يزل للجد والهزل به موضع
رفه بقرع العود سيفاً غدا قرع العوالي جل ما يسمع

فبلغت هذه الأبيات الوزير المهلبي فأمر القيان والقوالين بتحفظها وتلحينها، وصار لا يشرب إلا عليها.

وأهدى الناس إلى سيف الدولة فأكثروا، فكتب إليه أبو فراس

نفسي فداؤك قد بعث ت بعهدتي بيد الرسول
أهديت نفسي إنما يه دى الجليل إلى الجليل
وجعلت ما ملكت يدي صلة المبشر بالقبول

وعزم سيف الدولة على غزو واستخلاف أبي فراس على الشام فكتب إليه قصيدة منها

قالوا المسير فهز الرمح عاملـه وارتاح في جفنه الصمصامة الخذم
حقاً لقد ساءني أمر ذكرت له لولا فراقك لم يوجد له ألم
لا تشغلن بأمر الشام تحرسه إن الشآم على من حله حرم
وإن للثغر سوراً من مهابته صخوره من أعادي أهله القمم
لا يحرمني سيف الدين صحبته فهي الحياة التي تحيا بها النسم
وما اعترضت عليه في أوامره لكن سألت ومن عاداته نعم

وكتب إليه يعزيه

لابد من فقد ومن فاقد هيهات ما في الناس من خالد
كن المعزى لا المعزى به إن كان لابد من الواحد

وله أيضاً

المرء نصب مصايب ما تنقضي حتى يوارى جسمه في رمسه
فمؤجل يلقى الردى في أهلـه ومعجل يلقى الردى في نفسه

وله أيضاً وقد سمع حمامة تنوح بقربه على شجرة عالية وهو في الأسر فقال

أقول وقد ناحت بقربي حمـامة أيا جارتا هل بات حالك حالـي
معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى ولا خطرت منك الهموم ببـال
أتحمل محزون الـفـؤاد قـوادم على غصن نائي المسافة عالـي
أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننـا تعالي أقاسمك الهموم تعـالـي
تعالي تري روحا لدي ضـعيفة تردد في جسم يعـذب بـالـي
أيضحك مأسور وتبكي طـلـيقة ويسكت محزون ويندب سالـي
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة ولكن دمعي في الحوادث غالي

وخرشنة-بفتح ا لخاء المعجمة وسكون الراء وفتح الشين المثلثة والنون-وهي بلدة بالشام على الساحل، وهي للروم.

وقسطنطينية-بضم القاف وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وسكون النون وكسر الطاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون- من أعظم مدائن الروم بناها قسطنطين، وهو أول من تنصر من ملوك الروم.

الديوان

صاحبٌ لمَّا أساءَ

صاحبٌ لمَّا أساءَ

أتبعَ الذَّلوَ الرشاءَ

ربَّ داءٍ لا أرى منـ

ـهُ سوى الصبر شفاءَ

أحمدُ اللهَ على ما

سرَّ منْ أمري وساءَ

كانَ قضيباً لهُ انثناءُ

كانَ قضيباً لهُ انثناءُ

و كانَ بدراً لهُ ضياءُ

فَزَادَهُ رَبُّهُ عِذاراً

تَمّ بِهِ الحُسْنُ وَالبَهَاءُ

كذلكَ اللهُ كلّ َ وقتٍ

يزيدُ في الخلق ما يشاءُ

أيَا سَيّداً عَمّني جُودُهُ،

أيَا سَيّداً عَمّني جُودُهُ،

بِفَضْلِكَ نِلْتُ السَّنَى وَالسَّنَاءَ

و كمْ قد أتيتكَ من ليلةٍ

فنلتُ الغنى وسمعتُ الغناءَ

أقنَاعَةً ، مِنْ بَعدِ طُول جَفاءِ،

أقنَاعَةً ، مِنْ بَعدِ طُول جَفاءِ،

بدنوِّ طيفٍ منْ حبيبِ ناءِ

بأبي وأمي شادنٌ قلنا لهُ

نَفْدِيكَ بالأمّاتِ وَالآباءِ

رشأ إذا لحظَ العفيفَ بنظرةٍ

كانتْ لهُ سبباً إلى الفحشاءِ

وَجَنَاتُهُ تَجْني عَلى عُشّاقِهِ

ببديع ما فيها من اللألآءِ

بيضٌ عَلَتها حُمْرَةٌ فَتَوَرّدَتْ

مثلَ المدامِ خلطتها بالماءِ

فكأنما برزتْ لنا بغلالةٍ

بَيْضَاءَ تَحْتَ غِلالةٍ حَمْرَاءِ

كيفَ اتقاءُ لحاظهِ ؛ وعيوننا

طُرُقٌ لأسْهُمِهَا إلى الأحْشاءِ

صَبَغَ الحَيَا خَدّيْهِ لَوْنَ مدامعي

فكأنهُ يبكي بمثل بكائي

كيفَ اتقاءُ جآذرٍ يرمِيننا

بظُبى الصّوَارمِ من عيون ظِباءِ

يا ربِّ تلكَ المقلةِ النجلاءِ ،

حاشاكَ ممَّا ضمنتْ أحشائي

جازيتني بعداً بقربي في الهوى

وَمَنَحْتَني غَدْراً بِحُسْنِ وَفائي

جَادتْ عِرَاصكِ يا شآمُ سَحَابَةٌ

عَرّاضةٌ مِنْ أصْدَق الأنْواءِ

بَلَدُ المَجَانَةِ وَالخَلاعَةِ وَالصِّبَا

وَمَحَلُّ كُلِّ فُتُوّةٍ وَفَتَاءِ

أنْوَاعُ زَهْرٍ وَالتِفَافُ حَدَائِق

وَصَفَاءُ مَاءٍ وَاعْتِدالُ هَوَاءِ

وَخَرَائِدٌ مِثْلُ الدُّمَى يَسْقِينَنَا

كَأسَيْنِ مِنْ لَحْظٍ وَمن صَهْبَاءِ

وَإذا أدَرْنَ على النَّدامَى كَأسَهَا

غَنّيْنَنَا شِعْرَ ابن أوْس الطّائي

فارقتُ ، حينَ شخصتُ عنها ، لذتي

وتركتُ أحوالَ السرور ورائي

و نزلتُ منْ بلدِ " الجزيرةِ " منزلاً

خلواً من الخلطاءِ والندماءِ

فَيُمِرُّ عِنْدي كُلُّ طَعْمٍ طيّبٍ

من ريْقِهَا وَيَضِيقُ كُلُّ فَضَاءِ

ألشّامُ لا بَلَدُ الجَزيرةِ لَذّتي

و " قويق " لا ماءُ " الفراتِ " منائي

وَأبيتُ مُرْتَهَنَ الفُؤادِ بمَنبجَ السّـ

ـوداءِ لا " بالرقةِ " البيضاءِ

منْ مبلغُ الندماءِ أني بعدهمْ

أُمْسِي نَديمَ كوَاكِبِ الجَوْزَاءِ

ولَقد رَعَيْتُ فليتَ شِعري من رَعى

منكمْ على بعدِ الديار إخائي

فحمَ الغبيُّ وقلتُ غيرَ ملجلجِ

إنّي لَمُشْتَاقٌ إلى العَلْيَاءِ

وَصِناعَتي ضَرْبُ السّيُوفِ وَإنّني

مُتَعَرّضٌ في الشّعْرِ بالشّعَرَاءِ

و اللهُ يجمعنا بعزٍ دائمٍ

و سلامةٍ موصولةٍ ببقاءِ

أما يردعُ الموتُ أهلَ النهى

أما يردعُ الموتُ أهلَ النهى

وَيَمْنَعُ عَنْ غَيّهِ مَنْ غَوَى

أمَا عَالِمٌ، عَارفٌ بالزّمان

يروحُ ويغدو قصيرَ الخطا

فَيَا لاهِياً، آمِناً، وَالحِمَامُ

إليهِ سريعٌ ، قريبُ المدى

يُسَرّ بِشَيْءٍ كَأنْ قَدْ مَضَى ،

و يأمنُ شيئاً كأنْ قد أتى

إذا مَا مَرَرْتَ بأهْلِ القُبُورِ

تيقنتَ أنكَ منهمْ غدا

و أنَّ العزيزَ ، بها ، والذليلَ

سَوَاءٌ إذا أُسْلِمَا لِلْبلَى

غَرِيبَيْنِ، مَا لَهُمَا مُؤنِسٌ،

وَحِيدَيْنِ، تَحْتَ طِبَاقِ الثرَى

فلا أملٌ غيرُ عفوِ الإلهِ

وَلا عَمَلٌ غَيْرُ مَا قَدْ مَضَى

فَإنْ كَانَ خَيْراً فَخَيْراً تَنَالُ؛

و إنْ كانَ شراً فشراً يرى

كأنما تساقطُ الثلج

كأنما تساقطُ الثلج

ـج بعَيْنَيْ مَنْ رَأى

أوراقُ وردٍ أبضٍ

وَالنّاسُ في شَاذكُلى

أتَزْعُمُ أنّكَ خِدْنُ الوَفاءِ

أتَزْعُمُ أنّكَ خِدْنُ الوَفَاءِ

وَقد حجبَ التُّرْبُ من قد حَجَبْ

فإنْ كنتَ تصدقُ فيما تقولُ

فمتُ قبلَ موتكَ معْ منْ تحبْ

وَإلاّ فَقَدْ صَدَقَ القَائِلُونَ

ما بينَ حيٍّ وميتٍ نسبْ

عقيلتيَ استُلبتْ منْ يدي

و لمَّا أبعها ولمَّا أهبْ

وَكُنْتُ أقِيكِ، إلى أنْ رَمَتْكِ

يَدُ الدّهرِ مِن حَيثُ لم أحتَسِبْ

فَمَا نَفَعَتْني ثُقَاتي عَلَيْكِ

وَلا صرفَتْ عَنكِ صرْفَ النُّوَبْ

فلا سلمتْ مقلةٌ لمْ تسحَّ

وَلا بَقِيَتْ لِمّةٌ لَمْ تَشِبْ

يعزُّونَ عنكِ وأينَ العزاءُ

و لكنها سنةٌ تُستحبْ

وَلَوْ رُدّ بِالرّزْءِ مَا تَستَحِقّ

لَمَا كَانَ لي في حَيَاةٍ أرَبْ

أسَيْفُ الهُدَى ، وَقريعَ العَرَبْ

أسَيْفُ الهُدَى ، وَقَريعَ العَرَبْ

علامَ الجفاءُ وفيمَ الغضبْ

وَمَا بَالُ كُثْبِكَ قد أصْبَحَتْ

تنكبني معَ هذي النكبْ

وَأنْتَ الكَريمُ، وَأنْتَ الحَلِيمُ،

وأنْتَ العَطُوفُ، وأنْتَ الحَدِبْ

و مازلتَ تسبقني بالجميلِ

و تنزلني بالجنابِ الخصبْ

وَتَدْفَعُ عَن حَوْزَتيّ الخُطُوبَ،

وَتَكْشِفُ عَنْ نَاظِرَيّ الكُرَبْ

و إنكَ للجبلُ المشمخـ

ـرّ لي بَلْ لِقَوْمِكَ بَل للعَرَبْ

عُلىً تَسْتَفَادُ، وَمَالٌ يُفَادُ،

وَعِزٌّ يُشَادُ، وَنُعْمَى تُرَبْ

و ما غضَّ منيَ هذا الإسارُ

و لكنْ خلصتُ خلوصَ الذهبْ

فَفِيمَ يُقَرّعُني بالخُمُو

لِ مَوْلىً به نِلتُ أعلى الرّتَبْ

وَكانَ عَتِيداً لَدَيّ الجَوَابُ،

وَلَكِنْ لِهَيْبَتِهِ لَمْ أُجِبْ

فَأَشْكَرُ ما كنتُ في ضَجْرَتي،

و أني عتبتكَ فيمنْ عتبْ

فَألاّ رَجَعْتَ فَأعْتَبْتَني،

وَصَيّرْتَ لي وَلِقَوْلي الغَلَبْ

فلا تنسبنَّ إليَّ الخمولَ

أقمتُ عليكَ فلمْ أغتربْ

وأصْبَحْتُ مِنكَ فإنْ كان فضْلٌ

وَبَيْني وَبَيْنَكَ فوق النّسَبْ

و ما شككتنيَ فيكَ الخطوبُ

و لا غيَّرتني فيكَ النُّوبْ

و أسكنُ ما كنتُ في ضجرتي

وَأحْلَمُ مَا كُنْتُ عِنْدَ الغَضَبْ

وَإنّ خُرَاسَانَ إنْ أنْكَرَتْ

" علّايَ فقدْ عرفتها " حلبْ

وَمِنْ أينَ يُنْكِرُني الأبْعَدُونَ

أمنْ نقص جدٍ أمنْ نقص أبْ

أَلَسْتُ وَإيّاكَ مِنْ أُسرَةٍ ،

و بيني وبينكَ قربُ النسبْ

وَدادٌ تَنَاسَبُ فِيهِ الكِرَامُ،

و تربيةٍ ومحلٍ أشبْ

و نفسٍ تكبرُ إلا عليكَ

وَتَرْغَبُ إلاّكَ عَمّنْ رَغِبْ

فَلا تَعْدِلَنّ، فِدَاكَ ابنُ عَمّـ

ـكَ لا بلْ غلامكَ - عمًّا يجبْ

و أنصفْ فتاكَ فإنصافهُ

منَ الفضلِ والشرفِ المكتسبْ

وَكُنْتَ الحَبيبَ وَكُنْتَ القَريبَ

ليالِيَ أدعوكَ منْ عنْ كثبْ

فلمَّا بعدتُ بدتْ جفوةٌ

و لاحَ منْ الأمرِ ما لا أحبْ

فلوْ لمْ أكنْ بكَ ذا خبرةٍ

لقلتُ صديقكَ منْ لمْ يغبْ

للهِ بردٌ ما أشـ

للهِ بردٌ ما أشـ

ـدَّ ومنظرٌ ما كانَ أعجبْ

جَاءَ الغُلامُ بنَارِهِ

حمراءَ في جمرٍ تلهبْ

فكأنما جُمعَ الحلـ

ـيّ فمُحرَقٌ مِنها وَمُذهَبْ

ثمَّ انطفتْ فكأنها

مَا بَيْنَنَا نَدٌّ مُشَعَّبْ

تُقِرّ دُمُوعي بشَوْقي إلَيْكَ

تُقِرّ دُمُوعي بشَوْقي إلَيْكَ

و يشهدُ قلبي بطول الكربْ

وإني لَمُجْتَهِدٌ في الجُحُودِ،

وَلَكِنّ نَفْسِيَ تَأبَى الكَذِبْ

وَإني عَلَيْكَ لجَاري الدّمُوع،

وَإني عَلَيْكَ لَصَبٌّ وَصِبْ

و ما كنتُ أبقي على مهجتي

لَوَ أني انْتَهَيْتُ إلى مَا يَجِبْ

و لكنْ سمحتُ لها بالبقاءِ

رَجَاءَ اللقَاءِ عَلى مَا تُحِبْ

و يبقي اللبيبُ لهُ عدةً

لوقتِ الرضا في أوان الغضبْ

و ما أنسَ لا أنسَ يومَ المغار

و ما أنسَ لا أنسَ يومَ المغار

محجبةً لفظتها الحجبْ

دَعَاكَ ذَوُوهَا بسُوءِ الفِعَال

لِمَا لا تَشَاءُ، وَمَا لا تُحِبّ

فَوَافَقْتَكَ تَعْثُرُ في مِرْطِهَا،

و قدْ رأتِ الموتَ منْ عنْ كثبْ

وَقَدْ خَلطَ الخَوْفُ لمّا طَلَعْـ

ـتَ دَلَّ الجَمَالِ بذُلْ الرُّعُبْ

تُسَارِعُ في الخَطْوِ لا خِفّةً،

و تهتزُّ في المشي لا منْ طربْ

فلمَّا بدتْ لكَ فوقَ البيوتِ

بدا لكَ منهنَّ جيشَ لجبْ

فكنتَ أخاهنَّ إذْ لا أخٌ

و كنتَ أباهنَّ إذْ ليسَ أبْ

وَمَا زلتَ مُذْ كُنتَ تأتي الجَمِيلَ

و تحمي الحريمَ ، وترعى النسبْ

و تغضبُ حتى إذا ما ملكتَ

أطَعْتَ الرّضا، وَعَصَيْتَ الغَضَبْ

فَوَلّيْنَ عَنْكَ يُفَدّينَهَا،

وَيَرْفَعنَ مِن ذَيْلِها ما انسَحَبْ

يُنَادِينَ بينَ خِلالِ البُيُو

تِ لا يَقطَعِ اللّهُ نَسْلَ العَرَبْ

- أمرتَ - وأنتَ المطاعُ الكريمُ

ببذلِ الأمانِ وردِ السلبْ

و قدْ رحنَ منْ مهجاتِ القلوبِ

بأوفرِ غنمٍ وأغلى نشبْ

فإنْ هُنّ يَابْنَ السَّرَاةِ الكِرَامِ،

رددنَ القلوبَ رددنا النهبْ

الشّعرُ دِيوانُ العَرَبْ،

الشّعرُ دِيوانُ العَرَبْ،

أبداً ، وعنوانُ النسبْ

لَمْ أعْدُ فِيهِ مَفَاخِرِي

و مديحَ آبائي النجبْ

و مقطعاتٍ ربما

حَلّيْتُ مِنْهُنّ الكُتُبْ

لا في المديح ولا الهجاءِ

ءِ وَلا المُجُونِ وَلا اللّعِبْ

لنْ للزمانِ ، وإنْ صعبْ

لنْ للزمان ، وإنْ صعبْ

وَإذَا تَبَاعَدَ فَاقْتَربْ

لا تَكْذِبَنْ، مَنْ غَالَبَ الـ

أيامَ كانَ لها الغلبْ

ألا إنّمَا الدّنْيَا مَطِيّةُ رَاكِبٍ

ألا إنّمَا الدّنْيَا مَطِيّةُ رَاكِبٍ

عَلا رَاكِبُوها ظَهْرَ أعوَجَ أحدَبَا

شموسٌ متى أعطتكَ طوعاً زمامها

فكُنْ للأذى مِنْ عَقّهَا مُتَرَقّبَا

منْ كانَ أنفقَ في نصر الهدى نشباً

منْ كانَ أنفقَ في نصرِ الهدى نشباً

فأنتَ أنفقتَ فيه النفسَ والنشبا

يُذكي أخوكَ شِهَابَ الحرْبِ مُعتمداً

فَيَسْتَضِيءُ، وَيَغشَى جَدُّكَ اللّهَبَا

أتَزْعُمُ، يا ضخمَ اللّغَادِيدِ، أنّنَا

أتَزْعُمُ، يا ضخمَ اللّغَادِيدِ، أنّنَا

وَنحن أُسودُ الحرْبِ لا نَعرفُ الحرْبَا

فويلكَ ؛ منْ للحربِ إنْ لمْ نكنْ لها

ومنْ ذا الذي يمسي ويضحي لها تربا

و منْ ذا يلفّ الجيشَ منْ جنباتهِ

و منْ ذا يقودُ الشمَّ أو يصدمُ القلبا

"وويلكَ ؛ منْ أردى أخاكَ " بمرعشٍ

وَجَلّلَ ضرْباً وَجهَ وَالدِكَ العضْبَا

وويلكَ منْ خلى ابنَ أختكَ موثقاً

وَخَلاّكَ باللّقَانِ تَبْتَدِرُ الشّعبَا

أتوعدنا بالحربِ حتى كأننا

و إياكَ لمْ يعصبْ بها قلبنا عصبا

لقد جَمَعْتنَا الحَرْبُ من قبلِ هَذِهِ

فكنا بها أسداً ؛ وكنتَ بها كلبا

فسلْ " بردساً " عنا أباكَ وصهرهُ

وسلْ آلَ " بردالِيسَ " أعظمكم خطبا

وَسَلْ قُرْقُوَاساً وَالشَّمِيشَقَ صِهْرَهُ،

وَسَلْ سِبْطَهُ البطريقَ أثبَتكم قلبَا

وَسَلْ صِيدَكُمْ آلَ المَلاين إنّنَا

نهبنا ببيضِ الهندِ عزهمُ نهبا

" و سلْ آلَ " بهرامٍ " وآلَ " بلنطسٍ

و سلْ آلَ " منوال" الجحاجحةَ الغلبا

و سلْ "بالبرطسيس" العساكرَ كلها

و سلْ " بالمنسطرياطس " الرومَ والعربا

ألَمْ تُفْنِهِمْ قَتْلاً وَأسْراً سُيُوفُنَا

وأسدَ الشرى الملأى وإنْ جمدتْ رعبا

بأقلامِنَا أُجْحِرْتَ أمْ بسُيُوفِنَا

و أسدَ الشرى قدنا إليكَ أم الكتبا

تركناكَ في بطنِ الفلاةِ تجوبها

كمَا انْتَفَقَ اليَرْبُوعُ يَلتَثِمُ التّرْبَا

تُفاخِرُنَا بالطّعنِ وَالبضّرْبِ في الوَغى

لقد أوْسَعَتْك النفسُ يابنَ استها كِذبَا

رعى اللهُ أوفانا إذا قالَ ذمةً

وَأنْقَذَنَا طَعْناً، وأثْبَتَنَا قَلْبَا

وَجَدْتُ أبَاكَ العِلْجَ لمّا خَبَرْتُهُ

أقَلُّكُمُ خَيراً، وَأكْثَرَكمْ عُجبَا

نُدِلّ عَلى مَوَالِينَا وَنَجْفُو

نُدِلّ عَلى مَوَالِينَا وَنَجْفُو

و نعتبهمْ وإنَّ لنا الذنوبا

بأقْوَالٍ يُجَانِبْنَ المَعَاني

و ألسنةٍ يخالفنَ القلوبا

أبَتْ عَبرَاتُهُ إلاّ انْسِكَابَا

أبَتْ عَبرَاتُهُ إلاّ انْسِكَابَا

و نارُ ضلوعهِ إلا التهابا

و منْ حقِّ الطلول عليَّ ألا

أُغِبَّ مِنَ الدّموع لهَا سَحابَا

وَمَا قَصّرْتُ في تَسْآل رَبْعٍ،

و لكني سألتُ فما أجابا

رأيتُ الشيبَ لاحَ فقلتُ أهلاً

وودعتُ الغوايةَ والشبابا

وَمَا إنْ شِبتُ من كِبَرٍ، وَلَكِنْ

رأيتُ منَ الأحبةِ ما أشابا

بعثنَ منَ الهمومِ إليَّ ركباً

و صيرنَ الصدودَ لها ركابا

ألَمْ تَرَنَا أعَزَّ النّاس جَاراً

و أمنعهمْ ؛ وأمرعهمْ جنابا

لنَا الجَبَلُ المُطِلُّ على نِزَارٍ

حَلَلْنَا النّجْدَ مِنهُ وَالهضَابَا

تفضلنا الأنامُ ولا نحاشى

و نوصفُ بالجميلِ ؛ ولا نحابى

" و قد علمتْ " ربيعةُ" بلْ " نزارٌ

بأنّا الرأسُ والناسَ الذُنابى

"فلما أنْ طغتْ سفهاءُ" كعبٍ

فَتَحْنَا بَينَنا لِلْحَرْبِ بَابا

مَنَحْنَاها الحَرَائِبَ غَيرَ أنّا

إذا جَارَتْ مَنَحْنَاها الحِرَابَا

و لما ثارَ " سيفُ الدين" ثرنا

كَمَا هَيّجْتَ آسَاداً غِضَابَا

أسِنّتُهُ، إذا لاقَى طِعَاناً،

صوارمهُ ، إذا لاقى ضرابا

- دعانا - والأسنةُ مشرعاتٌ

فكنا، عندَ دعوتهِ ، الجوابا

صَنَائِعُ فَاقَ صَانِعُهَا فَفَاقَتْ،

وَغَرْسٌ طابَ غَارسُهُ، فَطَابَا

و كنا كالسهامِ ؛ إذا أصابتْ

مراميها فراميها أصابا

"و نكبنَ " الصبيرةَ " و" القبابا

و جاوزنَ " البديةَ " صادياتٍ ؛

يلاحظنَ السرابَ ؛ ولا سرابا

عبرنَ " بماسحٍ " والليلُ طفلٌ

وَحِنْنَ إلى سَلَمْيَةَ حِينَ شَابَا

فما شعروا بها إلا ثباتاً

دوينَ الشدِّ نصطخبُ اصطخابا

بهِ الأرواحُ تنتهبُ انتهابا

تنادوا ، فانبرتْ ، منْ كلِّ فجٍ ،

سوابقُ ينتجبنَ لنا انتجابا

وَقادَ نَدي بنُ جَعْفَرَ من عُقيلٍ

شعوباً ، قدْ أسلنَ بهِ الشعابا

فما كانوا لنا إلا أسارى

و ما كانت لنا إلا نهابا

كأنَّ " ندي بنَ جعفر" قادَ منهمْ

هدايا لمْ يرعْ عنها ثوابا

وَشَدّوا رَأيَهُمْ بِبَني قُرَيْعٍ،

فخابوا - لا أبا لهمُ - وخابا

و لما اشتدتِ الهيجاءُ كنا

أشَدَّ مَخَالِباً، وَأحَدَّ نَابَا

و أمنعَ جانباً ؛ وأعزَّ جاراً ؛

و أوفى ذمةً ؛ وأقلَّ عابا

"سقينا بالرماح بني " قشيرٍ

ببطن " الغنثرِ " السمَّ المذابا

و سقناهمْ إلى " الحيران " سوقاً

كما نستاقُ آبالاً صعابا

و نكبنا " الفرقلسَ " لمْ نردهً

كَأنّ بِنَا عَن المَاءِ اجْتِنَابَا

وَمِلْنَ عَنِ الغُوَيْرِ وَسِرْنَ حتى

" وردنَ عيونَ " تدمرَ" و" الحبابا

و أمطرنَ " الجباةَ " بمرجحنَّ

وَلَكِنْ بِالطِّعَانِ المُرِّ صَابَا

وَجُزْنَ الصَّحصَحَانَ يخدِنَ وَخداً

و يجتبنَ الفلاةَ بنا اجتيابا

"قرينا " بالسماوةِ " من " عقيلٍ

سِبَاعَ الأَرْضِ وَالطّيرَ السِّغَابَا

و " بالصباح " و" الصباحُ " عبدٌ

قتلنا ، منْ لبابهمُ اللبابا

"تركنا في بيوتِ بني " المهنا

نوادبَ ينتحبنَ بها انتحابا

شَفَتْ فِيهَا بَنُو بَكْرٍ حُقُوداً

و غادرتِ " الضبابَ " بها ضبابا

وَأَبْعَدْنَا لِسُوءِ الفِعْلِ كَعْباً

"و أدنينا لطاعتها " كلابا

وَشَرّدْنَا إلى الجَوْلانِ طَيْئاً

و جنبنا " سماوتها " جنابا

سَحَابٌ مَا أَنَاخَ عَلى عُقَيْلٍ

و جرَّ على جوارهمُ ذنابا

وَمِلْنَا بِالخُيُولِ إلى نُمَيرٍ

تجاذبنا أعنتها جذابا

يعزُّ على العشيرةِ أنْ يصابا

وَمَا ضَاقَتْ مَذاهِبُهُ، وَلَكِنْ

يُهَابُ، مِنَ الحَمِيّةِ، أنْ يُهابَا

و يأمرنا فنكفيهِ الأعادي

هُمَامٌ لَوْ يَشَاءُ كَفَى وَنَابَا

فلما أيقنوا أنْ لا غياثٌ

دعوهُ للمغوثةِ فاستجابا

و عادَ إلى الجميلِ لهمْ ؛ فعادوا

وَقَدْ مَدّوا لِصَارِمِهِ الرّقَابَا

أمَرّ عَلَيْهِمُ خَوْفاً وَأمناً

أذَاقَهُمُ بِهِ أرْياً وَصَابَا

أحَلّهُمُ الجَزِيرَةَ بَعدَ يَأسٍ

أخُو حِلْمٍ إذا مَلَكَ العِقَابَا

و أرضهمُ اغتصبناها اغتصابا

وَلَوْ شِئْنَا حَمَيْنَاهَا البَوَادِي

كما تحمي أسودُ الغابِ غابا

أنا ابنُ الضاربينَ الهامَ قدماً

إذا كَرِهَ المُحَامُونَ الضّرَابَا

أَلَمْ تَعْلَمْ وَمِثْلُكَ قالَ حَقّاً

بأني كنتُ أثقبها شهابا

أتَعجَبُ أنْ مَلكنَا الأرْضَ قَسْراً

أتَعجَبُ أنْ مَلكنَا الأرْضَ قَسْراً

وَأنْ تُمْسِي وَسَائِدَنَا الرّقَابُ

و تربطُ في مجالسنا المذاكي

و تبركُ بين أرجلنا الركابُ

فهذا العزُّ أثبتهُ العوالي

و هذا الملكُ مكنهُ الضرابُ

و أمثالُ القسيِّ منَ المطايا

يَجُبّ غِرَاسَهَا الخَيْلُ العِرَابُ

فَقَصْراً إنّ حَالاً مَلّكَتْنَا

لَحَالٌ لا تُذَمّ وَلا تُعَابُ

احذرْ مقاربةَ اللئامِ فإنهُ

احذرْ مقاربةَ اللئامِ فإنهُ

ينبيكَ ، عنهمْ في الأمورِ ، مجربُ

قومٌ ، إذا أيسرتَ ، كانوا إخوةً

و إذا تربتَ ، تفرقوا وتجنبوا

اصبرْ على ريبِ الزمانِ فإنهُ

بالصّبرِ تُدْرِكُ كلّ ما تَتَطَلّبُ

قَنَاتي عَلى مَا تَعْهَدَان صَلِيبَةٌ،

قَنَاتي عَلى مَا تَعْهَدَان صَلِيبَةٌ،

وعودي ، على ما تعلمانِ صليبُ

صبورٌ على طيِ الزمانِ ونشرهِ ؛

و إنْ ظهرتْ للدهرِ في ندوبُ

و إنَّ فتى لمْ يكسرِ الأسرُ قلبهُ

وَخَوْضُ المَنَايَا حِدَّهُ لنَحِيبُ

أقرُّ لهُ بالذنبِ ؛ والذنبُ ذنبهُ

أقرُّ لهُ بالذنبِ ؛ والذنبُ ذنبهُ

وَيَزْعُمُ أنّي ظَالِمٌ، فَأتُوبُ

وَيَقْصِدُني بالهَجْرِ عِلْماً بأنّهُ

إليَّ ، على ما كانَ منهُ ، حبيبُ

و منْ كلِّ دمعٍ في جفوني سحابةٌ

و منْ كلِّ وجدٍ في حشايَ لهيبُ

أسَاءَ فَزَادَتْهُ الإسَاءَةُ حُظْوَةً ،

أسَاءَ فَزَادَتْهُ الإسَاءَةُ حُظْوَةً ،

حَبِيبٌ، عَلى مَا كَانَ مِنهُ، حَبِيبُ

يعدُّ عليَّ العاذلونَ ذنوبهُ

وَمِنْ أينَ للوَجْهِ المَلِيحِ ذُنُوبُ

فيا أيها الجاني ، ونسألهُ الرضا

وَيَا أيّهَا الجَانِي، وَنَحْنُ نَتُوبُ

لَحَى اللّهُ مَن يَرْعَاكَ في القُرْبِ وَحده

وَمَنْ لا يَحُوطُ الغَيبَ حِينَ تَغيبُ

أبيتُ كَأني لِلصَّبَابَةِ صَاحِبُ،

أبيتُ كَأني لِلصَّبَابَةِ صَاحِبُ،

و للنومِ مذْ بانَ الخليطُ ، مجانبُ

وَمَا أدّعِي أنّ الخُطُوبَ تُخِيفُني

لَقَدْ خَبّرَتْني بالفِرَاق النّوَاعِبُ

و لكنني ما زلتُ أرجو وأتقي

وَجَدَّ وَشِيكُ البَيْنِ وَالقَلْبُ لاعِبُ

و ماهذهِ في الحبِّ أولَ مرةٍ

أسَاءَتْ إلى قَلبي الظّنُونُ الكَوَاذِبُ

عليَّ لربع " العامرية " وقفةٌ

تُمِلّ عَليّ الشّوْقَ وَالدّمعُ كاتِبُ

فلا ، وأبي العشاق ، ما أنا عاشقٌ

إذا هيَ لَمْ تَلْعَبْ بصَبري المَلاعِبُ

و منْ مذهبي حبُّ الديار لأهلها

وَللنّاس فِيمَا يَعْشَقُونَ مَذاهِبُ

عتادي لدفع الهمِّ نفسٌ أبيةٌ

وَقَلبٌ على مَا شِئتُ مِنْهُ مُصَاحِبُ

حَسُودٌ عَلى الأمر الذي هُوَ عَائِبُ

وَخُوصٌ كأمْثَالِ القِسِيّ نَجَائِبُ

تكاثرَ لوامي على ما أصابني

كأنْ لم تنبْ إلا بأسري النوائبُ

" يقولونَ " لمْ ينظرْعواقبَ أمرهِ

و مثلي منْ تجري عليهِ العواقبُ

ألألَمْ يعلمِ الذلانُ أنَّ بني الوغى

كَذاكَ، سَليبٌ بالرّمَاح وَسَالِبُ

أرى ملءَ عيني الردى فأخوضهُ

إذِ المَوْتُ قُدّامي وَخَلْفي المَعَايبُ

وَإنّ وَرَاءَ الحَزْمِ فِيهَا وَدُونَهُ

مَوَاقِفَ تُنْسَى دُونَهُنّ النّجَاربُ

و أعلمُ قوماً لو تتعتعتُ دونها

لأجهَضَني بالدّمّ مِنهُمْ عَصَائِبُ

و مضطغنٍ لمْ يحملِ السرَّ قلبهُ

تَلَقّتَ ثمّ اغْتَابَني، وَهوَ هَائِبُ

تردى رداءَ الذلِّ لمَّا لقيتهُ

كما تتردى بالغبارِ العناكبُ

ومنْ شرفي أنْ لا يزالَ يعيبني

حسودٌ على الأمرِ الذي هوَ عاتبُ

رَمَتْني عُيُونُ النّاس حَتّى أظُنّهَا

ستحسدني ، في الحاسدينً ، الكواكبُ

فَلَسْتُ أرَى إلاّ عَدُوّاً مُحارباً،

و آخرَ خيرُ منهُ عندي المحاربُ

وَيَرْجُونَ إدْرَاكَ العُلا بِنُفُوسِهِمْ

وَلَمْ يَعْلَمُوا أنّ المَعَالي مَوَاهِبُ

فكمْ يطفئونَ المجدَ واللهُ موقدٌ

وَكَمْ يَنْقُصُونَ الفَضْلَ وَاللّهُ وَاهبُ

و هلْ يدفعُ الإنسانُ ما هوَ واقعٌ

وَهَلْ يَعْلَمُ الإنسانُ ما هوَ كاسِبُ

و هلْ لقضاءِ اللهِ في الخلق غالبٌ

وهلْ لقضاءِ اللهِ في الخلق هاربُ

وَلا ذنبَ لي إنْ حارَبَتني المَطالِبُ

وهلْ يرتجي للأمرِ إلاَّ رجالهُ

وَيأتي بصَوْبِ المُزْنِ إلاّ السّحائِبُ

و عنديَ صدقُ الضربِ في كلِّ معركٍ

و ليسَ عليَّ إنْ نبونَ المضاربِ

إذا كانَ "سيفُ الدولةِ" الملكُ كافلي

فلا الحَزْمُ مَغلوبٌ ولا الخصْمُ غالِبُ

إذا اللّهُ لَمْ يَحْرُزْكَ مِمّا تَخَافُهُ،

عَليّ لِسَيْفِ الدّولةِ القَرْمِ أنْعُمٌ

وَلا سَابِقٌ مِمَّا تَخَيّلْتَ سَابِقٌ،

ولا صاحبٌ مما تخيرتَ صاحبُ

أأجْحَدُهُ إحْسَانَهُ فيّ، إنّني

لكافرُ نعمى ، إنْ فعلتُ ، مواربُ

لعَلّ القَوَافي عُقْنَ عَمّا أرَدْتُهُ،

فلا القولُ مردودٌ ولا العذرُ ناضبُ

و لا شكَّ قلبي ساعةً في اعتقادهِ

وَلا شَابَ ظَنّي قَطّ فِيهِ الشّوَائِبُ

تُؤرّقُني ذِكْرَى لهُ وَصَبَابَةٌ،

وَتَجْذُبُني شَوْقاً إلَيْهِ الجَوَاذِبُ

وَلي أدْمُعٌ طَوْعَى إذا مَا أمَرْتُها،

وَهُنّ عَوَاصٍ في هَوَاهُ، غَوَالِبُ

فلا تخشَ " سيفَ الدولةِ" القرمَ أنني

سِوَاكَ إلى خَلْقٍ مِنَ النّاسِ رَاغبُ

فلا تُلبَسُ النّعمَى وَغَيرُكَ مُلبسٌ،

وَلا تُقْبَلُ الدنيَا وَغَيرُكَ وَاهِبُ

وَلا أنَا، مِنْ كُلّ المَطاعِمِ، طَاعِمٌ

وَلا أنَا، مِنْ كُلّ المَشَارِبِ، شَارِبُ

وَلاَ أنَا رَاضٍ إنْ كَثُرْنَ مكاسِبِي،

إذا لمْ تكنْ بالعزِّ تلكَ المكاسبُ

و لا السيدُ القمقامُ عندي بسيدٍ

إذا استَنْزَلَتْهُ عَن عُلاهُ الرّغَائِبُ

أيَعْلَمُ مَا نَلْقَى نَعَمْ يَعْلَمُونَهُ

على النأي أحبابٌ لنا وحبائبُ

أأبْقَى أخي دَمْعاً، أذاقَ كَرى ً أخي

أآبَ أخي بعدي ، منَ الصبرآئبُ

بنَفسِي وَإنْ لمْ أرْضَ نَفسِي لرَاكِبٌ

يُسَائِلُ عَني كُلمَا لاحَ رَاكِبُ

قريحُ مجاري الدمع مستلبُ الكرى

يُقَلْقِلُهُ هَمٌّ مِنَ الشوْقِ نَاصِبُ

أخي لا يُذِقْني الله فِقْدَانَ مِثْلِهِ

و أينَ لهُ مثلٌ ، وأينَ المقاربُ

تَجَاوَزَتِ القُرْبَى المَوَدّةُ بَيْنَنَا،

فأصْبَحَ أدْنَى مَا يُعَدّ المُنَاسِبُ

ألا لَيْتَني حُمّلْتُ هَمّي وَهَمّهُ،

وَأنّ أخي نَاءٍ عَنِ الهَمّ عَازبُ

فَمَنْ لمْ يَجُدْ بالنّفس دون حبيبِهِ

فما هوَ إلاّ ماذقُ الودِّ كاذبُ

أتَاني، مَعَ الرُّكْبَان، أنّكَ جَازِعٌ،

وَغَيرُكَ يَخْفَى عَنْهُ لله واجِبُ

وَمَا أنْتَ مِمّنْ يُسْخِطُ الله فِعلُهُ

و إن أخذتْ منكَ الخطوبُ السوالبُ

وَإني لَمِجْزَاعٌ، خَلا أنّ عَزْمَةً

تدافعُ عني حسرةً وتغالبُ

و رقبةَ حسادٍ صبرتُ لوقعها

لها جانبٌ مني وللحربِ جانبُ

فكمْ منْ حزينٍ مثلَ حزني ووالهٍ

ولكنني وحدي الحزينُ المراقبُ

ولستُ ملوماً إنْ بكيتكَ منْ دمي

إذا قعدتْ عني الدموعُ السواكبُ

ألا ليتَ شعري هلْ أبيتنَّ ليلةً

تناقلُ بي فيها إليكَ الركائبُ

أرَاني وَقوْمي فُرّقتْنَا مَذَاهِبُ،

أرَاني وَقَوْمي فَرّقتْنَا مَذَاهِبُ،

و إنْ جمعتنا في الأصولِ المناسبُ

فأقْصَاهُمُ أقْصَاهُمُ مِنْ مَسَاءتي،

وَأقْرَبُهُمْ مِمّا كَرِهْتُ الأقَارِبُ

غَرِيبٌ وَأهْلي حَيْثُ مَا كانَ ناظِري،

وَحِيدٌ وَحَوْلي مِن رِجالي عَصَائِبُ

نسيبكَ منْ ناسبتَ بالودِّ قلبهُ

وجاركَ منْ صافيتهُ لا المصاقبُ

و أعظمُ أعداءِ الرجالِ ثقاتها

و أهونُ منْ عاديتهُ منْ تحاربُ

وَشَرّ عَدُوّيْكَ الّذي لا تُحَاربُ،

و خيرُ خليليكَ الذي لا تناسبُ

لقد زدتُ بالأيامِ والناسِ خبرةً

و جربتُ حتى هذبتني التجاربُ

وَما الذّنبُ إلاّ العَجزُ يَرْكبُهُ الفَتى ،

و ما ذنبهُ إنْ طارتهُ المطالبُ

وَمَن كان غَيرَ السّيفِ كافِلُ رزْقِهِ

فللذل منهُ لا محالةَ جانبُ

وَمَا أُنْسُ دارٍ لَيْسَ فِيهَا مُؤانِسٌ،

و ما قربُ قومٍ ليسَ فيهمْ مقاربُ

أمَا لِجَمِيلٍ عِنْدَكُنّ ثَوَابُ،

أمَا لِجَمِيلٍ عِنْدَكُنّ ثَوَابُ،

وَلا لِمُسِيءٍ عِنْدَكُنّ مَتَابُ

لَقَد ضَلّ مَنْ تَحوِي هوَاهُ خَرِيدةٌ،

و قدْ ذلَّ منْ تقضي عليهِ كعابُ

و لكنني - والحمدُ للهِ - حازمٌ

أعزُّ إذا ذلتْ لهنَّ رقابُ

وَلا تَمْلِكُ الحَسْنَاءُ قَلْبِيَ كُلّهُ

و إنْ شملتها رقةٌ وشبابُ

وَأجري فلا أُعطي الهوَى فضْلَ مقوَدي،

وَأهْفُو وَلا يَخْفَى عَلَيّ صَوَابُ

إذا الخِلّ لَمْ يَهْجُرْكَ إلاّ مَلالَةً،

فليسَ لهُ إلا الفراقَ عتابُ

إذَا لَمْ أجِدْ مِنْ خُلّةٍ ما أُرِيدُهُ

فعندي لأخرى عزمةٌ وركابُ

وَلَيْسَ فرَاقٌ ما استَطَعتُ، فإن يكُن

فراقٌ على حالٍ فليسَ إيابُ

صبورٌ ولوْ لمْ تبقَ مني بقيةٌ

قؤولٌ ولوْ أنَّ السيوفَ جوابُ

وَفُورٌ وأحْدَاثُ الزّمَانِ تَنُوشُني،

وَفي كُلّ يَوْمٍ لَفْتَةٌ وَخِطَابُ

وَألْحَظُ أحْوَالَ الزّمَانِ بمُقْلَةٍ

بها الصدقُ صدقٌ والكذابُ كذابُ

بِمَنْ يَثِقُ الإنْسَانُ فِيمَا يَنُوبُهُ

وَمِنْ أينَ للحُرّ الكَرِيمِ صِحَابُ

وَقَدْ صَارَ هَذَا النّاسُ إلاّ أقَلَّهُمْ

ذئاباً على أجسادهنَّ ثيابُ

تغابيتُ عنْ قومي فظنوا غباوةً

بِمَفْرِقِ أغْبَانَا حَصىً وَتُرَابُ

وَلَوْ عَرَفُوني حَقّ مَعْرِفَتي بهم،

إذاً عَلِمُوا أني شَهِدْتُ وَغَابُوا

وَمَا كُلّ فَعّالٍ يُجَازَى بِفِعْلِهِ،

و لا كلِّ قوالٍ لديَّ يجابُ

وَرُبّ كَلامٍ مَرّ فَوْقَ مَسَامِعي

إلى الله أشْكُو أنّنَا بمَنَازِلٍ

تحكمُ في آسادهنَّ كلابُ

تَمُرّ اللّيَالي لَيْسَ للنّفْعِ مَوْضِعٌ

لديَّ ، ولا للمعتفينَ جنابُ

وَلا شُدّ لي سَرْجٌ عَلى ظَهْرِ سَابحٍ،

ولا ضُرِبَتْ لي بِالعَرَاءِ قِبَابُ

و لا برقتْ لي في اللقاءِ قواطعٌ

وَلا لَمَعَتْ لي في الحُرُوبِ حِرَابُ

"ستذكرُ أيامي " نميرٌ" و" عامرٌ

" و" كعبٌ " على علاتها و" كلابُ

أنا الجارُ لا زادي بطيءٌ عليهمُ

وَلا دُونَ مَالي لِلْحَوَادِثِ بَابُ

وَلا أطْلُبُ العَوْرَاءَ مِنْهُمْ أُصِيبُهَا،

وَلا عَوْرَتي للطّالِبِينَ تُصَابُ

وَأسْطُو وَحُبّي ثَابتٌ في صُدورِهِمْ

وَأحلُمُ عَنْ جُهّالِهِمْ وَأُهَابُ

بَني عَمّنا ما يَصْنَعُ السّيفُ في الوَغى

إذا فلَّ منهُ مضربٌ وذبابُ

شِدَادٌ عَلى غَيْرِ الهَوَانِ صِلابُ

بَني عَمّنَا نَحْنُ السّوَاعِدُ والظُّبَى

ويوشكُ يوماً أنْ يكونَ ضرابُ

حَريّونَ أنْ يُقْضَى لهُمْ وَيُهَابُوا

فَعَنْ أيّ عُذْرٍ إنْ دُعُوا وَدُعِيتُمُ

أبَيْتُمْ، بَني أعمَامِنا، وأجَابُوا

وَمَا أدّعي، ما يَعْلَمُ الله غَيْرَهُ

رحابُ " عليٍّ " للعفاةِ رحابُ

و أفعالهُ للراغبينَ كريمةٌ

و أموالهُ للطالبينَ نهابُ

و لكنْ نبا منهُ بكفي صارمٌ

و أظلمُ في عينيَّ منهُ شهابُ

وَأبطأ عَنّي، وَالمَنَايَا سَرِيعةٌ،

وَلِلمَوْتِ ظُفْرٌ قَدْ أطَلّ وَنَابُ

و لا نسبٌ بينَ الرجالِ قرابُ

فأحْوَطُ لِلإسْلامِ أنْ لا يُضِيعَني

و لي عنهُ فيهِ حوطةٌ ومنابُ

ولكنني راضٍ على كل حالةٍ

ليعلمَ أيُّ الحالتين سرابُ

و ما زلتُ أرضى بالقليلِ محبةً

لديهِ وما دونَ الكثيرِ حجابُ

وَأطلُبُ إبْقَاءً عَلى الوُدّ أرْضَهُ،

و ذكرى منىً في غيرها وطلابُ

كذاكَ الودادُ المحضُ لا يُرْتَجى لهُ

ثوابٌ ولا يخشى عليهِ عقابُ

وَقد كنتُ أخشَى الهجرَ والشملُ جامعٌ

و في كلِّ يومٍ لقيةٌ وخطابُ

فكيفَ وفيما بيننا ملكُ قيصرٍ

وَللبَحْرِ حَوْلي زَخْرَةٌ وَعُبَابُ

أمنْ بعدِ بذلِ النفسِ فيما تريدهُ

أُتَابُ بِمُرِّ العَتْبِ حِينَ أُتَابُ

فَلَيْتَكَ تَحْلُو، وَالحَيَاةُ مَرِيرَةٌ،

وَلَيْتَكَ تَرْضَى وَالأَنَامُ غِضَابُ

وَلَيْتَ الّذي بَيْني وَبَيْنَكَ عَامِرٌ

و بيني وبينَ العالمينَ خرابُ

إنّ في الأسْرِ لَصَبّاً

إنّ في الأسْرِ لَصَبّاً

دمعهُ في الخدِّ صبُّ

هُوَ في الرّومِ مُقِيمٌ،

ولهُ في الشامِ قلبُ

مستجدٌ لمْ يصادف

عِوَضاً مِمّنْ يُحِبّ

زماني كلهُ غضبٌ وعتبُ

زماني كلهُ غضبٌ وعتبُ

و أنتَ عليَّ والأيامُ إلبُ

وَعَيْشُ العالَمِينَ لَدَيْكَ سَهْلٌ،

و عيشي وحدهُ بفناكَ صعبُ

وَأنتَ وَأنْتَ دافعُ كُلّ خَطْبٍ،

معَ الخطبِ الملمِّ عليَّ خطبُ

إلى كَمْ ذا العِقَابُ وَلَيْسَ جُرْمٌ

و كمْ ذا الإعتذارُ وليسَ ذنبُ

فلا بالشامِ لذَّ بفيَّ شربٌ

وَلا في الأسْرِ رَقّ عَليّ قَلْبُ

فَلا تَحْمِلْ عَلى قَلْبٍ جَريحٍ

بهِ لحوادثِ الأيامِ ندبُ

أمثلي تقبلُ الأقوالُ فيهِ

وَمِثْلُكَ يَسْتَمِرّ عَليهِ كِذْبُ

جناني ما علمتَ ، ولي لسانٌ

يَقُدّ الدّرْعَ وَالإنْسانَ عَضْبُ

وزندي ، وهوَ زندكَ ، ليسَ يكبو

وَنَاري، وَهْيَ نَارُكَ، لَيسَ تخبو

و فرعي فرعكَ الزاكي المعلى

وَأصْلي أصْلُكَ الزّاكي وَحَسْبُ

لإسمعيلَ " بي وبنيهِ فخرٌ "

وَفي إسْحَقَ بي وَبَنِيهِ عُجْبُ

و أعمامي " ربيعةُ "و هيَ صيدٌ

وَأخْوَالي بَلصَفْر وَهْيَ غُلْبُ

و فضلي تعجزُ الفضلاءُ عنهُ

لأنكَ أصلهُ والمجدُ تربُ

فدتْ نفسي الأميرَ ، كأنَّ حظي

وَقُرْبي عِنْدَهُ، مَا دامَ قُرْبُ

فَلَمّا حَالَتِ الأعدَاءُ دُوني،

"و أصبحَ بيننا بحرٌ و" دربُ

ظَلِلْتَ تُبَدّلُ الأقْوَالَ بَعْدِي

و يبلغني اغتيابكَ ما يغبُّ

فقلْ ما شئتَ فيَّ فلي لسانٌ

مليءٌ بالثناءِ عليكَ رطبُ

و عاملني بإنصافٍ وظلمٍ

تَجِدْني في الجَمِيعِ كمَا تَحِبّ

لَقَدْ عَلِمَتْ قَيْسُ بنُ عَيلانَ أنّنا

لَقَدْ عَلِمَتْ قَيْسُ بنُ عَيلانَ أنّنا

بنا يدركُ الثأرُ الذي قلَّ طالبهْ

وَأنّا نَزَعْنَا المُلْكَ مِن عُقْرِ دَارِهِ

و ننتهكُ القرمَ الممنعَ جانبهْ

وَأنّا فَتَكْنَا بالأغَرّ ابنِ رَائِقٍ

عَشِيّةَ دَبّتْ بالفَسَادِ عَقَارِبُه

أخَذْنَا لَكُمْ بالثّار ثَارِ عُمَارَةٍ ،

و قد نامَ لمْ ينهدْ إلى الثأرِ صاحبهْ

و زائرٍ حببهُ إغبابهُ

و زائرٍ حببهُ إغبابهُ

طالَ عَلى رَغمِ السُّرَى اجتِنابُهُ

وافاهُ دهرٌ عصلٌ أنيابهُ

واجتابَ بطنانَ العجاجِ جابهُ

يدأبُ ما ردَّ الزمانُ دابهُ

وَأرْقَدَتْ خَيْرَاتُهُ وَرَابُهُ

وافى أمامَ هطلهِ ربابهُ

باكٍ حزينٌ ، رعدهُ انتحابهُ

جاءتْ بهِ ، مسيلةً أهدابهُ ،

رَائِحَةٌ هُبُوبُهَا هِبَابُهُ

ذيالةً ذلتْ لها صعابهُ

ركبُ حيًّا كانَ الصبا ركابهُ

حَتى إذَا مَا اتّصَلَتْ أسْبَابُهُ

وضربتْ على الثرى عقابهُ

و ضربتْ على الربا قبابهُ

وَامْتَدّ في أرْجَائِهِ أطْنَابُهُ

وَتَبِعَ انْسِجَامَهُ انْسِكَابُهُ

وَرَدَفَ اصْطِفَاقُهُ اضْطِرَابُهُ

كأنما قدْ حملتْ سحابهُ

ركنَ شروري واصطفتْ هضابهُ

جَلّى عَلى وَجْهِ الثرى كِتَابُهُ

وَشَرقَتْ بِمَائِهَا شِعَابُهُ

و حليتْ بنورها رحابهُ

كَأنّهُ لمّا انْجَلى مُنْجَابُهُ

و لمْ يؤمنْ فقدهُ إيابهُ

شيخٌ كبيرٌ عادهُ شبابهُ

و لا تصفنَّ الحربَ عندي فإنها

و لا تصفنَّ الحربَ عندي فإنها

طعَامِيَ مُذْ بِعْتُ الصِّبَا وَشَرَابي

و قد عرفتْ وقعَ المسامير مهجتي

و شقَقَ عنْ زرق النصول إهابي

وَلَجّجْتُ في حُلو الزّمَان وَمُرّهِ،

وَأنْفَقْتُ مِن عُمري بِغَيْرِ حِسابِ

منْ لي بكتمان هوى شادنٍ

منْ لي بكتمان هوى شادنٍ

عيني لهُ عونٌ على قلبي

عرَّضتُ صبري وسلوى لهُ

فاستشهدا في طاعةِ الحبِّ

لبسنا رداءَ الليلِ ، والليلُ راضعٌ

لبسنا رداءَ الليلِ ، والليلُ راضعٌ

إلى أنْ تَرَدّى رَأسُهُ بِمَشِيبِ

و بتنا كغصني بانةٍ عابثتهما

إلى الصّبْح ريحَا شَمْألٍ وَجَنُوبِ

بحالٍ تردُّ الحاسدينَ بغيظهمْ

و تطرفُ عنا عينَ كلِّ رقيبِ

إلى أنْ بَدَا ضَوْءُ الصّبَاح كَأنّهُ

مَبَادِي نُصُولٍ في عِذَارِ خَضِيبِ

فَيَا لَيْلُ قَد فَارَقْتَ غَيرَ مُذَمَّمٍ،

و يا صبحُ قدْ أقبلتَ غيرَ حبيبِ

وَلَمّا أنْ جَعَلْتُ اللّـ

وَلَمّا أنْ جَعَلْتُ اللّـ

ـهَ لي ستراً منَ النوبِ

رَمَتْني كُلُّ حَادِثَةٍ

فأخطتني ولمْ تصبِ

مُسِيءٌ مُحْسِنٌ طوْراً وَطوْراً،

مُسِيءٌ مُحْسِنٌ طوْراً وَطوْراً،

فما أدري عدوي أم حبيبي

يقلبُ مقلةً ، ويديرُ طرفاً ،

بهِ عُرفَ البَريءُ مِنَ المُريبِ

وَبَعْضُ الظّالمِينَ، وَإنْ تَنَاهَى ،

شَهِيُّ الظّلمِ، مُغْتَفَرُ الذّنُوبِ

ندبتَ لحسن الصبر قلبَ نجيبِ

ندبتَ لحسن الصبرِ قلبَ نجيبِ

و ناديتَ للتسليمِ خيرَ مجيبِ

وَلَمْ يَبْقَ مِني غَيْرَ قَلْبٍ مُشَيَّعٍ

و عودٍ على نابِ الزمانِ صليبِ

و قدْ علمتْ أمي بأنَّ منيتي

بحدِ سنانٍ أو بحدِ قضيبِ

كما علمتْ ؛ منْ قبل أنْ يغرقَ آبنها ،

بمَهْلِكِهِ في المَاءِ، أُمُّ شَبِيبِ

تحملتُ ، خوفَ العارِ ، أعظمَ خطةٍ

وَأمّلتُ نَصْراً كَانَ غَيرَ قَريبِ

وَللعَارِ خَلّى رَبُّ غَسَّانَ مُلْكَهُ

وَفَارَقَ دِينَ اللَّهِ غَيْرَ مُصِيبِ

"ولمْ يرتغبْ في العيشِ"عيسى بنُ مصعبِ

وَلا خَفّ خوْفَ الحرْبِ قلبُ حبيبِ

" رضيتُ لنفسي " كانَ غيرَ موفقٍ

ولم ترضَ نفسي كانَ غيرَ نحيبِ

يَا عيدُ مَا عُدْتَ بِمَحْبُوبِ

يَا عيدُ مَا عُدْتَ بِمَحْبُوبِ

على معنى القلبِ ، مكروبِ

يَا عيدُ قَد عُدْتَ علَى ناظِرٍ،

عن كلِ حسنٍ فيكَ ، محجوبِ

يَا وَحْشَةَ الدّار التي رَبُّهَا

أصْبَحَ في أثْوَابِ مَرْبُوبِ

قَدْ طَلَعَ العِيدُ عَلى أهْلِهِ

بوَجْهِ لا حُسْنٍ وَلا طِيبِ

ما لي وللدهر وأحداثِهِ

لقدْ رماني بالأعاجيبِ

رَدَدْتُ عَلى بَني قطنٍ بسَيْفي

رَدَدْتُ عَلى بَني قَطَنٍ بِسَيْفي

أسِيراً غَيْرَ مَرْجُوّ الإيَابِ

سَرَرْتُ بِفَكّهِ حَيَّيْ نُمَيْرٍ،

" وسؤتُ بني " ربيعةَ " و" الضبابِ

و ما أبغي سوى شكري ثواباً

و إنَّ الشكرَ من خير الثوابِ

فَهَلْ مُنْنٍ عَليّ فَتى نُمَيْرٍ

" بحلي عنهُ قدَّ بني " كلابِ

وَعِلّةٍ لَمْ تَدَعْ قَلْباً بلا أَلَمٍ

وَعِلّةٍ لَمْ تَدَعْ قَلْباً بلا أَلَمٍ

سَرَتْ إلى طَلَبِ العَلْيَا وَغَارِبِهَا

هَلْ تُقبَلُ النّفسُ عَن نَفسٍ فأفديَه

اللّهُ يَعْلَمُ ما تَغْلُو عَلَيّ بِهَا

لئنْ وهبتكَ نفساً لا نظيرَ لها

فَمَا سَمَحْتُ بِهَا إلاّ لِوَاهِبِهَا

فَعَلَ الجَميلَ وَلم يكُنْ من قَصْدِهِ

فَعَلَ الجَميلَ وَلم يكُنْ من قَصْدِهِ

فَقَبِلْتُهُ وَقَرَنْتُهُ بِذُنُوبِهِ

و لربَّ فعلٍ جاءني من فاعلٍ

أحمدتهُ وذممتُ منْ يأتي بهِ

فديتكَ ، ما الغدرُ منْ شيمتي

فديتكَ ، ما الغدرُ منْ شيمتي

قديماً وَلا الهَجرُ مِن مَذْهَبي

وهبني ؛ كما تدعي ؛ مذنباً

أما تقبلُ العذرَ منْ مذنبِ

وَأوْلى الرّجال، بعَتْبٍ، أخٌ

يكرُّ العتابَ على معتبِ

ألزمني ذنباً بلا ذنبِ

ألزمني ذنباً بلا ذنبِ

وَلَجّ في الهِجْرَان وَالعَتْبِ

أحاولُ الصبرَ على هجرهِ

وَالصّبْرُ مَحْظُورٌ على الصّبّ

وَأكْتُمُ الوَجْدَ، وَقَدْ أصْبَحَتْ

عيناىَ عينين على القلبِ

قدْ كنتُ ذا صبرٍ وذا سلوةٍ

فاستشهدا في طاعةِ الحبِّ

ياليلُ ؛ ما أغفلَ ، عما بي ،

ياليلُ ؛ ما أغفلَ ، عما بي ،

حبائبي فيكَ وأحبابي

يا ليلُ ، نامَ الناسُ عنْ موضعِ

ناءٍ، عَلى مَضْجَعِهِ نَابي

هبتْ لهُ ريحٌ شاميةٌ

مَتّتْ إلى القَلْبِ بأسْبَابِ

أدتْ رسالاتِ حبيبٍ لنا

فَهمْتُهَا مِنْ بَيْنَ أصْحَابي

أبنيتي ، لا تحزني

أبنيتي ، لا تحزني

كلُّ الأنامِ إلى ذهابِ

أبنيتي ، صبراً جميـ

ـلاً للجَليلِ مِنَ المُصَاب

تُوحِي عَلَيّ بحَسْرَةٍ

من خَلفِ سترك وَالحجابِ

قُولي إذا نَادَيْتِني،

و عيبتِ عنْ ردِّ الجوابِ

زينُ الشبابِ ، " أبو فرا

سِ، لمْ يُمَتَّعْ بالشّبَابِ

وَقَفْتُ‌ي عَلى الأسَى وَالنّحِيبِ

وَقَفَتْني عَلى الأسَى وَالنّحِيبِ

مُقْلَتَا ذَلِكَ الغَزَال الرّبِيب

كلما عادني السلوُّ ؛ رماني

غنْجُ ألحاظِهِ بِسَهْمٍ مُصِيبِ

فَاتِرَاتٍ قَوَاتِلٍ، فَاتِنَاتٍ،

فاتكاتٌ سهامها في القلوبِ

هَلْ لِصَبٍّ مُتَيَّمٍ مِنْ مُعِينِ

و لداءٍ مخامرٍ منْ طبيبِ

أيّهَا المُذْنِبُ المُعَاتِبُ حَتى

خِلْتُ أنّ الذّنُوبَ كانَتْ دُنوبي

كنْ كما شئتَ منْ وصالٍ وهجرٍ

غيَرُ قَلْبي عَلَيْكَ غَيرُ كَئِيبِ

لكَ جسمُ الهوى ، وثغرُ الأقاحي ،

و نسيمُ الصبا ، وقدُّ القضيبِ

قَد جَحدتَ الهَوَى وَلَكِنْ أقَرّتْ

سِيمِيَاءُ الهَوَى وَلَحظُ المُرِيبِ

أنا في حالتي وصالٍ وهجرٍ

من جوى الحبِّ في عذابٍ مذيبِ

بينَ قربٍ منغصٍ بصدودٍ

ووصالٍ منغصٍ برقيبِ

يَا خَلِيلِيَّ، خَلّياني وَدَمْعي

إنّ في الدّمْع رَاحَةَ المَكْرُوبِ

ما تقولانِ في جهادٍ محبٍ

وَقْفَ القَلْبَ في سَبِيلِ الحَبِيبِ

هلْ منْ الظاعنينَ مهدٍ سلامي

للفَتى المَاجِدِ الأريبِ الأدِيبِ

ابنُ عَمّي الدّاني عَلى شَحطِ دارِ

وَالقريبُ المَحَلّ غَيرُ قَرِيبِ

خالصُ الودِّ ، صادقُ الوعدِ ، أنسي

في حُضُوري مُحافظٌ في مَغِيبي

كُلَّ يَوْمٍ يُهْدي إليّ ريَاضاً

جادها فكرهُ بغيثٍ سكوبِ

واردات بكل أنسٍ وبرٍّ

وَافِدَاتٍ بِكُلّ حُسْنٍ وَطِيبِ

يابنَ نصرٍ " وقيتَ بؤسَ الليالي "

و صروفَ الردى ، وكربَ الخطوبِ

بَانَ صَبْري لمّا تَأمّلَ طَرْفي

بَانَ صَبري ببَين ظَبي رَبيبِ

يا ضَاربَ الجَيش بي في وَسْطِ مَفرقهِ

يا ضَاربَ الجَيش بي في وَسْطِ مَفرقهِ

لقدْ ضربتَ بنفس الصارم الغضبِ

لا تَحرزُ الدّرْعُ عَني نَفسَ صَاحبها

وَلا أُجيرُ ذِمَامَ البيضِ وَاليَلَبِ

و لا أعودُ برمحي غيرَ منحطمٍ

و لا أروحُ بسيفي غيرَ مختضبِ

حَتى تَقُولَ لَكَ الأعْداءُ رَاغِمَةً

" أضحى ابنُ عمكَ هذا فارسَ العربِ "

هيهاتَ لا أجحدُ النعماءَ منعمها

خلفتَ " يابنَ أبي الهيجاءِ " فيَّ أبي

يَا مَنْ يُحاذِرُ أنْ تَمضِي عَليّ يَدٌ

مَا لي أرَاكَ لبيضِ الهندِ تسمحُ بي

و أنتَ بي منْ أضنِّ الناسِ كلهم

فكيفَ تبذلني للسمرِ والقضبِ

ما زلتُ أجهلُهُ فضلاً وأنكره

نعمى ، وأوسعُ منْ عجبٍ ومنْ عجبِ

حتى رأيتكَ بينَ الناسِ مجتنباً

تُثْني عَليّ بوَجْهٍ غَيرِ مُثّئِبِ

فعندها ، وعيونُ الناسِ ترمقني

عَلِمْتُ أنّكَ لم تُخطىء ولم أصِبِ

وَمُعَوَّدٍ للكَرّ في حَمَسِ الوَغى ،

وَمُعَوَّدٍ للكَرّ في حَمَسِ الوَغَى ،

غادرتهُ ؛ والفرُّ منْ عاداتهِ

حَمَلَ القَنَاةَ عَلى أغَرَّ سَمَيْدَعٍ،

دَخّالِ مَا بَينَ الفَتى وَقَنَاتِهِ

لا أطْلُبُ الرّزْقَ الذّلِيلَ مَنَالُهُ

فَوْتُ الهَوَان أذلّ مِنْ مَقْتَاتِهِ

علقتْ بناتُ الدهرِ ، تطرقُ ساحتي

لما فضلتُ بنيهِ في حالاتهِ

فالحربُ ترميني ببيضِ رجالها

وَالدّهْرُ يَطرُقُني بِسُودِ بَنَاتِهِ

و ما هوَ إلاَّ أنْ جرتْ بفراقنا

و ما هوَ إلاَّ أنْ جرتْ بفراقنا

يَدُ الدّهرِ حتى قيلَ، مَن هُوَ حارثُ

يُذكّرُنا بُعْدُ الفِرَاق عُهُودَهُ،

وَتِلْكَ عُهُودٌ قَدْ بَلِينَ رَثَائِثُ

ألا ليتَ قومي، والأماني مثيرةٌ ،

ألا ليتَ قومي، والأماني مثيرةٌ ،

شُهُودِيَ، وَالأرْوَاحُ غَيرُ لَوَابِثِ

غداةً تناديني الفوارسُ ؛ والقنا

تردُّ إلى حدِّ الظبا كلَّ ناكثِ

أحارثُ " إنْ لمْ تصدرِ الرمحَ قانياً "

"و لمْ تدفعِ الجلى فلستَ " بحارثِ

قامتْ إلى جارتها

قامتْ إلى جارتها

تشكو ، بذلٍ وشجا

أما ترينَ ، ذا الفتى

مَرّ بنَا مَا عَرّجَا

إنْ كانَ ما ذاقَ الهوى ،

فَلا نَجَوْتُ، إنْ نَجَا

جَارِيَةٌ ، كَحْلاءُ، ممشوقةٌ ،

جَارِيَةٌ ، كَحْلاءُ، ممشوقَةٌ ،

في صدرها حقان من عاج

شَجَا فُؤادي طَرْفُهَا السّاجي،

وكُلّ سَاجٍ طَرْفُهُ شَاج

" ألا أبلغْ سراةَ " بني كلابِ

" ألا أبلغْ سراةَ " بني كلابِ

إذا ندبتْ نوادبهمْ صباحا

جزيتُ سفيههمْ سوءاً بسوءٍ

فَلا حَرَجاً أتَيْتُ وَلا جُنَاحَا

قَتَلْتُ فَتى بَني عَمْرِو بن عَبْدٍ

وَأوْسَعَهُمْ عَلى الضّيفَانِ سَاحَا

قَتَلْتُ مُعَوَّداً عَلَلَ العَشَايَا،

تخيرتِ العبيدُ لهُ اللقاحا

ولستُ أرى فساداً في فسادٍ

يَجُرّ عَلى طَرِيقَتِهِ صَلاحَا

" عجبتُ ، وقدْ لقيتَ بني " كلابٍ

" عجبتُ ، وقدْ لقيتَ بني " كلابٍ

و أرواحُ الفوارس تستباحُ

و كيفَ رددتُ غربَ الجيش عنهمْ

وَقَدْ أخَذَتْ مَآخِذَهَا الرّمَاحُ

أ " أبا العشائر " لا محلُّكَ دارسٌ

أ " أبا العشائر " لا محلُّكَ دارسٌ

بينَ الضلوع ، ولا مكانكَ نازحُ

إني لأعلمُ بعدَ موتكَ أنهُ

مَا مَرّ لِلأسَرَاءِ يَوْمٌ صَالِحُ

وَقَدْ أرُوحُ، قَرِيرَ العَينِ، مُغْتَبِطاً

وَقَدْ أرُوحُ، قَرِيرَ العَينِ، مُغْتَبِطاً

بِصَاحِبٍ مِثْلِ نَصْلِ السّيفِ وَضّاحِ

عذبِ الخلائق ، محمودٍ طرائقهُ ،

عَفّ المَسامع، حتى يَرْغَمَ اللاّحي

لما رأى لحظاتي في عوارضهِ ،

فيما أشاءَمنَ الريحان والراح

لاثَ اللثَامَ عَلى وَجْهٍ أسِرَّتُهُ

كَأنّها قَمَرٌ أوْ ضَوءُ مِصْبَاح

عَدَتْني عَنْ زِيَارَتِكُمْ عَوَادٍ

عَدَتْني عَنْ زِيَارَتِكُمْ عَوَادٍ

أقَلُّ مَخُوفِهَا سُمْرُ الرّمَاح

وَإنّ لِقَاءَهَا لَيَهُونُ عِنْدي،

إذَا كَانَ الوُصُولُ إلى نَجَاح

وَلَكِنْ بَيْنَنَا بَيْنٌ وَهَجْرٌ

أأرجو بعدَ ذلكَ منْ صلاح

أقمتُ ، ولوْ أطعتُ رسيسَ شوقي

ركبتُ إليكَ أعناقَ الرياح

تَبَسّمَ، إذْ تَبَسّمَ، عَنْ أقاح

تَبَسّمَ، إذْ تَبَسّمَ، عَنْ أقَاح

وَأسْفَرَ، حِينَ أسفَرَ، عَن صَبَاح

وَأتْحَفَنِي بِكَأسٍ مِنْ رُضَابِ،

و كأسٍ من جنى خدٍ وراح

فمنْ لألاءِ غرتهِ صباحي

وَمِنْ صَهْبَاءِ ريقَتِهِ اصْطِبَاحي

فَلا تَعْجَلْ إلى تَسْرِيحِ رُوحي

فَمَوْتي فِيكَ أيسَرُ مِنْ سَرَاحي

أغصُّ بذكرهِ ، أبداً ، بريقي

أغصُّ بذكرهِ ، أبداً ، بريقي

و أشرقُ منهُ بالماءِ القراحِ

و تمنعني مراقبةُ الأعادي

غُدُوّي للزّيارَةِ أوْ رَوَاحي

وَلَوْ أنّي أُمَلّكُ فِيهِ أمْرِي

ركبتُ إليهِ أعناقَ الرياحَ

لمْ أؤاخذكَ بالجفاءِ ، لأني ،

لمْ أؤاخذكَ بالجفاءِ ، لأني ،

وَاثِقٌ مِنْكَ بالوَفَاءِ الصّحِيحِ

فجميلُ العدوِّ غيرُ جميلٍ ،

و قبيحُ الصديقِ غيرُ قبيحِ

علونا " جوشنا " بأشدَّ منهُ ،

علونا " جوشنا " بأشدَّ منهُ ،

وَأثْبَتَ عِنْدَ مُشْتَجَرِ الرّماحِ

بجيشٍ جاشَ ، بالفرسانِ ، حتى

ظننتَ ، البرَّ بحراً منْ سلاحِ

و ألسنةٍ منَ العذباتِ حمرٍ

تخاطبنا بأفواهِ الرماحِ

و أروعَ ، جيشهُ ليلٌ بهيمٌ ،

و غرتهُ عمودٌ منْ صباحِ

صفوحٌ عندَ قدرتهِ كريمٌ

قليلُ الصفح ما بينَ الصفاح

فكانَ ثباتهُ للقلبِ قلباً

وَهَيْبَتُهُ جَنَاحاً للجَنَاح

أقْبَلَتْ كَالبَدْر تَسْعَى ،

أقْبَلَتْ كَالبَدْرِ تَسْعَى ،

غلساً ، نحوي ، براح

قُلْتُ أهْلاً بِفَتَاةٍ ،

حملتْ نورَ الصباح

عَلّلي بالكَأسِ مَنْ أصـْ

بحَ منها غيرَ صاح

أيَلْحاني، عَلى العَبَرَاتِ، لاح

أيَلْحاني، عَلى العَبَرَاتِ، لاح

وَقد يَئسَ العَوَاذِلُ من صَلاحي

تَمَلَّكَني الهَوَى بَعدَ التّأبّي،

وَرَوَّضَنِي الهَوَى بَعْدَ الجِمَاح

أسَكْرَى اللّحظِ طيّبَةَ الثنَايا

أفترى اللحظِ ، جائلةَ الوشاح

رَمَتْني نحوَ دارِكِ كُلّ عَنْسٍ

وَصَلتُ لهَا غُدُوّيَ بالرّوَاح

تطاولَ فضلُ نسعتها ، وقلتْ

فُضُولُ زِمَامِهَا، عِندَ المَرَاحِ

حَمَلنَ إلَيْكِ صَبَّاً ذا ارْتِيَاحِ

بقربكِ ، أو مساعدَ ذي ارتياح

أخا عشرينَ ، شيبَ عارضيهِ

مريضُ اللّحظِ في الحدق الصّحاح

نَزَحنَ مِن الرُّصَافَةِ عَامِدَاتٍ

أخَفّ الفَارسِينَ إلى الصّيَاحِ

إذا مَا عَنّ لي أرَبٌ بأرْضٍ،

ركبتُ لهُ ، ضمينَاتِ النجاح

و لي عندَ العداةِ ، بكلِّ أرضٍ ،

دُيُونٌ في كَفَالاتِ الرّمَاح

إذا التفتْ عليَّ سراةُ قومي

وَلاقَينا الفوارسَ في الصَّباح

يَخِفّ بها إلى الغَمَرَاتِ طَوْدٌ

بناتِ السبق تحتَ بني الكفاح

تَكَدّرَ نَقْعُهُ، وَالجَوّ صَافٍ،

و أظلمَ وقتهُ ، واليومُ صاح

و كلُّ معذلٍ في الحيِّ آبٍ

على العذال ؛ عصاءُ اللواحي

دُيُونٌ في كَفالاتِ الرّمَاح

دُيُونٌ في كَفَالاتِ الرّمَاح

وَأكْبَادٌ مُكَلّمَةُ النّوَاحي

و حزنٌ ، لا نفاذَ لهُ ؛ ودمعُ

يلاحي ، في الصبابةِ ، كلَّ لاح

أتَدْري مَا أرُوحُ بِهِ وَأغْدُو،

فَتَاةُ الحَيّ حَيّ بَني رَبَاح

ألا يَا هَذِهِ، هلْ مِنْ مَقِيلٍ

لِضِيفانِ الصّبَابَةِ، أوْ رَوَاح

فَلَوْلا أنْتِ، مَا قَلِقَتْ ركابي

فَتَاةُ الحَيّ حَيّ بَني رَبَاح

و منْ جراكِ ، أوطنتُ الفيافي

وَفِيكِ غُذِيتُ أَلْبَانَ اللِّقَاح

رَمَتْكِ مِنَ الشّآمِ بنَا مطَايا

قِصَارُ الخَطْوِ، دَامِيَةُ الصِّفَاح

تجولُ نسوعها ، وتبيتُ تسري

إلى غرّاءَ، جَائِلَةِ الوِشَاح

إذا لمْ تشفَ ، بالغدواتِ ، نفسي

وَلا هَبّتْ إلى نَجْدٍ رِيَاحي

يُلاحي، في الصّبَابَةِ، كُلّ لاح

وقدْ هبتْ لنا ريحُ الصباح

لَقَدْ أخَذَ السُّرَى وَاللَّيْلُ مِنّا،

فهلْ لكَ أن تريحَ بجوِّ راحِ

فَقُلْتُ لَهُمْ عَلى كُرْهٍ أريحوا

وَلا هَبّتْ إلى نَجْدٍ رِيَاحي

إرَادَةَ أنْ يُقَالَ أبُو فِرَاسٍ،

عَلى الأصْحابِ، مأمونُ الحِماح

و كمْ أمرٍ أغالبُ فيهِ نفسي

ركبتُ ، مكانَ أدنى للنجاح

يُلاحي، في الصّبَابَةِ، كُلّ لاح

وَآسُو كُلّ خِلٍّ بالسّمَاح

وَإنّا غَيرُ أنْامٍ لِنَحْوي

حِمَامَ المَاءِ، وَالمَرْعَى المُبَاح

وَإنّا غَيرُ أنْامٍ لِنَحْوي

مَنِيعَ الدّارِ، وَالمَال المُرَاح

لأملاكِ البلادِ ، عليَّ ، طعنٌ

يحلُّ عزيمةَ الدرعِ الوقاح

و يومٍ ، للكماةِ بهِ اعتناقً ،

و لكنَّ التصافحَ بالصفاح

و ما للمالِ يروي عنْ ذويهِ

وَيُصْبِحُ في الرّعَادِيدِ الشّحَاح

لنَا مِنْهُ، وإنْ لُوِيَتْ قَلِيلاً،

وَحُزْنٌ، لا نَفَادَ لَهُ، وَدَمْعٌ

أتَدْري مَا أرُوحُ بِهِ وَأغْدُو،

تراهُ ، إذا الكماةُ الغلبُ شدوا

أشدَّ الفارسين إلى الكفاح

أتَاني مِنْ بَني وَرْقَاءَ قَوْلٌ

ألذُّ جنًى منَ الماءِ القراح

و أطيبُ منْ نسيمِ الروضِ حفتْ

بهِ اللذاتُ منْ روح وراحَ

وَتَبْكي في نَوَاحِيه الغَوَادي

بأدمعها ، وتبسمُ عنْ أقاح

عتابكَ يابنَ عمٍ بغيرِ جرمٍ

وَإنّا غَيرُ بُخّالٍ لِنَحْمي

و ما أرضى انتصافاً منْ سواكمْ

وَأُغضي مِنكَ عَن ظُلمٍ صُرَاح

أظَنّاً إنّ بَعْضَ الظّنّ إثْمٌ

أمَزْحاً رُبّ جِدٍّ في مُزَاح

إذا لمْ يَثْنِ غَرْبَ الظّنّ ظَنّ

بسطتُ العذرَ في الهجرِ المباح

أأثْرُكُ في رِضَاكَ مَدِيحَ قَوْمي

أُصَاحِبُ كُلّ خِلٍّ بالتّجَافي

و همْ أصلٌ لهذا الفرعِ طابتْ

وَكَمْ أمْرٍ أُغَالِبُ فِيهِ نَفْسي

بقاءُ البيضِ عمرُ الشملِ فيهم

و حطُّ السيفِ أعمارُ اللقاح

أعزُّ العالمينَ حمىً وجاراً ،

وَأكرَمُ مُسْتَغَاثٍ مُستَمَاح

أريتكَ يابنَ عمٍّ بأيِّ عذرٍ

عدوتَ عن الصوابِ ؛ وأنتَ لاح

وَإنّا غَيرُ بُخّالٍ لِنَحْمي

كفعلكَ ؛ أم بأسرتنا افتتاحي

وَهَلْ في نَظْمِ شِعري من طريفٍ

لمغدىً في مكانكَ ؛ أو مراح

أمِنْ كَعْبٍ نَشَا بَحْرُ العَطَايَا

و صاحبُ كلِ خلٍّ مستبيح

وَتَبْكي في نَوَاحِيه الغَوَادي

و هذا السيلُ منْ تلكَ الغوادي

و هذي السحبُ منْ تلكَ الرياح

وَآسُو كُلّ خِلٍّ بالسّمَاح

أفي مدحي لقومي منْ جناح

يُلاحي، في الصّبَابَةِ، كُلّ لاح

و منْ أضحى امتداحهمْ امتداحي

و لستُ ، وإنْ صبرتُ على الرزايا

ألاَ حي أسرتي ، وبهمْ ألاحي

و لو أني اقترحتُ على زماني

لكنتمْ ، يا " بني ورقا " اقتراحي

تَمَنَّيْتُمْ أنْ تَفْقِدُوني، وَإنّما

تَمَنَّيْتُمْ أنْ تَفْقِدُوني، وَإنّما

تَمَنَّيْتُمُ أنْ تُفْقِدُوا العِزَّ أصْيَدَا

أما أنا أعلى منْ تعدونَ همةً

وَإنْ كنتُ أدنَى مَن تَعُدّونَ موْلدَا

إلى الله أشْكُو عُصْبَةً من عَشِيرَتي

يسيئونَ لي في القول ،غيباً ومشهدا

و إنْ حاربوا كنتُ المجنَّ أمامهم

وَإنْ ضَارَبُوا كنتُ المُهَنّدَ وَاليَدَا

و إنْ نابَ خطبٌ ، أوْ ألمتْ ملمةٌ ،

جعلتُ لهمْ نفسي ، وما ملكتْ فدا

يودونَ أنْ لا يبصروني ، سفاهةً ،

وَلَوْ غِبتُ عن أمرٍ تَرَكتُهُمُ سُدَى

فعالي لهمْ ، لوْ أنصفوا في جمالها

وَحَظٌّ لنَفسي اليَوْمَ وهَوَ لهمْ غَدا

فَلا تَعِدوني نِعمَةً ، فَمَتى غَدَتْ

فَأهلي بهَا أوْلى وَإنْ أصْبَحُوا عِدَا

يا طولَ شَوْقيَ إن قالوا الرّحِيلُ غدا،

يا طولَ شَوْقيَ إن قالوا الرّحِيلُ غدا،

لا فَرّقَ اللّهُ فِيمَا بَيْنَنَا أبَدَا

يا منْ أصافيهِ في قربٍ وفي بعدِ

وَمَنْ أُخَالِصُهُ إنْ غَابَ أوْ شَهِدَا

راعَ الفراقُ فؤاداً كنتَ تؤنسهُ

وَذَرّ بَينَ الجُفُون الدّمعَ والسُّهُدا

لا يُبْعِدِ اللّهُ شَخْصاً لا أرَى أنَساً

وَلا تَطِيبُ ليَ الدّنْيَا إذا بَعُدا

أضحى وأضحيتُ في سرٍ وفي علنٍ

أعدهُ والداً إذْ عدني ولدا

ما زالَ ينظمُ فيَّ الشعرَ مجتهداً

فضلاً وأنظمُ فيهِ الشعرَ مجتهدا

حَتى اعْتَرَفْتُ وَعَزّتْني فَضَائِلُهُ،

و فاتَ سبقاً وحازَ الفضلَ منفردا

إنْ قَصّرَ الجُهْدَ عَنْ إدْرَاكِ غايَتِه

فأعذرُ الناسِ منْ أعطاكَ ما وجدا

أبقى لنا اللهُ مولانا ؛ ولا برحتْ

أيّامُنَا، أبَداً، في ظِلّهِ جُدُدَا

لا يطرق النازلُ المحذورُ ساحتهُ

وَلا تَمُدّ إلَيْهِ الحَادِثَاتُ يَدَا

الحَمْدُ للّهِ حَمْداً دَائِماً أبَدا

أعطانيَ الدهرُ ما لمْ يعطهِ أحدا

أهْدَى إلَيّ صَبَابَةً وَكَآبَةً

أهْدَى إلَيّ صَبَابَةً وَكَآبَةً

فأعادني كلفَ الفؤادِ عميدا

إنَّ الغزالةَ والغزالةَ أهدتا

وَجْهَاً إليكَ، إذا طَلَعتَ، وَجِيدا

إلى اللّهِ أشكُو مَا أرَى من عَشَائِرٍ

إلى اللّهِ أشكُو مَا أرَى من عَشَائِرٍ

إذا ما دنونا زادَ جاهلهم بعدا

وَإنّا لَتَثْنِينَا عَوَاطِفُ حِلْمِنَا

عَلَيْهِمْ، وَإنْ ساءتْ طَرَائقُهمْ جِدّا

وَيَمْنَعُنَا ظُلْمَ العَشِيرةِ أنّنَا

إلى ضُرّهَا، لوْ نَبتَغي ضُرّها، أهدَى

وَإنّا إذا شِئْنَا بعَادَ قَبيلَةٍ

جَعَلْنَا عِجالاً دُونَ أهلِهِمُ نجدَا

وَلَوْ عَرَفَتْ هذي العَشائرُ رُشْدَهَا

إذا جعلتنا دونَ أعدائها سدا

وَلَكِنْ أُرَاهَا، أصْلَحَ الله حالَها

و أخلقها بالرشدِ - قدْ عدمتْ رشدا

إلى كَمْ نَرُدّ البيضَ عَنهُم صَوَادياً

وَنَثني صُدورَ الخيلِ قد مُلئتْ حقدَا

وَنَغْلِبُ بالحِلْمِ الحَمِيّةَ مِنْهُمُ

وَنَرْعَى رجالاً لَيس نَرْعى لهم عهدَا

أخَافُ عَلى نَفْسي وَللحَرْبِ سَوْرَةٌ

بَوَادِرَ أمْرٍ لا تُطِيقُ لَهَا رَدّا

و جولةَ حربٍ يهلكُ الحلمَ دونها

وصولةَ بأسٍ تجمعُ الحرَّ والعبدا

وَإنّا لَنَرْمي الجَهلَ بالجَهْلِ مَرّةً

إذا لمْ نَجِدْ مِنْهُ عَلى حَالةٍ بُدّا

يا معجباً بنجومهِ

يا معجباً بنجومهِ

لا النحسُ منكَ ولاَ السعاده

اللّهُ يُنْقِصُ مَا يَشَا

ءُ وَفي يَدِ اللَّهِ الزّيَادَة

دَعْ مَا أُريدُ وَمَا تُريـ

ـدُ، فَإنّ للَّهِ الإرَادَة

دعوناكَ ، والهجرانُ دونكَ ؛ دعوةً

دعوناكَ ، والهجرانُ دونكَ ؛ دعوةً

أتاكَ بها بقظانَ فكركَ لا البردُ

فَأصْبَحْتَ مَا بَينَ العَدْوّ وَبَيْنَنَا

تجاري بكَ الخيلُ المسومةُ الجردُ

أتَيْنَاكَ، أدْنَى مَا نُحِيبُكَ، جُهدنا،

فأهوَنُ سَيرِ الخيلِ من تَحتِنَا الشّدّ

بكلِّ ، نزاري أتتكَ بشخصهِ

عوائدُ منْ حاليكَ ليسَ لها ردُّ

نباعدهمْ وقتاً كما يبعدُ العدا

وَنُكْرِمُهُمْ وَقتاً كمَا يُكرَمُ الوَفدُ

وندنو دنواً لا يولدُ جرأةً

و نجفو جفاءً لا يولدهُ زهدُ

أفضتَ عليهِ الجودَ منْ قبلِ هذهِ

و أفضلُ منهُ ما يؤملهُ بعدُ

وَحُمْرِ سُيُوفٍ لا تَحِفّ لهَا ظُبىً

بأيدِي رجالٍ لا يُحَطّ لهَا لِبْدُ

و زرقٍ تشقُّ البردَ عنْ منهجِ العدا

و تسكنُ منهمْ أينما سكنَ الحقدُ

وَمُصْطَحَباتٍ قارَبَ الرّكضُ بَينَها

وَلَكِنْ بِهَا عَنْ غَيرِها أَبَداً بُعْدُ

نشردهمْ ضرباً كما شردَ القطا

و ننظمهمْ طعناً كما نظمَ العقدُ

لَئِنْ خَانَكَ المَقْدُورُ فِيمَا نَوَيْتَهُ

فما خانَكَ الرّكضُ المواَصلُ والجهدُ

تُعَادُ كمَا عُوّدْتَ، وَالهَامُ صَخْرُها،

وَيُبْنَى بهَا المَجدُ المُؤثَّلُ وَالحَمْدُ

ففي كفكَ الدنيا وشيمتكَ العلا

وَطَائِرُكَ الأعْلى وَكَوْكَبكَ السّعدُ

أيا عاتباً ، لا أحملُ ، الدهرَ ، عتبهُ

أيا عاتباً ، لا أحملُ ، الدهرَ ، عتبهُ

علّيّ وَلا عِنْدِي لأنْعُمِهِ جَحْدُ

سأسكتُ إجلالاً لعلمكَ أنني

إذا لمْ تكنْ خصمي ليَ الحججُ اللدُّ

نَبْوَةُ الإدْلال لَيْسَتْ،

نَبْوَةُ الإدْلال لَيْسَتْ،

عِنْدَنَا، ذَنْباً يُعَدُّ

قُلْ لِمَنْ لَيسَ لهُ عَهْـ

ـدٌ، لَنَا عَهْدٌ وَعَقْدُ

جُمْلَةٌ تُغْني عَنِ التّفْـ

" ـصيل " مالي عنكَ بدُّ

إنْ تَغَيَّرْتَ فَمَا غُيِّـ

ـرَ مِنّا لكَ عَهْدُ

عَطفتُ على عَمرو بن تغلِبَ بَعدَما

عَطفتُ على عَمرو بن تغلِبَ بَعدَما

تَعَرّضَ مني جانِبٌ لَهُمُ صَلْدُ

ولا خيرَ في هجرِ العشيرةِ لامرِيءٍ

يَرُوحُ عَلى ذَمّ العَشِيرَةِ أوْ يَغْدُو

ولَكِنْ دُنُوٌّ لا يُوَلّدُ هِجْرَةً ،

وَهَجْرٌ رَفِيقٌ لا يُصَاحِبُهُ زُهْدُ

نباعدهمْ طوراً ؛ كما يبعدُ العدا ؛

ونُكرِمُهُمْ طَوْراً كمَا يُكرَمُ الوَفدُ

لقدْ كنتُ أشكو البعدَ منكَ وبيننا

لقدْ كنتُ أشكو البعدَ منكَ وبيننا

بلادٌ إذا ما شِئتُ قَرّبَها الوَخْدُ

" فكيفَ وفيما بيننا ملكُ " قيصرٍ

وَلا أمَلٌ يُحيي النّفُوسَ وَلا وَعدُ

هَل للفصاحَةِ ، وَالسّمَا

هَل للفَصاحَةِ ، وَالسّمَا

حةِ والعلى عني محيدُ

إذْ أنتَ سيدي الذي

رَبّيْتَني وَأبي سَعِيدُ

في كلِّ يومٍ أستفيـ

ـدُ منَ العلاء ، وأستزيدُ

وَيَزيدُ فيّ إذا رَأيْـ

ـتُكَ في النّدَى خُلُقٌ جَدِيدُ

دَعَوْتُكَ للجَفْنِ القريحِ المُسَهّدِ

دَعَوْتُكَ للجَفْنِ القَرِيحِ المُسَهّدِ

لَدَيّ، وَللنّوْمِ القَلِيلِ المُشَرّدِ

وَمَا ذاكَ بُخْلاً بالحَيَاةِ ، وَإنّهَا

لأوّلُ مَبْذُولٍ لأوّلِ مُجْتَدِ

وَمَا الأسْرُ مِمّا ضِقْتُ ذَرْعاً بحَمْلِهِ

و ما الخطبُ مما أنْ أقولَ لهُ قدِ

وَما زَلّ عَني أنّ شَخصاً مُعَرَّضاً

لنبلِ العدى ؛ إنْ لمْ يصبْ ؛ فكأن ْقدِ

وَلَكِنّني أخْتَارُ مَوْتَ بَني أبي

على صهواتِ الخيل ، غيرَ موسدِ

وَتَأبَى وَآبَى أنْ أمُوتَ مُوَسَّداً

بأيدي النّصَارَى مَوْتَ أكمَدَ أكبَدِ

نضوتُ على الأيامِ ثوبَ جلادتي ؛

ولكنني لمْ أنضُ ثوبَ التجلدِ

و ما أنا إلا بينَ أمرٍ، وضدهُ

يجددُ لي ، في كلِّ يومٍ مجددِ

فمِنْ حُسن صَبرٍ بالسّلامَةِ وَاعِدي،

ومنْ ريبِ دهرٍ بالردى ، متوعدي

أقلبُ طرفي بينَ خلٍّ مكبلٍ

وَبَينَ صَفِيٍّ بِالحَدِدِ مُصَفَّدِ

دَعَوْتُكَ، وَالأبْوَابُ تُرْتَجُ دونَنا،

فكُنْ خَيرَ مَدْعُوٍّ وَأكرَمَ مُنجِدِ

فمثلكَ منْ يدعى لكلّ عظيمةٍ

و مثليَ منْ يفدى بكلّ مسودِ

أناديكَ لا أني أخافُ منَ الردى

و لا أرتجي تأخيرَ يومٍ إلى غدِ

وَقَد حُطّمَ الخَطّيّ وَاختَرَمَ العِدى

و فلَ حدُّ المشرفيِّ المهندِ

و لكنْ أنفتُ الموتَ في دارغربةٍ ،

بأيدي النّصَارَى العُلفِ مِيتَةَ أكمَدِ

فلا تتركِ الأعداءَ حولي ليفرحوا

وَلا تَقطعِ التّسآلَ عَني، وَتَقْعُدِ

وَلا تَقعُدنْ، عني، وَقَد سيمَ فِديَتي،

فلَستَ عن الفِعْلِ الكَرِيمِ بِمُقْعَدِ

فكمْ لكَ عندي منْ أيادٍ وأنعمٍ

رفعتَ بها قدري وأكثرتَ حسدي

تَشَبّثْ بها أكرُومَةً قَبْلَ فَوْتِهَا،

وَقُمْ في خلاصي صَادق العزْمِ وَاقعُدِ

فإنْ مُتُّ بَعدَ اليَوْمِ عابكَ مَهلكي

معابَ الزراريين ، مهلكَ معبدِ

هُمُ عَضَلُوا عَنهُ الفِدَاءَ فأصْبَحُوا

يهدونَ أطرافَ القريضِ المقصدِ

و لمْ يكُ بدعاً هلكهُ ؛ غيرَ أنهمْ

يُعَابُونَ إذْ سِيمَ الفِداءُ وَما فُدي

فَلا كانَ كَلبُ الرّومِ أرأفَ مِنكُمُ

وَأرْغَبَ في كَسْبِ الثّنَاءِ المُخَلَّدِ

و لا يبلغ الأعداءُ أنْ يتناهضوا

وَتَقْعُدَ عَنْ هَذا العَلاءِ المُشَيَّدِ

أأضْحَوْا عَلى أسْرَاهُمُ بيَ عُوّداً،

وَأنْتُمْ عَلى أسْرَاكُمُ غَيرُ عُوّدِ

مَتى تُخلِفُ الأيّامُ مِثْلي لكُمْ فَتىً

طويلَ نِجَادِ السَّيفِ رَحْبَ المُقَلَّدِ

مَتى تَلِدُ الأيّامُ مِثْلي لكُمْ فَتىً

شَدِيداً عَلى البأساءِ، غَيرَ مُلَهَّدِ

فإنْ تَفْتَدُوني تَفْتَدُوا شَرَفَ العُلا،

و أسرعَ عوادٍ إليها ، معوَّدِ

وَإنْ تَفْتَدُوني تَفْتَدُوا لِعُلاكُمُ

فتى غيرَ مردودِ اللسانِ أو اليدِ

يطاعنُ عنْ أعراضكمْ ؛ بلسانهِ

وَيَضْرِبُ عَنْكُمْ بالحُسَامِ المُهَنّدِ

فَمَا كُلّ مَنْ شَاءَ المَعَالي يَنَالُها،

و لاَ كلُّ سيارٍ إلى المجدِ يهتدي

أقِلْني أقِلْني عَثْرَةَ الدّهْرِ إنّهُ

رماني بسهمٍ ، صائبِ النصلِ ، مقصدِ

وَلَوْ لمْ تَنَلْ نَفسي وَلاءَكَ لمْ أكُنْ

لأوردَهَا، في نَصرِهِ، كُلّ مَوْرِدِ

وَلا كنتُ ألقى الألفَ زُرْقاً عُيُونُهَا

بسَبْعِينَ فِيهِمْ كُلّ أشْأمَ أنكَدِ

فلاَ ، وأبي ، ما ساعدانِ كساعدٍ ،

وَلا وَأبي، ما سَيّدَانِ كَسَيّدِ

وَلا وَأبي، ما يَفْتُقُ الدّهْرُ جَانِباً

فَيَرْتُقُهُ، إلاّ بأمْرِ مُسَدَّدِ

و إنكَ للمولى ، الذي بكَ أقتدي ،

و إنك للنجمُ الذي بكَ أهتدي

وَأنتَ الّذِي عَرَّفْتَني طُرُقَ العُلا،

وَأنْتَ الّذِي أهْدَيْتَني كلّ مَقْصدِ

وَأنْتَ الذي بَلّغْتَني كُلّ رُتْبَةٍ ،

مشيتُ إليها فوقَ أعناقِ حسدي

فَيَا مُلبسي النُّعمَى التي جَلّ قَدرُهَا

لَقَد أخلَقَتْ تِلكَ الثّيابُ فَجَدّدِ

ألمْ ترَ أني ، فيكَ صافحتُ حدها

وَفِيكَ شربتُ المَوْتَ غَيرَ مُصرَّدِ

يَقولونَ جَنّبْ عادَةً مَا عَرَفْتَها،

شَدِيدٌ عَلى الإنْسَانِ ما لمْ يُعَوَّدِ

فَقُلتُ أمَا وَاللَّهِ لا قَالَ قَائِلٌ

شَهِدْتُ لَهُ في الحَرْبِ ألأمَ مَشْهَدِ

وَلَكِنْ سَأَلْقَاهَا، فَإمّا مَنِيّةٌ

هيَ الظنُّ ، أو بنيانُ عزٍّ موطدِ

و لمْ أدرِ أنَّ الدهرَ في عددِ العدا؛

و أنَّ المنايا السودَ يرمينَ عنْ يدِ

بَقيتَ ابنَ عبد الله تُحمى من الرّدى ،

وَيَفْدِيكَ مِنّا سَيّدٌ بَعْدَ سَيّدِ

بعيشةِ مسعودٍ ؛ وأيامِ سالمٍ

و نعمةِ مغبوطٍ ؛ وحالِ محسدِ

ولايحرمني اللهُ قربكَ إنهُ

مرادي منَ الدنيا ؛ وحظي ؛ وسؤددي

لمنْ جاهدَ الحسادَ أجرُ المجاهدِ

لمنْ جاهدَ الحسادَ أجرُ المجاهدِ

وَأعْجَزُ مَا حَاوَلْتُ إرْضَاءُ حَاسِدِ

و لمْ أرَ مثلي اليومَ أكثرُ حاسداً ؛

كأنّ قُلُوبَ النّاسِ لي قَلبُ وَاحِدِ

ألمْ يَرَ هذا النّاسُ غَيْرِيَ فاضِلاً

وَلَمْ يَظْفَرِ الحُسّادُ قَبلي بمَاجِدِ

أرى الغلَّ منْ تحتِ النفاقِ ، وأجتني

مِنَ العَسَلِ المَاذِيّ سُمّ الأسَاوِدِ

وَأصْبِرُ، مَا لَم يُحْسَبِ الصَّبْرُ ذِلّةً ،

وَألْبَسُ، للمَذْمُومِ، حُلّة حَامِدِ

قليلُ اعتذارٍ ، منْ يبيتُ ذنوبهُ

طِلابُ المَعَالي وَاكتِسَابُ المَحامِدِ

و أعلمُ إنْ فارقتُ خلاً عرفتهُ ،

و حاولتُ خلاً أنني غيرُ واجدِ

وَهل غضَّ مني الأسرُ إذْ خفّ ناصري

و قلَّ على تلكَ الأمورِ مساعدي

ألا لا يُسَرّ الشّامِتُونَ، فَإنّهَا

مَوَارِدُ آبَائي الأولى ، وَمَوَارِدِي

و كمْ منْ خليلٍ ، حينَ جانبتُ زاهداً

إلى غَيرِهِ عَاوَدْتُهُ غَيرَ زَاهِدِ

وماكلُّ أنصاري من الناس ناصري

ولاَ كلَّ أعضادي،منَ الناسِ عاضدي

وَهَل نافعي إنْ عَضّني الدّهرُ مُفرَداً

إذا كانَ لي قومٌ طوالُ السواعدِ

وَهَلْ أنَا مَسْرُورٌ بِقُرْبِ أقَاربي

إذا كانَ لي منهمْ قلوبُ الأباعدِ

أيا جاهداً ، في نيلِ ما نلتُ منْ علاً

رويدكَ إني نلتها غيرَ جاهدِ

لَعَمْرُكَ، مَا طُرْقُ المَعَالي خَفِيّةٌ

وَلَكِنّ بَعضَ السّيرِ ليسَ بقَاصِدِ

و يا ساهدَ العينين فيما يريبني ،

ألا إنّ طَرْفي في الأذى غَيرُ سَاهِدِ

غفلتُ عن الحسادِ ، منْ غيرِ غفلةٍ ،

وَبتّ طَويلَ النّوْمِ عَنْ غَيْرِ رَاقِدِ

خليليَّ ، ما أعددتما لمتيمٍ

أسيرٍ لدى الأعداءِ جَافي المَرَاقِدِ

فريدٍ عن الأحبابِ صبٍّ ، دموعهُ

مثانٍ ، على الخدين ، غيرُ فرائدِ

إذا شِئتُ جاهَرْتُ العدوّ، وَلمُ أبتْ

أُقَلّبُ فَكّري في وُجُوهِ المَكَائِدِ

صبرتُ على اللأواءِ ، صبرَ آبنِ حرةٍ ،

كثيرِ العدا فيها ، قليلِ المساعدِ

فطاردتُ، حتى أبهرَ الجريُ أشقري،

وضاربتُ حتى أوهنَ الضربُ ساعدي

و كنا نرى أنْ لمْ يصبْ ، منْ تصرمتْ

مَوَاقِفُهُ عَن مِثلِ هَذي الشّدائِدِ

جمعتُ سيوفَ الهندِ ، منْ كلِّ بلدةٍ ،

وَأعْدَدْتُ للهَيْجَاءِ كُلّ مُجَالِدِ

وأكثرْتُ للغَاراتِ بَيْني وَبَيْنَهُم

بناتِ البكيرياتِ حولَ المزاودِ

إذا كانَ غيرُ اللهِ للمرءِ عدةٌ ،

أَتَتْهُ الرّزَايَا مِنْ وُجُوهِ الفَوَائِدِ

فَقد جَرّتِ الحَنفاءُ حَتفَ حُذَيْفَةٍ

و كانَ يراها عدةً للشدائدِ

وَجَرّتْ مَنَايَا مَالِكِ بنِ نُوَيْرَةٍ

" عقيلتهُ الحسناءُ ؛ أيامَ " خالدِ

وَأرْدى ذُؤاباً في بُيُوتِ عُتَيْبَةٍ ،

أبوهُ وأهلوهُ ؛ بشدو القصائدِ

عسى اللهُ أنْ يأتي بخيرٍ ؛ فإنَّ لي

عوائدَ منْ نعماهُ ، غيَرَ بوائدِ

فكمْ شالني منْ قعرِ ظلماءَ لمْ يكنْ

لِيُنقِذَني مِن قَعرِها حَشدُ حاشِدِ

فإنْ عدتُ يوماً ؛ عادَ للحربِ والعلا

وَبَذْلِ النّدى وَالجُودِ أكرَمُ عائِدِ

مَريرٌ عَلى الأعْدَاءِ، لَكِنّ جارَهُ

إلى خَصِبِ الأكنافِ عَذبِ المَوَارِدِ

مُشَعَّى بِأطْرَافِ النّهارِ وَبَيْنَهَا

لَهُ مَا تَشَهّى ، مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدِ

مَنَعتُ حِمى قَوْمي وَسُدتُ عَشيرَتي

وَقَلّدْتُ أهْلي غُرّ هَذِي القَلائِدِ

خَلائِقُ لا يُوجَدْنَ في كُلّ ماجِدٍ،

وَلَكِنّهَا في المَاجِدِ ابن الأمَاجِدِ

سَلامٌ رائِحٌ، غادِ،

سَلامٌ رائِحٌ، غادِ،

عَلى سَاكِنَةِ الوَادِي

عَلى مَنْ حُبّهَا الهَادَي،

إذَا مَا زُرْتُ، وَالحَادِي

أُحِبُّ البَدْوَ، مِنْ أجْلِ

غزالٍ ، فيهمُ بادِ

ألاَ يا ربةَ الحلي ،

على العاتق والهادي

لقدْ أبهجتِ أعدائي

و قدْ أشمتِ حسادي

بِسُقْمٍ مَا لهُ شافٍ،

و أسرٍ ما لهُ فادِ

فَإخْوَاني وَنُدْمَاني

و عذاليَ عوادي

فَمَا أنْفَكّ عَنْ ذِكْراكِ

في نَوْمٍ وَتَسْهَادِ

بشوقٍ منكِ معتادِ

وَطَيْفٍ غَيْرِ مُعْتَادِ

ألا يا زائرَ الموصـ

ـل حيِّ ذلكَ النادي

فَبالمَوْصِلِ إخْوَاني،

و بالموصل أعضادي

فَقُلْ لِلقَوْمِ يَأتُونِـ

ـي منْ مثنى وأفرادِ

فعندي خصبُ زوارٍ

و عندي ريُّ ورادِ

وَعِنْدِي الظّل مَمْدُوداً

عَلى الحَاضِرِ وَالبَادِي

ألاَ لاَ يَقْعُدِ العَجْزُ

بكمْ عنْ منهلِ الصادي

فَإنّ الحَجّ مَفْرُوضٌ

معَ الناقةِ والزادِ

كفاني سطوةَ الدهرِ

جوادٌ نسلُ أجوادِ

نماهُ خيرُ آباءٍ

نَمَتْهُمْ خَيْرُ أجْدَادِ

فَمَا يَصْبُو إلى أرْضٍ

سوى أرضي وروادي

وقاهُ اللهُ ، فيما عا

شَ، شَرَّ الزّمَن العَادِي

وَزِيَارَةٍ مِنْ غَيرِ وَعْدِ،

وَزِيَارَةٍ مِنْ غَيرِ وَعْدِ،

في لَيْلَةٍ طُرِقَتْ بِسَعْدِ

بَاتَ الحَبِيبُ إلى الصّبَا

حِ معانقي خداً لخدِّ

يُمْتَارُ فيّ وَنَاظِرِي

ما شئتَ منْ خمرٍ وورد

قَدْ كَانَ مَولايَ الأجـ

ـلّ، فَصَيّرَتْهُ الرّاحُ عَبْدِي

لَيْسَتْ بأوّل مِنّةٍ

مشكورةٍ للراحِ عندي

ليسَ جوداً عطيةٌ بسؤالِ

ليسَ جوداً عطيةٌ بسؤالِ

قدْ يهزُّ السؤالِ غيرَ الجوادِ

إنّما الجُودُ مَا أتَاكَ ابْتِدَاءً

لَمْ تَذُقْ فِيهِ ذلّةَ التّرْدَادِ

وَلَمَّا تَخَيَّرْتُ الأخِلاَّءَ لَمْ أجِدْ

وَلَمَّا تَخَيَّرْتُ الأخِلاَّءَ لَمْ أجِدْ

صبوراً على حفظِ المودةِ والعهدِ

سَلِيماً عَلى طَيّ الزّمَانِ وَنَشْرِهِ

أميناً على النجوى صحيحاً على البعدْ

وَلَمّا أسَاءَ الظّنَّ بي مَنْ جَعَلْتُهُ

و إيايَ مثلَ الكفِّ نيطتْ إلى الزندِ

حَمَلْتُ عَلى ضَنّي بِهِ سُوءَ ظَنّه

و أيقنتُ أني بالوفا أمةٌ وحدي

و أني على الحالين في العتبِ والرضى

مقيمٌ على ما كان يعرفُ من ودي

وَإذا يَئِسْتُ مِنَ الدّنُـ

وَإذا يَئِسْتُ مِنَ الدّنُـ

ـوّ رَغِبْتُ في فَرْطِ البعَادِ

أرْجُو الشّهَادَةَ في هَوَا

كَ لأنّ قَلْبي في جِهَادِ

يَا جَاحِداً فَرْطَ غَرَامي بهِ،

يَا جَاحِداً فَرْطَ غَرَامي بهِ،

وَلَسْتُ بالنّاسِي وَلا الجَاحِدِ

أقْرَرْتُ في الحُبّ بمَا تَدّعِي،

فَلَسْتُ مُحْتَاجاً إلى شَاهِدِ

بتنا نعللُ منْ ساق أغنَّ لنا

بتنا نعللُ منْ ساقٍ أغنَّ لنا

بخمرتين منَ الصهباءِ والخدِّ

كَأنّهُ حِينَ أذْكَى نَارَ وَجْنَتَهِ

سُكراً وَأسبَلَ فضْلَ الفاحِمِ الجَعدِ

يعدُّ ماءَ عناقيدٍ بطرتهِ

بمَاءِ مَا حَمَلَتْ خَدّاهُ من وَرْدِ

إني منعتُ منَ المسيسر إليكمُ

إني منعتُ منَ المسيسر إليكمُ

و لو استطعتُ لكنتُ أولَ واردِ

أشكو ، وهل أشكو جنايةَ منعمٍ

غَيْظُ العَدُوّ بِهِ، وَكَبْتُ الحَاسِدِ

قدْ كنتَ عدَّتي التي أسطو بها

وَيَدي إذا اشتَدّ الزّمَانُ وَسَاعِدي

فَرُمِيتُ مِنْكَ بِغَيْرِ مَا أمّلْتُهُ

وَالمَرْءُ يَشْرَقُ بِالزّلالِ البَارِدِ

لكنْ أتتْ دونَ السرورِ مساءةٌ

وَصَلَتْ لهَا كَفُّ القَبُولِ بِسَاعِدِ

فصبرتُ كالولدِ التقيِّ ؛ لبرهِ

أغضى على ألمٍ لضربِ الوالدِ

و نقضتُ عهداً كيفَ لي بوفائهِ

وَسُقيتُ دُونَكَ كأسَ هَمٍّ صَارِدِ

وداع دعاني ، والأسنةُ دونهُ ،

وداع دعاني ، والأسنةُ دونهُ ،

صببتُ عليهِ بالجوابِ جوادي

جنبتُ إلى مهري المنيعيِّ مهرهُ

وَجَلّلتُ مِنْهُ بِالنَّجِيعِ نِجَادي

قولاً لهذا السيدِ الماجدِ

قولاً لهذا السيدِ الماجدِ

قَوْلَ حَزِينٍ، مِثْلِهِ، فَاقِدِ

هَيهَاتَ ما في النّاسِ من خَالِدِ

لا بدَّ منْ فقدٍ ومنْ فاقدِ

كُن المُعَزّى ، لا المُعَزّى بهِ،

إنْ كانَ لا بدَّ منَ الواحدِ

أوصيكَ بالحزنِ ، لا أوصيكَ بالجلدِ

أوصيكَ بالحزن ، لا أوصيكَ بالجلدِ

جلَّ المصابُ عن التعنيفِ والفندِ

إني أجلكَ أن تكفى بتعزيةٍ

عَنْ خَيرِ مُفْتَقَدٍ، يا خَيرَ مُفتقِدِ

هيَ الرّزيّةُ إنْ ضَنّتْ بمَا مَلَكَتْ

منها الجفونُ فما تسخو على أحدِ

بي مثْلُ ما بكَ منْ جزنٍ ومنْ جزعٍ

وَقَدْ لجَأتُ إلى صَبرٍ، فَلَمْ أجِدِ

لمْ يَنْتَقِصْنيَ بُعدي عَنْكَ من حُزُنٍ،

هيَ المواساةُ في قربٍ وفي بعدِ

لأشركنكَ في اللأواءِ إنْ طرقتْ

كما شركتكَ في النعماءِ والرغدِ

أبكي بدَمعٍ لهُ من حسرَتي مَدَدٌ،

وَأسْتَريحُ إلى صَبْرٍ بلا مَدَدِ

وَلا أُسَوِّغُ نَفْسي فَرْحَةً أبَداً،

و قدْ عرفتُ الذي تلقاهُ منْ كمدِ

وأمنعُ النومَ عيني أنْ يلمَّ بها

عِلْماً بإنّكَ مَوْقُوفٌ عَلى السُّهُدِ

يا مُفْرَداً بَاتَ يَبكي لا مُعِينَ لَهُ،

أعانَكَ اللَّهُ بالتّسْلِيمِ والجَلَدِ

هَذا الأسِيرُ المُبَقّى لا فِدَاءَ لَهُ

يَفديكَ بالنّفسِ والأهْلينَ وَالوَلَدِ

وَلَقدْ عَلِمْتُ، وَمَا عَلِمْـ

وَلَقدْ عَلِمْتُ، وَمَا عَلِمْـ

ـتُ، وَإنْ أقمتُ على صُدودِهْ

أنّ الغَزَالةَ وَالغَزَا

لَ، لَفِي تَنَايَاهُ وَجِيدِهْ

لا تطلبنَّ دنوَّ دا

لا تطلبنَّ دنوَّ دا

رِ مِنْ حَبِيبٍ، أوْ مُعَاشِرْ

أبقى لأسبابِ المودَّ

ةِ أنْ تَزورَ وَلا تُجَاوِرْ

الآنَ حينَ عرفتُ رشـ

الآنَ حينَ عرفتُ رشـ

ـدي ، فاغتديتُ على حذرْ

وَنَهَيْتُ نَفْسِي فَانْتَهَتْ،

وَزَجَرْتُ قَلْبي فَانْزَجَرْ

وَلَقَدْ أقَامَ، عَلى الضّلا

لةِ، ثمّ أدْعَنَ، وَاسْتَمَرّ

هيهاتَ ، لستُ " أبا فرا

س " إنْ وفيتُ لمنْ غدرْ

إنْ زُرْتُ «خَرْشَنَةً» أسِيرَا

إنْ زُرْتُ «خَرْشَنَةً» أسِيرَا

فَلَكَمْ أحَطْتُ بها مُغِيرا

وَلَقَدْ رَأيْتُ النّارَ تَنْـ

ـتَهِبُ المَنَازِلَ وَالقُصُورَا

وَلَقَدْ رَأيْتُ السّبْيَ يُجْـ

ـلبُ نحونا حوًّا ، وحورا

نَخْتَارُ مِنْهُ الغَادَةَ الـ

ـحسناءَ ، والظبيَ الغريرَا

إنْ طالَ ليلي في ذرا

كِ فقدْ نعمتُ بهِ قصيرا

و لئنْ لقيتُ الحزن فيـ

ـكَ فقدْ لقيتُ بكِ السرورا

وَلَئِنْ رُمِيتُ بحادِثٍ،

فلأُلفينَّ لهُ صبورا

صبراً لعلَّ اللهَ يفـ

ـتحُ بعدهُ فتحاً يسيراً

منْ كانَ مثلي لمْ يبتْ

إلاّ أسِيراً، أوْ أمِيرا

لَيْسَتْ تَحُلّ سَرَائُنَا

إلا الصدورَ أو القبورا

إذا شِئتَ أنْ تَلقى أُسُوداً قَسَاورا،

إذا شِئتَ أنْ تَلقى أُسُوداً قَسَاورا،

لنُعماهُمُ الصّفوُ الذي لن يُكَدَّرَا

يلاقيكَ ، منا ، كلُّ قرمٍ ، سميذعٍ ،

يطاعنُ حتى يحسبَ الجونُ أشقراً

بدَوْلَةِ سَيْفِ الله طُلْنَا عَلى الوَرَى

وفي عزهِ صلنا على منْ تجبرا

قصدنا على الأعداءِ ، وسطَ ديارهمْ

بضَرْبٍ يُرَى من وَقْعِهِ الجوّ أغْبَرَا

فَسَائِلْ كِلاباً يَوْمَ غَزْوةِ بَالِسٍ

ألم يتركوا النسوانَ في القاعِ حسراً

وَسائِلْ نُمَيراً، يَوْمَ سَارَ إلَيْهِمُ،

ألَمْ يُوقِنُوا بِالمَوْتِ، لَمَا تَنَمّرَا

وَسائِلْ عُقَيلاً، حينَ لاذتْ بتَدْمُرٍ،

ألَمْ نقرها ضرباً يقدُّ السنوَّرا

وَسائِلْ قُشَيراً، حينَ جَفّتْ حُلُوقُها،

ألَمْ نسقها كأساً ، من الموتِ ، أحمرا

وَفي طَيىءٍ، لمّا أثارتْ سُيُوفُهُ

كماتهمُ ، مرأى لمنْ كانَ مبصرا

وَكَلْبٌ غَداةَ استَعصَموا بجِبالِهِمْ،

رماهمْ بها، شعثاً، شوازب ، ضمَّرا

فأشبعَ منْ أبطالهمْ كلَّ طائرٍ ،

وَذِئبٍ غَدا يَطْوي البَسِيطةَ أعْفَرَا

إرْثِ لِصبٍّ فِيك قدْ زدْتَهُ،

إرْثِ لِصبٍّ فِيك قَدْ زدْتَهُ،

عَلى بَلايَا أسْرِهِ، أسْرَا

قدْ عدمَ الدنيا ولذاتها ؛

لكِنّهُ مَا عَدِمَ الصّبْرا

فهوَ أسيرُ الجسمِ في بلدةٍ ،

وهوَ أسيرُ القلبِ في أخرى

وَشَادِنٍ، من بَنِي كِسرَى ، شُغِفْتُ بهِ

وَشَادِنٍ، من بَنِي كِسرَى ، شُغِفْتُ بهِ

لَوْ كانَ أنْصَفَني في الحُبّ مَا جَارَا

إنْ زارَ قصَّر ليلي في زيارتهِ

وَإنْ جَفَاني أطَالَ اللّيْلَ أعْمَارَا

كأنّما الشّمسُ بي في القَوْسِ نازلَةٌ

إنْ لم يَزُرْني وَفي الجَوْزَاءِ إنْ زَارَ

و كنتُ ، إذا ما ساءني ، أو أساءني

و كنتُ ، إذا ما ساءني ، أو أساءني

لطفتُ بقلبي أوْ يقيمَ لهُ عذرا

وَأكْرَهُ إعْلامَ الوُشَاةِ بِهَجْرِهِ

فأعتبهُ سراً ، وأشكرهُ جهراً

وَهَبْتُ لِضَنّي سُوءَ ظَنّي، ولَم أدَع،

عَلى حَالِهِ، قَلبي يُسِرّ لهُ شَرّا

دَعِ العَبَرَاتِ تَنْهَمِرُ انْهِمَارَا،

دَع العَبَرَاتِ تَنهَمِرُ انْهِمَارَا،

و نارَ الوجدِ تستعرُ استعارا

أتطفأُ حسرتي ، وتقرُّ عيني ،

و لمْ أوقدْ ، معَ الغازينَ ، نارا

رأيتُ الصبرَ أبعدَ ما يرجَّى ،

إذَا ما الجَيْشُ بالغَازِينَ سَارَا

وَأعْدَدْتُ الكَتَائِبَ مُعْلَماتٍ

تنادي ، كلَّ آنٍ ، بي سعارا

وَقَدْ ثَقّفْتُ للهَيْجَاءِ رُمْحي،

وَأضْمَرْتُ المَهَاري والمِهَارَا

و كانَ إذا دعانا الأمرُ حفَّتْ

بنَا الفِتْيَانُ، تَبتَدِرُ ابْتِدَارَا

بخيلٍ لاَ تعاندُ منْ عليها ،

وَقَوْمٍ لا يَرَوْنَ المَوْتَ عَارَا

وراءَ القافلينَ بكلِّ أرضٍ ،

وَأوَّلُ مَنْ يُغِيرُ، إذَا أغَارَا

ستذكرني ، إذا طردتْ ، رجالٌ ،

دفقتُ الرمحَ بينهمُ مرارا

و أرضٌ ، كنتُ أملؤها خيولاً ،

و جوٌّ ، كنتُ أرهقهُ غبارا

لعَلّ الله يُعْقِبُني صَلاحاً

قويماً ، أو يقليني العثارا

فأشفي منْ طعانِ الخيلِ صدراً

وَأدركُ من صُرُوفِ الدّهر ثَارَا

أقمتُ على " الأمير " ، وكنتُ ممنْ

يعزُّ عليهِ فرقتهُ ، اختيارا

إذا سارَ " الأميرُ " ، فلا هدوا

لنفسي أو يؤوبَ ، ولا قرارا

أكابدُ بعدهُ همًّا ، وغمًّا ،

و نوماً ، لا ألذُّ به غرارا

وَكُنْتُ بِهِ أشَدّ ذَوِيّ بَطشاً،

وَأبْعَدَهُم، إذا رَكِبُوا، مَغَارَا

أشُقّ، وَرَاءهُ، الجَيشَ المُعَبّا،

و أخرقُ ، بعدهُ ، الرهجَ المثارا

إذَا بَقِيَ الأمِيرُ قَرِيرَ عَيْنٍ

فديناهُ ، اختياراً ، لا اضطرار

أبٌ برٌّ ، ومولى ، وابنُ عمٍ ،

و مستندٌ ، إذا ما الخطبُ جارا

يَمُدّ عَلى أكَابرنَا جَنَاحاً،

و يكفلُ ، في مواطننا ، الصغارا

أراني اللهُ طلعتهُ ، سريعاً ،

وَأصْحَبَهُ السّلامَةَ ، حَيثُ سَارَا

وَبَلّغَهُ أمَانِيَهُ جَمِيعاً،

و كانَ لهُ منَ الحدثانِ جارا

وَمَا نِعمَةٌ مَشكورَةٌ ، قد صَنَعْتُها

وَمَا نِعمَةٌ مَشكورَةٌ، قَد صَنَعْتُها

إلى غَيرِ ذي شُكْرٍ، بمَانِعَتي أُخرَى

سآتي جميلاً ، ما حييت ، فإنني

إذا لمْ أُفِدْ شكراً، أفَدْتُ بهِ أجْرَا

إنْ لمْ تجافِ عنِ الذنو

إنْ لمْ تجافِ عنِ الذنو

بِ ، وجدتها فينا كثيره

لكِنّ عَادَتَكَ الجَمِيـ

ـلَةَ أنْ تَغُضّ عَلى بَصِيرَهْ

لقدْ نافسني الدهرُ

لقدْ نافسني الدهرُ

بتأخيري عنِ الحَضْرَة

فَمَا ألْقَى مِنَ العِلّـ

ـةِ ما ألقى من الحَسْرَةْ

وَجُلّنَارِ مُشْرِق،

وَجُلّنَارِ مُشْرِقِ،

عَلَى أعَالي شَجَرَهْ

كأنَّ في رؤوسهِ ،

أصْفَرَهُ، وَأحْمَرَهْ

قُرَاضَةً مِنْ ذَهَبِ

في خرقِ معصفره

و قوفكَ في الديار عليكَ عارٌ ،

و قوفكَ في الديار عليكَ عارٌ ،

و قدْ ردَّ الشبابُ المستعارُ

أبعدَ الأربعينَ محرماتٌ

.. تمادٍ في الصبابةِ ، واغترارُ

نزعتُ عن الصبا ، إلاّ بقايا ،

يحفدها ، على الشيبِ ، العقارُ

وَقَالَ الغَانِيَاتُ «سَلا، غُلاماً،

" فكيفَ بهِ ، وقدْ شابَ العذارُ

و ما أنسى الزيارةَ منكِ ، وهناً ،

" و موعدنا " معانٌ" و" الحيارُ

وَطَالَ اللّيلُ بي، وَلَرُبّ دَهْرٍ

نعمتُ بهِ ، لياليهِ قصارُ

و ندماني السريعُ إلى لقائي ،

على عجلٍ ، وأقداحي الكبارُ

عشقتُ بها عواريَّ الليالي

أحقُّ الخيلِ بالركضِ المعارُ "

وَكَمْ مِنْ لَيْلَةٍ لمْ أُرْوَ مِنْهَا

حننتُ لها ، وأرقني ادكارُ

قَضَاني الدَّينَ مَاطِلُهُ، وَوَافى ،

إليَّ بها ، الفؤادُ المستطارُ

فبتُّ أعلُّ خمراً منْ رضابٍ

لها سكرٌ وليسَ لها خمارُ

إلى أنْ رقَّ ثوبُ الليلِ عنَّا

وقالتْ " قمْ فقدْ بردَ السوارُ

وَوَلّتْ تَسْرُقُ اللّحَظَاتِ نحوي

عَلى فَرَقٍ كَمَا التَفَتَ الصُّوَارُ

دنا ذاكَ الصباحُ ، فلستُ أدري

أشَوْقٌ كَانَ مِنْهُ أمْ ضِرَارُ

وَقَد عَادَيتُ ضَوْءَ الصّبحِ حتى

لِطَرْفي، عَنْ مَطَالِعِهِ، ازْوِرَارُ

و مضطغنٍ يراودُ فيَّ عيباً

سَيَلْقَاهُ، إذا سُكِنَتْ وَبَارُ

وَأحْسِبُ أنّهُ سَيَجُرّ حَرْباً

عَلى قَوْمٍ ذُنُوبُهُمُ صِغَارُ

، " كما خزيتْ بـ "راعيها " " نميرٌ

" وجرَّ على "بني أسدٍ" " يسارُ

وَكَمْ يَوْمٍ وَصَلْتُ بفَجْرِ لَيْلٍ

كأنَّ الركبَ تحتهما صدارُ

إذا انْحَسَرَ الظّلامُ امْتَدّ آلٌ

كأنا درهُ ، وهوَ البحارُ

يَمُوجُ عَلى النّوَاظِرِ، فَهْوَ مَاءٌ

و يلفحُ بالهواجر فهو نارُ

إذا مَا العِزّ أصْبَحَ في مَكَانٍ

سموتُ لهُ، وإنْ بعدَ المزارُ

مقامي ، حيثُ لا أهوى ، قليلٌ

ونومي ، عندَ منْ أقلي غرارُ

أبَتْ لي هِمّتي، وَغِرَارُ سَيْفي،

وَعَزْمي، وَالمَطِيّةُ، وَالقِفَارُ

وَنَفْسٌ، لا تُجَاورُهَا الدّنَايَا،

وَعِرْضٌ، لا يَرِفّ عَلَيْهِ عَارُ

وَقَوْمٌ، مِثْلُ مَن صَحِبوا، كِرَامٌ

وَخَيلٌ، مِثْلُ من حَملتْ، خيارُ

و كمْ بلدٍ شتتناهنَّ فيهِ

ضُحىً، وَعَلا مَنَابرَهُ الغُبَارُ

وَخَيلٍ، خَفّ جَانِبُهَا، فَلَمّا

دُكِرْنَا بَيْنَهَا نُسِيَ الفِرَارُ

و كمْ ملكٍ ، نزعنا الملكَ عنهُ ،

و جبارٍ ، بها دمهُ جبارُ

وَكُنّ إذا أغَرْنَا عَلى دِيَارٍ

رجعنَ ، ومنْ طرائدها الديارُ

فَقَدْ أصبَحْنَ وَالدّنْيَا جَمِيعاً

لنا دارٌ ، ومنْ تحويهِ جارُ

إذَا أمْسَتْ نِزَارُ لَنَا عَبِيداً

" فإنَّ الناسَ كلهمُ " نزارُ

وَيَدٍ يَرَاهَا الدّهْرُ غَيْرَ دَمِيمَةٍ ،

وَيَدٍ يَرَاهَا الدّهْرُ غَيْرَ دَمِيمَةٍ ،

تمحو إساءتهُ إليَّ وتغفرُ

أهدتْ إليَّ مودةً منْ صاحبٍ

تزكو المودةُ في ثراهُ ، وتثمرُ

علقتْ يدي منهُ بعلق مضنةٍ

مِمّا يُصَانُ عَلى الزّمَانِ وَيُدْخَرُ

إني عليكَ " أبا حصينٍ "، عاتبٌ

و الحرُّ يحتملُ الصديقَ ، ويصبرُ

وَإذا وَجَدْتُ عَلى الصّدِيقِ شكَوْتُهُ

سِرّاً إلَيْهِ وَفي المَحَافِلِ أشْكُرُ

مَا بَالُ شِعْرِي لا تَرُدّ جَوَابَهُ

سَحْبَانُ عِنْدَكَ بَاقِلٌ، لا أعذُرُ

كَأنّمَا المَاءُ عَلَيْهِ الجِسْرُ

كَأنّمَا المَاءُ عَلَيْهِ الجِسْرُ

دَرْجُ بَيَاضٍ خُطّ فيهِ سَطْرُ

كأننا ، لمَّا استتبَّ العبرُ،

قدْ عرفنا مغزاكَ ، يا عيارُ

قدْ عرفنا مغزاكَ ، يا عيارُ

وَتَلَظّتْ، كمَا أرَدْتَ، النّارُ

لم أزلْ ثابتاً على الهجرِ حتى

خفَّ صبري ، وقلَّتِ الأنصارِ

وَإذا أحْدَثَ الحَبِيبَانِ أمْراً

كانَ فيهِ على المحبِّ الخيارُ

أيا أمَّ الأسيرِ ، سقاكِ غيثٌ ،

أيا أمَّ الأسيرِ ، سقاكِ غيثٌ ،

أيا أمَّ الأسيرِ ، سقاكِ غيثٌ ،

بكُرْهٍ مِنْكِ، مَا لَقِيَ الأسِيرُ

أيا أمَّ الأسيرِ ، سقاكِ غيثٌ ،

تَحَيّرَ، لا يُقِيم وَلا يَسِير

أيا أمَّ الأسيرِ ، سقاكِ غيثٌ ،

إلى منْ بالفدا يأتي البشيرُ

أيا أمَّ الأسيرِ ، لمن تربى

وقدْ متِّ ، الذوائبُ والشعورُ

إذا ابنكِ سارَ في برٍ وبحرٍ ،

فمنْ يدعو لهُ ، أو يستجيرُ

حرامٌ أن يبيتَ قريرَ عينٍ

ولومٌ أنْ يلمَّ بهِ السرورُ

تَحَيّرَ، لا يُقِيم وَلا يَسِير

وَلا وَلَدٌ، لدَيْكِ، وَلا عَشِير

و غابَ حبيبُ قلبكِ عنْ مكانٍ ،

مَلائِكَةُ السّمَاءِ بِهِ حُضور

لِيَبْكِكِ كُلُّ يَوْمٍ صُمتِ فيهِ

مُصَابِرَةً وَقَد حَمِيَ الهَجِير

لِيَبْكِكِ كُلّ لَيلٍ قُمْتِ فيهِ

إلى أنْ يبتدي الفجرُ المنيرُ

لِيَبْكِكِ كُلّ مُضْطَهَدٍ مَخُوفٍ

أجرتيهِ ، وقدْ قلَّ المجيرُ

لِيَبْكِكِ كُلّ مِسكِينٍ فَقِيرِ

أغَثْتِيهِ، وَمَا في العَظْمِ زِير

أيا أماهُ ، كمْ همٍّ طويلٍ

مضى بكِ لمْ يكنْ منهُ نصيرُ

أيا أماهُ ، كمْ سرٍّمصونٍ

بقلْبكِ، مَاتَ لَيسَ لَه ظُهُور

أيا أماهُ ، كمْ بشرى بقربي

أتَتْكِ، وَدُونَها الأجَلِ القَصِير

إلى منْ أشتكي ولمنْ أناجي ،

إذا ضاقتْ بما فيها الصدورُ

بأيّ دُعَاءِ دَاعِيَةٍ أُوَقّى

بأيِّ ضياءِ وجهٍ أستنيرُ

وَقَدْ مُتِّ، الدّوَائِب والشّعُورِ

بِمَنْ يُسْتَفْتَح الأمْر العَسِير

نُسلّى عنكَ أنا عنْ قليلٍ ،

إلى ما صرتِ في الأخرى ، نصيرُ

أرَاكَ عَصِيَّ الدّمع شِيمَتُكَ الصّبرُ،

أرَاكَ عَصِيَّ الدّمع شِيمَتُكَ الصّبرُ،

أما للهوى نهيٌّ عليكَ ولا أمرُ

بلى أنا مشتاقٌ وعنديَ لوعةٌ ،

ولكنَّ مثلي لا يذاعُ لهُ سرُّ

إذا الليلُ أضواني بسطتُ يدَ الهوى

وأذللتُ دمعاً منْ خلائقهُ الكبرُ

تَكادُ تُضِيءُ النّارُ بينَ جَوَانِحِي

إذا هيَ أذْكَتْهَا الصّبَابَةُ والفِكْرُ

معللتي بالوصل ، والموتُ دونهُ ،

إذا مِتّ ظَمْآناً فَلا نَزَل القَطْرُ

حفظتُ وضيعتِ المودةَ بيننا

و أحسنَ ، منْ بعض الوفاءِ لكِ ، العذرُ

و ما هذهِ الأيامُ إلا صحائفٌ

لأحرفها ، من كفِّ كاتبها بشرُ

بنَفسي مِنَ الغَادِينَ في الحَيّ غَادَةً

هوايَ لها ذنبٌ ، وبهجتها عذرُ

تَرُوعُ إلى الوَاشِينَ فيّ، وإنّ لي

لأُذْناً بهَا، عَنْ كُلّ وَاشِيَةٍ ، وَقرُ

بدوتُ ، وأهلي حاضرونَ ، لأنني

أرى أنَّ داراً ، استِ من أهلها ، قفرُ

وَحَارَبْتُ قَوْمي في هَوَاكِ، وإنّهُمْ

وإيايَ ، لولا حبكِ ، الماءُ والخمرُ

فإنْ كانَ ما قالَ الوشاةُ ولمْ يكنْ

فَقَد يَهدِمُ الإيمانُ مَا شَيّدَ الكُفرُ

وفيتُ ، وفي بعضِ الوفاءِ مذلةٌ

لآنسةٍ في الحي شيمتها الغدرُ

وَفُورٌ، وَرَيْعَانُ الصِّبَا يَسْتَفِزّها،

فتأرنُ ، أحياناً ، كما يأرنُ المهرُ

تسائلني " منْ أنتَ " ، وهي عليمةٌ ،

وَهَلْ بِفَتىً مِثْلي عَلى حَالِهِ نُكرُ

فقلتُ ، كما شاءتْ ، وشاءَ لها الهوى

قَتِيلُكِ قالتْ أيّهُمْ فهُمُ كُثرُ

فقلتُ لها " لو شئتِ لمْ تتعنتي ،

وَلَمْ تَسألي عَني وَعِنْدَكِ بي خُبرُ

فقالتْ " لقد أزرى بكَ الدهرُ بعدنا

فقلتُ "معاذَ اللهِ بلْ أنت لا الدهرُ،

وَما كانَ للأحزَان، لوْلاكِ، مَسلكٌ

إلى القلبِ؛ لكنَّ الهوى للبلى جسرُ

وَنَهْلِكُ بَينَ الهَزْلِ والجِدّ مُهجَةٌ

إذا مَا عَداها البَينُ عَذّبَها الهَجْرُ

فأيقنتُ أنْ لا عزَّ ، بعدي ، لعاشقٍ ؛

وَأنُّ يَدِي مِمّا عَلِقْتُ بِهِ صِفْرُ

وقلبتُ أمري لا أرى لي راحةً ،

إذا البَينُ أنْسَاني ألحّ بيَ الهَجْرُ

فَعُدْتُ إلى حكمِ الزّمانِ وَحكمِها،

لَهَا الذّنْبُ لا تُجْزَى به وَليَ العُذْرُ

كَأني أُنَادي دُونَ مَيْثَاءَ ظَبْيَةً

على شرفٍ ظمياءَ جللها الذعرُ

تجفَّلُ حيناً ، ثم تدنو كأنما

تنادي طلا ـ، بالوادِ ، أعجزهُ الحضرُ

فلا تنكريني ، يابنةَ العمِّ ، إنهُ

ليَعرفُ مَن أنكَرْتِهِ البَدْوُ وَالحَضْرُ

ولا تنكريني ، إنني غيرُ منكرٍ

إذا زلتِ الأقدامِ ؛ واستنزلَ النضرُ

وإني لجرارٌ لكلِّ كتيبةٍ

معودةٍ أنْ لا يخلَّ بها النصرُ

و إني لنزالٌ بكلِّ مخوفةٍ

كثيرٌ إلى نزالها النظرُ الشزرُ

فَأظمأُ حتى تَرْتَوي البيضُ وَالقَنَا

وَأسْغَبُ حتى يَشبَعَ الذّئبُ وَالنّسرُ

وَلا أُصبْحُ الحَيَّ الخَلُوفَ بغَارَةٍ ،

وَلا الجَيشَ مَا لمْ تأتِه قَبلِيَ النُّذْرُ

وَيا رُبّ دَارٍ، لمْ تَخَفْني، مَنِيعَةٍ

طلعتُ عليها بالردى ، أنا والفجرُ

و حيّ ِرددتُ الخيلَ حتى ملكتهُ

هزيماً وردتني البراقعُ والخمرُ

وَسَاحِبَةِ الأذْيالِ نَحوي، لَقِيتُهَا

فلمْ يلقها جهمُ اللقاء ، ولا وعرُ

وَهَبْتُ لهَا مَا حَازَهُ الجَيشُ كُلَّهُ

و رحتُ ، ولمْ يكشفْ لأثوابها سترُ

و لا راحَ يطغيني بأثوابهِ الغنى

و لا باتَ يثنيني عن الكرمِ

و ما حاجتي بالمالِ أبغي وفورهُ

إذا لم أفِرْ عِرْضِي فَلا وَفَرَ الوَفْرُ

أسرتُ وما صحبي بعزلٍ، لدى الوغى ،

ولا فرسي مهرٌ ، ولا ربهُ غمرُ

و لكنْ إذا حمَّ القضاءُ على أمرىءٍ

فليسَ لهُ برٌّ يقيهِ، ولا بحرُ

" وقالَ أصيحابي " الفرارُ أوالردى

فقُلتُ هُمَا أمرَانِ، أحلاهُما مُرّ

وَلَكِنّني أمْضِي لِمَا لا يَعِيبُني،

وَحَسبُكَ من أمرَينِ خَيرُهما الأسْرُ

" يقولونَ لي " بعتَ السلامةَ بالردى

فَقُلْتُ أمَا وَاللهِ، مَا نَالَني خُسْرُ

و هلْ يتجافى عني الموتُ ساعةً ،

إذا مَا تَجَافَى عَنيَ الأسْرُ وَالضّرّ

هُوَ المَوْتُ، فاختَرْ ما عَلا لك ذِكْرُه،

فلمْ يمتِ الإنسانُ ما حييَ الذكرُ

و لا خيرَ في دفع الردى بمذلةٍ

"كما ردها ، يوماً بسوءتهِ " عمرو

يمنونَ أنْ خلوا ثيابي ، وإنما

عليَّ ثيابٌ ، من دمائهمُ حمرُ

و قائم سيفي ، فيهمُ ، اندقَّ نصلهُ

وَأعقابُ رُمحٍ فيهمُ حُطّمَ الصّدرُ

سَيَذْكُرُني قَوْمي إذا جَدّ جدّهُمْ،

" وفي الليلةِ الظلماءِ ، يفتقدُ البدرُ "

فإنْ عِشْتُ فَالطّعْنُ الذي يَعْرِفُونَه

و تلكَ القنا ، والبيضُ والضمرُ الشقرُ

وَإنْ مُتّ فالإنْسَانُ لا بُدّ مَيّتٌ

وَإنْ طَالتِ الأيّامُ، وَانْفَسَحَ العمرُ

ولوْ سدَّ غيري ، ما سددتُ ، اكتفوا بهِ؛

وما كانَ يغلو التبرُ ، لو نفقَ الصفرُ

وَنَحْنُ أُنَاسٌ، لا تَوَسُّطَ عِنْدَنَا،

لَنَا الصّدرُ، دُونَ العالمينَ، أو القَبرُ

تَهُونُ عَلَيْنَا في المَعَالي نُفُوسُنَا،

و منْ خطبَ الحسناءَ لمْ يغلها المهرُ

أعزُّ بني الدنيا ، وأعلى ذوي العلا ،

وَأكرَمُ مَن فَوقَ الترَابِ وَلا فَخْرُ

لأيكمُ أذكرُ

لأيكمُ أذكرُ

وَفي أيّكُمْ أفْكِرُ

و كمْ لي على بلدتي ،

بُكَاءٌ وَمُسْتَعْبَرُ

فَفي حَلَبٍ عُدّتي،

وَعِزّيَ، وَالمَفْخَرُ

وفي " منبجَ " ، منْ رضا

هُ، أنْفَسُ مَا أدّخَرُ

وَمَنْ حُبّهُ زُلْفَةٌ،

بهَا يُكْرَمُ المَحْشَرُ

وَأصْبِيَةٌ، كَالفِرَاخِ،

أكْبَرُهُمْ أصْغَرُ

وَقَوْمٌ أَلِفْنَاهُمُ،

و غصنُ الصبا أخضرُ

يخيلُ لي أمرهمْ

كأنهمُ حضَّرُ

فَحُزْنيَ لا يَنْقَضِي،

و دمعي ما يفترُ

و ما هذهِ أدمعي ،

وَلا ذا الّذي أُضْمِرُ

وَلَكِنْ أُداري الدّمُوعَ،

وأسْتُرُ مَا أسْتُرُ

مخافةَ قولِ الوشا

ةِ، مِثْلُك لا يَصْبرُ

أيا غفلتا ، كيفَ لا

أرجي الذي أحذرُ

و ماذا القنوطُ الذي

أراهُ فَأسْتَشْعِرُ

أمَا مَنْ بَلاني بِهِ،

على كشفهِ أقدرُ

بلى َ ، إنَّ لي سيداً

مواهبهُ أكثرُ

وإني غَزيرُ الدّنُوب،

و إحسانهُ أغزرُ

بِذَنْبِيَ أوْرَدْتَني،

وَمِنْ فَضْلِك المَصْدرُ

مغرمٌ ، مؤلمٌ ، جريحٌ ، أسيرٌ

مغرمٌ ، مؤلمٌ ، جريحٌ ، أسيرٌ

إنّ قَلْباً، يُطِيقُ ذا، لَصَبُورُ

وَكَثِيرٌ مِنَ الرّجَالِ حَدِيدٌ،

وَكَثِيرٌ مَنَ القُلُوبِ صُخُورُ

قُلْ لِمَنْ حَلّ بِالشّآمِ طليقاً،

بِأبي قَلْبُكَ الطّلِيقُ الأسِيرُ

أنَا أصْبَحْتُ لا أُطِيقُ حَراكاً،

أتَتْني عَنْكَ أخْبَارُ،

أتَتْني عَنْكَ أخْبَارُ،

و بانتْ منكَ أسرارُ

وَلاحَتْ لي، مِنَ السّلْوَ

ةِ، آيَاتٌ وَآثَارُ

أرَاهَا مِنْكَ بِالقَلْبِ،

و للأحشاءِ أبصارُ

إذا ما بردَ الحبُّ

فَمَا تُسْخِنُهُ النّارُ

قَمَرٌ، دُونَ حُسْنِهِ الأقمارُ،

قَمَرٌ، دُونَ حُسْنِهِ الأقمارُ،

وَكَثِيبٌ مِنَ النّقَا، مُسْتَعَارُ

و غزالٌ فيهِ نفارٌ ، ولاَ بدْ

عَ فَمِنْ شِيمَةِ الظّبَاءِ النّفَارُ

لا أُعَاصِيهِ في اجْتِرَاحِ المَعَاصِي،

في هَوَى مِثْلِهِ تَطِيبُ النّارُ

قَد حَذِرْتُ المِلاحَ دَهْراً، وَلَكن

ساقني ، نحوَ حبهِ ، المقدارُ

كمْ أردتُ السلوَّ فاستعطفتني

رقيةٌ منْ رقاكَ يا عيَّارُ

يَا مَعْشَرَ النّاسِ هَلْ لي

يَا مَعْشَرَ النّاسِ هَلْ لي

ممَّا لقيتُ مجيرُ

أصابَ غرَّةَ قلبي

هَذَا الغَزَالُ الغَريرُ

فَعُمْرُ لَيْلي طَويلٌ،

وَعُمْرُ نَوْمِي قَصِيرُ

أسرتَ مني فؤادي ،

يَفْدِيكَ ذَاكَ الأسِيرُ

سَبَقَ النّاسَ، في الهَوَى ، مَنْصُورُ

سَبَقَ النّاسَ، في الهَوَى ، مَنْصُورُ

فسواهُ مكلَّفٌ ، مغرورُ

لحقَ العودَ ، ناعماً ، فثناهُ

و هوَ صعبٌ ، على سواهُ ، عسيرُ

إنّ حُبّ الصِّبَا، وَإنْ طَالَ، لا يَقْـ

ـدَحُ فِيهِ، عَلى الدّهُور، دُثُورُ

فهوَ في أضلع الصغيرِ صغيرٌ ،

و هوَ في أضلع الكبيرِ كبيرُ

أيحلو ، لمنْ لاَ صبرَ ينجدهُ ، صبرُ

أيحلو ، لمنْ لاَ صبرَ ينجدهُ ، صبرُ

إذا ما انقضى فكرٌ ألمَّ بهِ فكرُ

أممعنةً في العذل ، رفقاً بقلبهِ

أيحملُ ذا قلبٌ ، ولوْ أنهُ صخرُ

عَذيرِي من اللاّئي يَلُمنَ على الهَوَى

أما في الهوى ، لو ذقنَّ طعمَ الهوى عذرُ

أطَلْنَ عَلَيْهِ اللَوْمَ حَتى تَرَكْنَهُ

وَسَاعَتُهُ شَهْرٌ، وَلَيْلَتُهُ دَهْرُ

و منكرةٍ ما عاينتْ من شحوبهِ

وَلا عَجَبٌ، ما عَايَنَتهُ، وَلا نُكْرُ

وَيُحمَدُ في العَضْبِ البلى وهوَ قاطعٌ

ويحسنُ في الخيلِ المسمومةِ، الضمرُ

و قائلةٍ " ماذا دهاكَ " ـ تعجباً ـ

" فقلتُ لها " يا هذهِ أنتِ والدهرُ

أبالبَين أمْ بالهَجرِ أمْ بِكِلَيْهِمَا

تشاركَ ، فيما ساءني ، البينُ والهجرُ

يُذَكّرُني نَجْداً حَبيبٌ، بأرْضِهَا،

أيا صاحبيْ نجوايَ ، هلْ ينفعُ الذكرُ

نطاولت الكثبانُ ، بيني وبينهُ ،

وَبَاعَدَ، فيمَا بَيْنَنَا، البَلَدُ القَفْرُ

مفاوزُ لا يعجزنَ صاحبَ همةٍ ،

وإن عجزتْ ، عنها ، الغريريةُ الصبرُ

كَأنّ سَفِيناً، بينَ فَيْدٍ وَحَاجِرٍ،

يحفُّ بهِ ، منْ آلِ قيعانهِ ، بحرُ

عدانيَ عنهُ ذودُ أعداءِ منهلٍ ،

كثيرٌ إلى ورادهُ النظرُ الشزرُ

وَسُمرُ أعَادٍ، تَلمَعُ البيضُ بَينَهمْ،

وَبيضُ أعَادٍ، في أكُفّهمُ السُّمْرُ

وَقَوْمٌ، مَتى مَا أَلْقَهُمْ رَوِيَ القَنَا،

و أرضٌ متى ما أغزها شبعَ النسرُ

وَخَيلٌ يَلُوحُ الخَيرُ بَينَ عُيُونِهَا،

و نصلٌ ، متى ما شمتهُ نزلَ النصرُ

إذا مَا الفَتى أدْكَى مُغَاوَرَةَ العِدى

فكلُّ بلادٍ حلَّ ساحتهاُ ثغرُ

و يومٍ، كأنَّ الأرضَ شابتْ لهولهِ ،

قطعتُ بخيلٍ حشوُ فرسانها صبرُ ،

تَسِيرُ عَلى مِثْلِ المُلاءِ مُنَشَّراً،

وَآثَارُهَا طَرْزٌ لأطْرَافِهَا حُمْرُ

أُشَيّعُهُ وَالدّمْعُ مِنْ شِدّةِ الأسَى ،

على خدهِ نظمٌ ، وفي نحرهِ نثرُ

وعدتُ ، وقلبي في سجافِ غبيطهِ،

ولي لفتاتٌ ، نحو هودجه، كثرُ

و فيمنْ حوى ذاكَ الحجيجُ خريدةٌ

لها دونَ عَطفِ السّترِ من صَوْنها سترُ

و في الكمِّ كفٌّ يراها عديلها ،

و في الخدرِ وجهٌ ليسَ يعرفهُ الخدرُ

فَهَلْ عَرَفاتٌ عَارفاتٌ بزَوْرِهَا

و هلْ شعرتْ تلكَ المشاعرُ والحجرُ

أمَا اخضَرّ من بُطْنانِ مكّةَ ما ذَوَى

أما أعشبَ الوادي أما أنبتَ الصخرُ

سَقَى الله قَوْماً، حَلّ رَحلُكِ فيهمُ،

سحائبَ، لا قُلَّ جداها ، ولا نزرُ

كَيْفَ السّبيلُ إلى طَيْفٍ يُزَاورُهُ

كَيْفَ السّبيلُ إلى طَيْفٍ يُزَاورُهُ

والنّوْمُ، في جُملةِ الأحبابِ، هاجرُهُ

الحبُّ آمرهُ ، والصونُ زاجرهُ ،

وَالصَّبْرُ أوّلُ مَا تَأتي أوَاخِرُهُ

أنَا الّذي إنْ صَبَا أوْ شَفّهُ غَزَلٌ

فللعفافِ ، وللتقوى مآزرهُ

وأشْرَفُ النّاسِ أهْلُ الحُبّ منزلةً ،

وَأشرَفُ الحُبّ مَا عَفّتْ سَرَائِرُهُ

ما بالُ ليليَ لا تسري كواكبهُ ،

وَطَيْف عَزّةَ لا يَعْتَادُ زَائِرُهُ

منْ لا ينامُ ، فلا صبرٌ يؤازرهُ

و لا خيالٌ ، على شحطٍ ، يزاورهُ

يَا سَاهِراً، لَعِبَتْ أيْدِي الفِرَاق به

فالصبرُ خاذلهُ ، والدمعُ ناصرهُ

إنَّ الحبيبَ الذي هامَ الفؤادُ بهِ ،

يَنَامُ عَن طُول لَيلٍ، أنتَ ساهرُهُ

ما أنسَ لا أنسَ ، يومَ البينِ ، موقفنا

والشّوْقُ يَنهَى البُكَى عنّي وَيأمُرُهُ

و قولها ، ودموعُ العينِ واكفةٌ

هَذَا الفِرَاقُ الّذِي كُنّا نُحَاذِرُهُ

هلْ أنتِ ، يا رفقةَ العشاق ، مخبرتي

عن الخليطِ الذي زمتْ أباعرهُ

وَهَلْ رَأيتِ، أمَامَ الحَيّ، جَارِيَةً

كالجُؤذَرِ الفَرْدِ، تَقفُوهُ جآذِرُهُ

و أنتَ ، يا راكباً ، يزجي مطيتهُ

يَسْتَطْرِقُ الحَيَّ لَيْلاً، أوْ يَباكِرُهُ

إذا وصلتَ فعرضْ بي وقلْ لهمُ

هَلْ وَاعِدُ الوَعدِ يَوْمَ البَين ذاكِرُهُ

ما أعجبَ الحبَّ يمسي طوعَ جارية

في الحيِّ منْ عجزتْ عنهُ مساعرهُ

وَيَتّقي الحَيَّ مِنْ جَاءٍ وَغَادِيةٍ

كيفَ الوصولِ إذا ما نامَ سامرهُ

يا أيّها العاذِلُ الرّاجي إنَابَتَهُ،

و الحبُّ قدْ نشبتْ فيهِ أظافرهُ ،

لا تشغلنَّ ؛ فما تدري بحرقتهِ ،

أأنتَ عاذلهُ أمْ أنتَ عاذرهُ

و راحلٍ أوحشَ الدنيا برحلتهِ ،

و إنْ غدا معهُ قلبي يسايرهُ

هلْ أنتَ مبلغهُ عني بأنَّ لهُ

وداً ، تمكنَ في قلبي يجاورهُ

و أنني منْ صفتْ منهُ سرائرهُ ،

وَصَحّ بَاطِنُهُ، مِنهُ، وَظَاهِرُهُ

وَمَا أخُوكَ الذي يَدْنُو بِهِ نَسَبٌ،

لكنْ أخوكَ الذي تصفو ضمائرهُ

و أنني واصلٌ منْ أنتَ واصلهُ ،

و أنني هاجرٌ منْ أنتَ هاجرهُ

و لستُ واجدَ شيءٍ أنتَ عادمهُ ،

وَلَسْتُ غَائِبَ شَيْءٍ أنْتَ حَاضِرُهُ

وافى كتابكَ ، مطويا على نزهٍ ،

يَحَارُ سَامِعُهُ فِيهِ، وَنَاظِرُهُ

فالعينُ ترتعُ فيما خطَّ كاتبهُ ،

و السمعُ ينعمُ فيما قالَ شاعرهُ

فإنْ وقفتُ ، أمامَ الحيِّ أنشدهُ ،

ودَّ الخرائدُ لوْ تقنى جواهرهُ

أبا الحصين " وخيرُ القول أصدقهُ ، "

أنتَ الصديقُ الذي طابتْ مخابرهُ

لَوْلا اعْتِذَارُ أخِلاّئي بِكَ انصَرَفوا

بوَجْه خَزْيَانَ لمْ تُقْبَلْ مَعَاذِرُهُ

أين الخَلِيلُ الذي يُرضِيكَ بَاطِنُهُ،

معَ الخطوبِ ، كما يرضيكَ ظاهرهُ

أمّا الكِتَابُ، فَإني لسْتُ أقْرَؤهُ

إلاّ تَبَادَرَ مِنْ دَمْعي بَوَادِرُهُ

يجري الجمانُ ، كما يجري الجمانُ بهِ ،

وَيَنْثُرُ الدّرَّ، فَوْقَ الدّرّ، نَاثِرُهُ

أنَا الذي لا يُصِيبُ الدّهرُ عِثْرَتَهُ،

ولا يبيتُ على خوفٍ مجاورهُ

يُمْسِي وَكُلّ بلادٍ حَلّهَا وَطَنٌ،

وكلُّ قومٍ ، غدا فيهمْ ، عشائرهُ

و ما تمدُّ لهُ الأطنابُ في بلدٍ ،

إلاّ تَضَعْضَعَ بَادِيهِ وَحَاضِرُهُ

ليَ التخيرُ ، مشتطاً ومنتصفاً ،

وللأفاضل ، بعدي ، ما أغادرهُ

زاكي الأصول ، كريمُ النبعتين ؛ ومنْ

زَكَتْ أوَائِلُهُ طابَتْ أوَاخِرُهُ

فمنْ " سعيدِ بنَ حمدانٍ " ولادتهُ ،

و منْ " عليِّ بن عبدِ اللهِ " سائرهُ

ألقَائِلُ، الفَاعِلُ، المَأمُونُ نَبوَتُهُ

والسيدُ الأيدُ ، الميمونُ طائرهُ

بَنى لَنَا العِزَّ، مَرْفُوعا دَعَائِمُهُ،

وشَّيدَ المجدَ ، مشتداً مرائرهُ

فَمَا فَضَائِلُنَا إلاّ فَضَائِلُهُ،

وَلا مَفَاخِرُنَا إلاّ مَفَاخِرُهُ

لقدْ فقدتُ أبي ، طفلاً ، فكانَ أبي ،

منَ الرجال ، كريمُ العودِ ، ناضرهُ

فهوَ ابنُ عمي دنيا ، حينَ أنسبهُ

لكِنّهُ ليَ مَوْلىً لا أُنَاكِرُهُ

ما زالَ لي نجوةً، مما أحاذرهُ ،

لاَ زالَ ، في نجوةٍ ، مما يحاذرهُ

مِنْهُ، وَعُمّرَ للإِسْلاَمِ عَامِرُهُ

وَقَد سَمَحتُ غَداةَ البَيْنِ، مُبتَدِئاً

مِنَ الجَوَابِ، بوَعدٍ أنتَ ذاكِرُهُ

بقيتَ ، ماغردتْ ورقُ الحمامِ ، وما

استهلَّ منْ مونق الوسميِّ باكرهُ

حَتى تُبَلِّغَ أقْصى مَا تُؤمّلُهُ،

من الأمُورِ، وَتُكفَى ما تُحاذِرُهُ

بقيتَ ، ماغردتْ ورقُ الحمامِ ، وما

استهلَّ منْ مونق الوسميِّ باكرهُ

حَتى تُبَلِّغَ أقْصى مَا تُؤمّلُهُ،

من الأمُورِ، وَتُكفَى ما تُحاذِرُهُ

و ظبيٍ غريرٍ ، في فؤادي كناسهُ ،

و ظبيٍ غريرٍ ، في فؤادي كناسهُ ،

إذا اكْتَنَسَ العِينُ الفَلاةَ وَحُورُهَا

تُقِرّ لَهُ بِيضُ الظِبَاءِ وَأُدْمُهَا

و يحكيهِ ، في بعض الأمورِ ، غريرها

فَمِنْ خَلْقِهِ لَبّاتُهَا وَنُحُورُهَا،

وَمِنْ خُلْقِهِ عِصْيَانُهَا وَنُفُورُهَا

ألا مَا لِمَنْ أمْسَى يَرَاكَ وَللبَدْر،

ألا مَا لِمَنْ أمْسَى يَرَاكَ وَللبَدْر،

وَمَا لمَكَانٍ أنْتَ فِيهِ وَللقَطْر

تجللتَ بالتقوى ، وأفردتَ بالعلاَ ،

وَأهّلتَ للجُلَّى ، وَحُلّيتَ بالفَخْر

وَقَلّدْتَني، لمّا ابتَدَأتَ بمَدْحَتي،

يداً لا أوفي شكرها ، أبد الدهر

فإنْ أنا لمْ أمنحكَ صدقَ مودتي

فَمَا لي إلى المَجدِ المُؤثّل من عُذْر

أيا بنَ الكرام الصيدِ ، جاءتْ كريمةً

" أيا بنَ الكرام الصيدِ والسادةِ الغرِّ "

فضلتَ بها أهلَ القريض ، فأصبحتْ

تَحيّةَ أهل البَدْو، مُؤنِسةَ الحَضر

وَمِثْلُكَ مَعدومُ النّظِيرِ من الوَرَى

و شعركَ معدومُ الشبيهِ من الشعر

كأنَّ على ألفاظهِ ، ونظامهِ

بَدَائِعَ مَا حَاكَ الرّبيعُ منَ الزّهْر

تَنَفّسَ فيه الرّوْضُ فاخضَلّ بالنّدى

و هبَّ نسيمُ الروض يُخبرُ بالفجر

إلى الله أشكُو مِنْ فِرَاقِكَ لوْعَةً ،

طويتُ لها ، مني الضلوعَ ، على جمر

و حسرةَ مرتاحٍ إذا اشتاقَ قلبهُ ،

تَعَلّلَ بالشّكْوَى وَعَادَ إلى الصّبرِ

فعدْ يا زمانَ القربِ ، في خيرِ عيشةٍ ،

و أنعمَ بالٍ ، ما بدا كوكبٌ دري،

وعشْ "يابنَ نصرٍ" ما استهلتْ غمامةٌ ،

تَروحُ إلى عِزٍّ وَتَغْدُو عَلى نَصْرِ

مستجيرُ الهوى بغير مجير ،

مستجيرُ الهوى بغيرِ مجيرِ ،

وَمُضَامُ الهَوَى بِغَيْرِ نَصِيرِ

مَا لِمَنْ وَكّلَ الهَوَى مُقْلَتَيْهِ

بِانْسِكَابٍ وَقَلْبَهُ بِزَفِيرِ

فَهْوَ مَا بَينَ عُمْرِ لَيْلٍ طَوِيلٍ،

يَتَلَظّى ، وَعُمْرِ نَوْمٍ قَصِيرِ

لا أقولُ المسيرُ أرّقَ عيني

قدْ تناهى البلاءُ ، قبلَ المسيرِ

يا كثيباً ، منْ تحتِ غصنٍ رطيبٍ ،

يتثنى ، منْ تحتِ بدرٍمنيرِ

شَدّ مَا غَيّرَتْكَ بَعْدي، اللّيالي

يا قليلَ الوفا ، قليلَ النظيرِ

لكَ وصفي ، وفيكَ شعري ؛ ولا أعـ

ـرفُ وصفَ المؤارةِ العيسجورِ

وَلِقَلْبي مِنْ حُسنِ وَجْهِكَ شغلٌ

عَنْ هَوَى قاصِراتِ تِلْكَ القُصُور

قد منحتُ الرقادَ عينَ خليٍّ

بَات خِلْواً مِمّا يُجِنّ ضَمِيري

لا بَلا اللّهُ مَنْ أُحِبّ بِحُبٍّ،

وَشَفَى كُلّ عَاشِقٍ مَهْجُور

يا أخي " يا أبا زهيرٍ " ألي عنـ

ـدَكَ عَوْنٌ عَلى الغَزَال الغَرير

إنَّ لي ، مذء نأيتَ ، جسمَ مريض

و بكا ثاكلٍ ، وذلَّ أسير

لمْ تزل مشتكايَ ، في كلِّ أمرٍ ،

وَمُعِيني، وَعُدّتي، وَنَصِيري

وَرَدَتْ مِنْكَ، يا بنَ عَمّي، هَدَايا

تتهادى في سندسٍ ، وحرير

بفوافٍ ، ألذَّ منْ باردِ الما

ءِ، وَلَفْظٍ كَاللؤلُؤ المَنْثُور

محكمٍ ، قصَّرَ " الفرزدقُ " و" الأخـ

ـطَلُ عَنْهُ، وَفَاقَ شِعْرَ جَرِير

أنتَ لَيثُ الوَغَى ، وَحَتْفُ الأعَادي

وَغِيَاثُ المَلْهُوفِ وَالمُستَجِير

طُلْتَ، في الضّرْبِ للطُّلى عن شَبيهٍ

وَتَعَالَيْتَ، في العُلا، عَنْ نَظِير

كُنْتَ جَرّبْتَني، وَأنْتَ كَثِيرُ الـ

ـكَيْسِ، طَبٌّ بِكُلّ أمْرٍ كَبير

و إذا كنتَ ، " يابنَ عمي " ، قنوعاً

بِجَوَابي، قَنِعْتَ بِالمَيْسُورِ

هَاجَ شَوْقي إلَيكَ، حينَ أتَتْني

«هَاجَ شَوْقُ المُتَيَّمِ المَهْجُورِ»

عَذيريَ مِن طوَالعَ في عِذاري،

عَذيريَ مِن طوَالعَ في عِذاري،

وَمِنْ رَدّ الشّبَابِ المُسْتَعَارِ

و ثوبٍ ، كنتُ ألبسهُ ، أنيقٍ

أجررُ ذيله، بينَ الجواري

و ما زادتْ على العشرينَ سني

فما عذرُ المشيبِ إلى عذاري

و ما استمتعتُ منْ داعي التصابي

إلى أنْ جَاءني داعي الوَقَار

أيا شيبي ، ظلمتَ ويا شبابي

لقَد جَاوَرْتُ، مِنكَ، بشَرّ جارِ

يُرَحِّلُ كُلّ مَنْ يَأوِي إلَيْهِ

و يختمها بترحيلِ الديارِ

أمرتُ بقصهِ ، وكففتُ عنهُ ،

وقرَّ على تحمُّلهِ قراري

وَقُلْتُ الشّيبُ أهوَنُ مَا أُلاقي

مِنَ الدّنْيا وَأيْسَرُ ما أُداري

وَلا يَبْقَى رَفِيقي الفَجْرُ حَتى

" يضمَّ إليهِ منبلجَ النهار

و إني ما فجعتُ بهِ لألقى"

"بهِ ملقى العثار منَ الشعار

و كمْ منْ زائرٍ بالكرهِ مني

كرهتُ فراقهُ بعدَ المزار

متى أسلو بلا خلٍّ وصولٍ

يُوَافِقُني، وَلا قَدَح مُدَار

و كنتُ ، إذا الهمومُ تناوبتني ،

فزعتُ منَ الهموم إلى القفار

أنَختُ وَصَاحِبَايَ بذي طُلُوحٍ

طَلائِحَ، شَفَّهَا وَخْدُ القِفَار

وَلا مَاءٌ سِوَى نُطَفِ الأدَاوِي،

وَلا زَادٌ سِوَى القَنَصِ المُثَار

فَلَمَّا لاحَ بَعْدَ الأينِ سَلْعٌ،

ذكرتُ منازلي وعرفتُ داري

أَلَمّ بِنا، وَجُنْحُ اللّيلِ داجٍ،

خيالٌ زارَ وهناً منْ نوار

أبَاخِلَةٌ عَلَيّ، وَأنتِ جارٌ،

وَواصِلَةٌ عَلى بُعْدِ المَزَار

تلاعبُ بي ، على هوجَ المطايا ،

خلائِقُ لا تَقُرّ عَلى الصَّغَار

و نفسٌ ، دونَ مطلبها الثريا

وَكَفّ دُونَهَا فَيضُ البحَار

أرى نفسي تطالبني بأمرٍ

قَلِيلٌ، دُونَ غَايَتِهِ، اقتِصَاري

و ما يغنيكَ منْ همٍ طوالٍ

إذا قرنتْ بأعمارٍ قصارِ

وَمُعْتكِفٍ عَلى حَلَبٍ بَكِيٍّ،

يقوتُ عطاشَ آمالٍ غزارِ

يقولُ ليَ " انتظرْ فرجاً " ومن لي

بأنَّ الموتَ ينتظرُ انتظاري

عليَّ لكلِّ همٍ ، كلُّ عيسٍ

أمونُ الرحلِ موخدةُ القفارِ

وَخَرّاجٌ مِنَ الغَمَراتِ خِرْقٌ،

أبو شبلين ، محميُّ الذمارِ

شَدِيدُ تَجَنّبِ الآثَامِ وَافٍ،

عَلى عِلاّتِهِ، عَفُّ الإزارِ

فَلا نَزَلَتْ بيَ الحِيرَانُ إنْ لمْ

أُجَاورْهَا مُجَاوَرَةَ البِحَارِ

أُصَاحِبْهَا بمَأمُونِ الفِرَارِ

وَلا صَحِبَتْنيَ الأمْلاكُ إنْ لمْ

أُصَبّحْهَا بمُلْتَفّ الغُبَارِ

بجيشٍ لا يحلُّ بهمْ مغيرٌ

وَرَأيٍ لا يَغِبّهُمُ مُغَارِ

شددتُ على الحمامةِ كورَ رحلٍ

بعيدُ حلهُ ، دونَ اليسارِ

تَحُفّ بِهِ الأسِنّةُ ، وَالعَوَالي،

و مضمرةُ المهاري ، والمهاري

يعدنَ ، بعيدَ طولِ الصون ، سعياً

لِمَا كُلْفْنَ مِنْ بُعْدِ المَغَارِ

و تخفقُ حوليَ الراياتُ حمراً ،

" وتتبعني الخضارمُ منْ "نزارِ

وَإنْ طُرِقَتْ بدَاهِيَةٍ نَآدٍ

تدافعها الرجالُ بكلِّ جارِ

عَزِيزٌ حَيثُ حَطّ السّيرُ رَحْلي،

تداريني الأنامُ ولا أداري

و أهلي من أنختُ إليهِ عيسي ،

وَدَاري حَيثُ كُنتُ مِنَ الدّيَارِ

تواعدنا بآذار

تواعدنا بآذارِ

لمسعىً غيرِ مختارِ

وَقُمْنَا، نَسحَبُ الرَّيْطَ،

إلى حانةِ خمَّارِ ؛

فَلَمْ نَدْرِ، وَقَدْ فاحَتْ

لَنَا مِنْ جَانِبِ الدّارِ

بخمارِ ، منَ القومِ ،

نَزَلْنَا، أمْ بعَطّارِ

فلما ألبسَ الليلُ ،

لنا ثوباً منَ القار

وَقُلنَا أوْقِدِ النّارَ

لِطُرَاقٍ وَزُوّار

وَجَا خَاصِرَةَ الدّنّ

فأغنانا عن النار

وَمَا في طَلَبِ اللّهْو،

عَلى الفِتْيَان، مِنْ عَار

صبرتُ على اختياركَ واضطراري

صبرتُ على اختياركَ واضطراري

وَقَلّ، مَعَ الهَوَى ، فِيكَ ائْتِصَاري

و كانَ يعافُ حملَ الضيم قلبي ،

فقرَّ على تحملهِ قراري

فديتكَ ، طالَ ظلمكَ واحتمالي

كما كثرتْ ذنوبكَ واعتذاري

ما آنَ أنْ أرتاعَ للشـ

ما آنَ أنْ أرتاعَ للشـ

ـيْبِ، المُفَوَّفِ في عِذاري

وَأكُفَّ عَنْ سُبُلِ الضّلا

ل، وَأكْتَسِي ثَوْبَ الوَقَار

أمْ قَدْ أمِنْتُ الحَادِثَا

تِ من الغوادي والسواري

إني أعوذُ ، بحسن عفـ

ـو اللهِ ، منْ سوءِ اختياري

هَل تَرَى النّعْمَةَ دَامَتْ

هَل تَرَى النّعْمَةَ دَامَتْ

لصغير أوْ كبير

أوْ تَرَى أمْرَيْن جَاءَا

أوّلاً مِثْلَ أخِير

إنما تجري التصاريـ

ـفُ بتقليبِ الدهور

ففقيرٌ منْ غنيٍّ ؛

وَغَنيّ مِنْ فَقِير

منْ أينَ للرشإ ، الغرير ، الأحور ،

منْ أينَ للرشإ ، الغرير ، الأحور ،

في الخدِّ ، مثلُ عذارهِ المتحدر

قَمَرٌ، كَأنّ بعَارضَيْهِ كِلَيْهمَا

مِسْكاً، تَسَاقَطَ فَوْقَ وَرْدٍ أحمَر

وَوَارِدٍ مُوردٍ أنْساً، يُؤكّدُهُ

وَوَارِدٍ مُوردٍ أنْساً، يُؤكّدُهُ

صُدُوره عَنْ سَلِيمِ الورْدِ وَالصَّدَر

شدتْ سحائبهُ منهُ على نزهٍ

تقسّمَ الحُسنُ بَينَ السّمعِ وَالبَصَرِ

عذوبةٌ ، صدرتْ عنْ منطقٍ جددٍ ؛

كالماءِ يخرجُ ينبوعاً منَ الحجرِ

وروضةٌ منَ رياضِ الفكرِ ، دبَّجها

صوبُ القرائحِ لا صوبٌ من المطرِ

كَأنّمَا نَشَرَتْ أيْدِي الرّبيعِ بهَا

برداً من الوشيِ أو ثوباً من الحبرِ

ولي مِنّةٌ في رقابِ الضبَاب،

ولي مِنّةٌ في رِقَابِ الضبَاب،

وأُخْرى تَخص بَني جَعْفَرِ

" عشيةَ روَّحنَ من " عرقةٍ

وَأصْبَحْنَ فَوْضَى ، عَلى شَيْزَرِ

" وقد طالَ ما وردتْ " بالجباة

وَعَاوَدَتِ المَاءَ في تَدْمُرِ

قَدَدْنَ البَقِيعَةَ ، قَدّ الأدِيـ

ـمِ، وَالغَرْبُ في شَبَهِ الأشْقَرِ

و جاوزنَ " حمصَ " ؛ فلمْ ينتظرْ

نَ على موردٍ أو على مصدرِ

وَبالرَّسْتَنِ استَلْبَتْ مَوْرِداً،

كَوِرْدِ الحَمَامَةِ ِ أوْ أنْزَرِ

وَجُزْنَ المُرُوجَ، وَقَرْنَيْ حَمَاةَ

و "شيزرَ " ، والفجرُ لمْ يسفرِ

و غامضتِ الشمسً إشراقها

فَلّقتْ كَفَرْطَابَ بالعَسْكَرِ

ولاقتْ بها عصبَ الدارعيـ

ـنَ بكلِّ منيعِ الحمى مسعرِ

عَلى كُلّ سَابِقَةٍ بالرّدِيفِ،

وكلِّ شبيهٍ بها مجفرِ

و لما اعتفرنَ ولما عرقنَ

خَرَجْنَ، سِرَاعاً، مِنَ العِثْيَرِ

نُنَكّبُ عَنْهُنّ فُرْسَانَهُنّ،

ونبدأُ بالأخيرِ الأخيَرِ

فلما سمعتُ ضجيجَ النسا

ءِ ناديتُ " حارِ" ، ألا فاقصر

أ "حارثُ " منْ صافحَ ، غافرٌ

لهنَّ ، إذا أنتَ لمْ تغفرِ

رَأى ابنُ عُلّيانَ مَا سَرّهُ

فَقُلْتَ رُوَيْدَكَ لا تُسْرَرِ

فإني أقومُ بحقِّ الجوا

رِ ثُمّ أعُودُ إلى العُنْصُرِ

و يومٍ جلا فيهِ الربيعُ بياضهُ

و يومٍ جلا فيهِ الربيعُ بياضهُ

بأنْوَاعِ حَلي، فَوْقَ أثوَابِهِ الخُضْرِ

كأنَّ ذيولَ الجلنارِ ، مطلةً ،

ووالله ، ما أضمرتُ في الحبِّ سلوةً ،

ووالله ، ما أضمرتُ في الحبِّ سلوةً ،

ووالله، ماحدثتُ نفسيَ بالصبر

و إنكَ في عيني ، لأبهى منَ الغنى ،

وإنكَ، في قلبي ، لأحلى منَ النصر

فيا حكمي المأمولَ جرتَ معَ الهوى

ويا ثقتي المأمونَ ، خنتَ معَ الدهر

سَأُثْني عَلى تِلكَ الثَّنَايَا، لأنّني

سَأُثني عَلى تِلكَ الثَّنَايَا، لأنّني

أقولُ على علمٍ ، وأنطقُ عنْ خبر

و أنصفها ، لا أكذبُ اللهَ ، أنني

يا طِيبَ لَيْلَةِ مِيلادٍ، لَهَوْتُ بِهَا

يا طِيبَ لَيْلَةِ مِيلادٍ، لَهَوْتُ بِهَا

بأحورِ ، ساحرِ العينين ، ممكورِ

وَالجَوُّ يَنْشُرُ دُرَّاً، غَيرَ مُنْتَظِمٍ،

والأرْضُ بَارِزَةٌ في ثَوْبِ كَافُورِ

وَالنّرْجسُ الغضّ يحكي حسنُ منظرِهِ

صَفْرَاءَ صَافِيَةً في كَأسِ بِلّورِ

وَلي في كُلّ يَوْمٍ مِنْكَ عَتْبٌ وَلي في كُلّ يَوْمٍ مِنْكَ عَتْبٌ

وَلي في كُلّ يَوْمٍ مِنْكَ عَتْبٌ وَلي في كُلّ يَوْمٍ مِنْكَ عَتْبٌ

أقُومُ بِهِ مَقَامَ الاعْتِذَارِ

حمَلْتُ جَفَاكَ، لا جَلَداً، وَلَكِنْ

صبرتُ على اختيارِكَ واضطراري

جنى جانٍ ، وأنتَ عليهِ حانٍ ،

جنى جانٍ ، وأنتَ عليهِ حانٍ ،

وَعَادَ، فَعُدْتَ بالكَرَمِ الغَزِيرِ

صبرتَ عليهِ حتى جاءَ ، طوعاً ،

إلَيْكَ، وَتِلْكَ عَاقِبَةُ الصّبُورِ

فَإنْ تَكُ عَدْلَةٌ في الجِسْمِ كَانَتْ

فما عدلَ الضميرُ عن الضميرِ

و مثلُ " أبي فراسٍ " منْ تجافى

لَهُ عَنْ فِعْلِهِ، مِثْلُ الأمِيرِ

بكيتُ ، فلما لمْ أرَ الدمعَ نافعي ،

بكيتُ ، فلما لمْ أرَ الدمعَ نافعي ،

رَجَعتُ إلى صَبرٍ، أمَرّ مِنَ الصّبرِ

و قدرتُ أنَّ الصبرَ ، بعدَ فراقهم ،

يساعدني ، وقتاً ، فعزيتُ عنْ صبري

ما زالَ معتلجَ الهمومِ بصدرهِ

ما زالَ معتلجَ الهمومِ بصدرهِ

حَتى أبَاحَكَ مَا طوَى مِن سِرّهِ

أضمرتُ حبكَ ، والدموعُ تذيعهُ ،

و طويتُ وجدكَ ، والهوى في نشرهِ

تردُ الدموعُ ، لما تجنُّ ضلوعهُ ،

تترى إلى وجناتهِ أو نحرهِ

من لي بعطفةِ ظالمٍ ، منْ شأنهِ

نسيانُ مشتغلِ اللسان بذكرهِ

يا ليتَ مؤمنهُ سلوى - ما دعتْ

ورقُ الحمامِ - مؤمني منْ هجرهِ

منْ لي بردِّ الدمع ، قسراً ، والهوى

يغدو عليهِ ، مشمراً ، في نصرهِ

أعيا عليَّ أخٌ ، وثقتُ بودهِ ،

وَأمِنْتُ في الحَالاتِ عُقْبَى غَدْرِهِ

وَخَبَرْتُ هَذَا الدّهْرَ خِبْرَةَ نَاقِدٍ

حتى أنستُ بخيرهِ وبشرهِ

لا أشْتَرِي بَعْدَ التّجَرّبِ صَاحِباً

إلا وددتُ بأنني لمْ أشرهِ

منْ كلِّ غدارٍ يقرُّ بذنبهِ

فيكونُ أعظمُ ذنبهِ في عذرهِ

ويجيءُ ، طوراً ، ضرهُ في نفعهِ ،

جهلاً ، وطوراً ، نفعهُ في ضره

فصبرتُ لمْ أقطعْ حبالَ ودادهُ

و سترتُ منهُ ، مااستطعتُ ، بسترهِ

وَأخٍ أطَعْتُ فَمَا رَأى لي طَاعَتي

حَتى خَرَجتُ، بأمرهِ، عَنْ أمرهِ

و تركتُ حلوَ العيش لمْ أحفلْ بهِ

لمَّا رأيتُ أعزَّهُ في مره

وَالمَرْءُ لَيْسَ بِبَالِغٍ في أرْضِهِ،

كالصقرِ ليسَ بصائدٍ في وكرهِ

أنفقْ منَ الصبرِ الجميلِ ، فإنهُ

لمْ يَخشَ فَقراً مُنْفِقٌ مِنْ صَبرهِ

واحلمْ وإنْ سفهَ الجليسُ ، وقلْ لهُ

حُسْنَ المَقَالِ إذَا أتَاكَ بِهُجْرِهِ

وَأحَبُّ إخْوَاني إليّ أبَشَّهُم

بصديقهِ في سرهِ أو جهرهِ

لا خيرَ في برٍّ الفتى ما لمْ يكنْ

أصفى مشارب برهِ في بشرهِ

ألقى الفتى فأريدُ فائضَ بشرهِ

و أجلُّ أنْ أرضى بفائضِ برهِ

يارِبِّ مضطغنِ الفؤادِ ، لقيتهُ

بطلاقةٍ ، فَسَلَلْتُ مَا في صَدْرِهِ

و ما كنتُ أخشى أنْ أبيتَ وبيننا

و ما كنتُ أخشى أنْ أبيتَ وبيننا

" خليجان و" الدربُ " الأشمُّ و" آلسُ

ولا أنني أستصحبُ الصبرَ ساعةً

ولي عنكَ مناعٌ ودونكَ حابسُ

ينافسني فيكَ الزمانُ وأهلهُ

وَكُلُّ زَمَانٍ لي عَلَيْكَ مُنَافِسُ

شرَيتُكَ من دهري بذي النّاس كلّهم

فلا أنا مَبخُوسٌ وَلا الدّهرُ بَاخِسُ

وَمَلّكتُكَ النّفسَ النّفيسَة طائِعاً،

و تبذلُ للمولى النفوسُ النفائسُ

تَشَوّقني الأهْلُ الكِرَامُ وأوْحَشَتْ

مَوَاكِبُ بَعْدِي عِنْدَهُمْ وَمَجالِسُ

وَرُبّتَمَا زَانَ الأمَاجِدَ مَاجِدٌ،

وَرُبّتَمَا زَانَ الفَوَارِسَ فَارِسُ

رفعتُ على الحسادِ نفسي ؛ وهلْ همُ

و ما جمعوا لوْ شئتُ إلا فرائسُ

أيدركُ ما أدركتُ إلاّ ابنُ همةٍ

يُمَارِسُ في كَسبِ العُلى ما أُمارِسُ

يضيقُ مكاني عنْ سوايَ لأنني

عَلى قِمّةِ المَجْدِ المُؤثّلِ جَالِسُ

سبقتُ وقومي بالمكارم والعلاَ

و إنْ زعمتْ منْ آخرينَ المعاطسُ

سقى ثرى " حلبٍ " ما دمتَ ساكنها

سقى ثرى " حلبٍ " ما دمتَ ساكنها

يا بدرُ ، غيثانِ منهلٌ ومنبجسُ

أسِيرُ عَنهَا وَقَلبي في المُقَامِ بهَا،

كأنّ مُهرِي لِثُقلِ السّيرِ مُحتَبَسُ

هَذا وَلَوْلا الّذي في قَلْبِ صَاحِبِهِ

مِنَ البَلابِلِ لمْ يَقْلقْ بهِ فَرَسُ

كأنّما الأرْضُ والبُلدانُ مُوحشَةٌ،

و ربعها دونهنَّ العامرُ الأنسُ

مثلُ الحصاةِ التي يرمى بها أبداً

إلى السماءِ فترقى ثمَّ تنعكسُ

لِمَنْ أُعاتِبُ ما لي أينَ يُذْهَبُ بي

لِمَنْ أُعاتِبُ ما لي أينَ يُذهَبُ بي

قَدْ صَرّحَ الدّهْرُ لي بالمَنعِ وَاليَاسِ

أبْغِي الوَفَاءَ بدَهْرٍ لا وَفَاءَ لهُ،

كَأنّني جَاهِلٌ بالدّهْرِ وَالنّاسِ

لَمّا رَأتْ أثَرَ السّنَانِ بخَدّهِ

لَمّا رَأتْ أثَرَ السّنَانِ بخَدّهِ

ظلتْ تقابلهُ بوجهٍ عابسِ

خَلفَ السّنَانُ بهِ مَوَقِعَ لثْمِهَا،

بئسَ الخلافةُ للمحبِّ البائسِ

ما أنسَ قولتهنَّ ، يومَ لقيتني

ما أنسَ قولتهنَّ ، يومَ لقيتني

" أزرى السنانُ بوجهِ هذا البائس "

قالتْ لهنَّ ، وأنكرتْ ما قلتهُ

أجَمِيعُكُنّ عَلى هَوَاهُ مُنَافِسِي

إني ليعجبني ، إذا عاينتهُ ،

أثرُ السنان بصحن خدِّ الفارس

المَرْءُ رَهْنُ مَصَائِبٍ لا تَنْقَضِي

المَرْءُ رَهْنُ مَصَائِبٍ لا تَنْقَضِي

حَتى يُوَارَى جِسْمُهُ في رَمْسِهِ

فَمُؤجَّلٌ يَلقَى الرّدى في أهلِهِ،

وَمُعَجَّلٌ يَلقَى الرّدى في نَفسِهِ

تَنَاهَضَ القَوْمُ لِلْمَعَالي

تَنَاهَضَ القَوْمُ لِلْمَعَالي

لمّا رَأوْا نَحْوَهَا نُهُوضِي

تَكَلَّفُوا المَكْرُمَاتِ، كَدَّاً،

تَكَلُّفَ الشَّعْرِ بالعَرُوضِ

أيا قلبي ، أما تخشعْ

أيا قلبي ، أما تخشعْ

وَيَا عِلْمي، أمَا تَنْفَعْ

أما حقي بأنْ أنظـ

ـرَ للدّنْيَا، وَمَا تَصنَعْ

أمَا شَيّعْتُ أمْثَالي

إلى ضيقٍ مِنَ المَضْجَعْ

أما أعلمُ أنْ لا بـ

ـدّ لي مِنْ ذلِكَ المَصْرَعْ

أيا غوثاهُ ، يا اللـ

ـهُ هذا الأمرُ ما أفظعْ

أبَى غَرْبُ هَذا الدّمْع إلاّ تَسَرُّعَا

أبَى غَرْبُ هَذا الدّمْع إلاّ تَسَرُّعَا

وَمَكْنُونُ هَذا الحُبّ إلاّ تَضَوُّعَا

وكُنْتُ أرَى أني مَعَ الحَزْمِ وَاحِدٌ،

إذا شئتُ لي مَضىً وَإن شِئتُ مَرْجِعَا

فَلَمّا استَمَرّ الحُبّ في غُلْوَائِهِ،

رَعَيتُ مَعَ المِضْيَاعَةِ الحُبَّ ما رَعى

فَحُزْنيَ حُزْنُ الهَائِمِينَ مُبَرِّحاً،

و سريَ سرُّ العاشقينَ مضيعا

خَلِيلِيّ، لِمْ لا تَبكِياني صَبَابَةً ،

أأبْدَلْتُمَا بالأجرَعِ الفَرْدِ أجرَعَا

عليَّ ، لمنْ ضنتْ عليّ جفونهُ

غَوَاربُ دَمْعٍ يَشمَلُ الحيَ أجمَعَا

وَهَبْتُ شَبَابي، وَالشّبَابُ مَضَنَّةٌ،

لأبلجَ منْ أبناءِ عمي ، أروعا

أبيتُ ، معنى ، منْ مخافةِ عتبهِ ،

و أصبحُ ، محزوناً ، وأمسي ، مروعا

فَلَمّا مَضَى عَصْرُ الشّبِيبَةِ كُلُّهُ،

وَفَارَقَني شَرْخُ الشّبَابِ، مُوَدِّعَا

تَطَلّبْتُ بَينَ الهَجرِ وَالعَتْبِ فُرْجَةً ،

فحاولتُ أمراً ، لا يرامُ ، ممنعا

وَصِرْتُ إذا مَا رُمْتُ في الخَيرِ لذّةً

تَتَبّعتُهَا بَينَ الهُمُومِ، تَتَبُّعَا

وَهَا أنَا قد حَلّى الزّمَانُ مَفَارِقي،

و توجني بالشيبِ تاجاً مرصعا

فلوْ أنني مكنتُ مما أريدهُ

منَ العيشِ ، يوماً ، لمْ يجدْ فيَّ موضعا

أما ليلةٌ تمضي ولا بعضُ ليلةٍ

أسُرّ بهَا هذا الفُؤادَ المُفَجَّعَا

أمَا صَاحِبٌ فَرْدٌ يَدُومُ وَفَاؤهُ

فيُصفي لمن أصفى وَيَرْعى لمنْ رَعى

أفي كُلّ دارٍ لي صَدِيقٌ أوَدُّهُ،

إذَا مَا تَفَرّقْنَا حِفِظْتُ وَضَيّعَا

أقمتُ بأرضِ الروم ، عامين ، لا أرى

منَ الناسِ محزوناً ولا متصنعا

إذا خِفتُ مِنْ أخوَاليَ الرّومِ خُطّةً

تخوفتُ منْ أعمامي العربِ أربعا

و إن أوجعتني منْ أعاديَّ شيمةٌ

لَقِيتُ مِنَ الأحبَابِ أدْهَى وَأوْجعَا

ولوْ قدْ رجوتُ اللهَ لا شيءَ غيرهُ

رَجَعْتُ إلى أعْلى وَأمّلْتُ أوْسَعَا

لقد قَنِعُوا بَعدي من القَطرِ بالنّدى ،

و منْ لمْ يجدْ إلاَّ القنوعَ تقنعا

و ما مرَّ إنسانٌ فأخلفَ مثلهُ ؛

ولكنْ يزجي الناسُ أمراً موقعا

تنكرَّ "سيف الدين" لما عتبتهُ ،

وَعَرّضَ بي، تحتَ الكلامِ، وَقَرّعَا

فَقُولا لهُ مِنْ أصْدَقِ الوُدّ أنّني

جعلتكَ مما رابني ، الدهرَ مفزعا

و لوْ أنني أكننتهُ في جوانحي

لأوْرَقَ مَا بَينَ الضّلُوعِ وَفَرّعَا

فلاَ تغترر بالناسِ، ما كلٌّ منْ ترى

أخُوكَ إذا أوْضَعتَ في الأمرِ أوْضَعَا

وَلا تَتَقَلّدْ مَا يَرُوعُكَ حَلْيُهُ

تقلدْ ، إذا حاربتَ ، ما كانَ أقطعا

وَلا تَقْبَلَنّ القَوْلَ من كلّ قائِلٍ

سأرضيكَ مرأى لستُ أرضيكَ مسمعا

و للهِ صنعُ قدْ كفاني التصنعا

أراني طريقَ المكرماتِ ، كما أرى ،

عَلِيٌّ وَأسْمَاني على كُلّ مَنْ سعَى

فإنَّ يكُ بطءٌ مرةً فلطالما

تَعَجّلَ، نحْوِي، بالجَميلِ وَأسْرَعَا

و إنْ يحفُ في بعضِ الأمورِ فانني

لأشكرهُ النعمى التي كانَ أودعا

و إنْ يستجدَّ الناسَ بعدي فلمْ يزلْ

بذاكَ البديلِ ، المستجدِّ ، ممتعا

و ما تعرضَ لي يأسٌ سلوتُ بهِ

و ما تعرضَ لي يأسٌ سلوتُ بهِ

إلاّ تَجَدّدَ لي في إثرِهِ طمَعُ

و لا تناهبتُ في شكوى محبتهِ

إلاّ وَأكثر مِمّا قُلتُ مَا أدَعُ

ما للعبيدِ منَ الذي

ما للعبيدِ منَ الذي

يقضي بهِ اللهُ امتناعُ

دُدْتُ الأسُودَ عَنِ الفَرَا

ئس ، ثمَّ تفرسني الضباعُ

المَجْدُ بِالرَّقةِ مَجْمُوعُ،

المَجْدُ بِالرَّقةِ مَجْمُوعُ،

المَجْدُ بِالرَّقّةِ مَجْمُوعُ،

وَالفَضْلُ مَرْئِيّ وَمَسْمُوعُ

إنَّ بها كلَّ عميمِ الندى

يداهُ للجودِ ينابيعُ

و كلَّ مبذولِ القرى ، بيتهُ ،

عَلى عُلا العَلْيَاءِ،، مَرْفُوع

لكنْ أتاني خبرٌ رائعٌ

يضيقُ عنهُ السمعُ والروعُ

أنّ بَني عَمّي، وَحَاشَاهُمُ،

شَعْبُهُمْ بِالخُلْفِ مَصْدوع

مالعصا قومي قدْ شقها

تَفَارطٌ مِنهُمْ وَتَضْيِيع

بَني أبي، فَرّقَ مَا بَيْنَكُمُ

وَاشٍ، عَلى الشّحنَاءِ مَطْبُوع

عُودوا إلى أحْسَن مَا كُنْتُمُ،

فأنتمُ الغرُّ المرابيعُ

لا يكملُ السؤددُ في ماجدٍ ،

لَيْسَ لَه عَوْدٌ وَمَرْجُوع

أنَبْذِلُ الودّ لأعْدَائِنَا،

و هوَ عن الإخوةِ ممنوعُ

أوْ نَصِلُ الأبْعَدَ مِنْ قَوْمِنَا،

وَالنّسَبُ الأقْرَبُ مَقْطُوع

لا يَثْبُت العِزّ عَلى قُرْقَةٍ ،

غيركَ بالباطل مخدوعُ

هيَ الدّارُ من سَلمَى وَهاتي المَرَابعُ،

هيَ الدّارُ من سَلمَى وَهاتي المَرَابعُ،

فحتى متى ياعينُ ، دمعكِ هامعُ

ألمْ يَنهكِ الشّيبُ الذي حَلّ نازلاً

وَللشَيْبُ بَعدَ الجَهل للمَرْء رَادع

لئنْ وصلتْ " سلمى " حبالَ مودتي

فإنَّ وشيكَ البين ، لا شكَّ ، قاطعُ

" و إنْ حجبتْ عنا النوى " أم مالكٍ

لَقَدْ سَاعَدَتْهَا كِلْةٌ وَبَرَاقِع

و إن ظمئتْ نفسي إلى طيبِ ريقها

لقدْ رويتَ بالدمع مني المدامعُ

وَإنْ أفَلتْ تِلْكَ البُدورُ عَشِيّةً ،

فإنَّ نحوسي بالفراق طوالعُ

وَلمّا وَقَفْنا لِلوَدَاع، غَدِيّةً ،

أشارتْ إلينا أعينٌ وأصابعُ

وَقالت أتَنْسَى العهدَ بالجِزْع وَاللّوَى

و ما ضمهُ منا النقا والأجارعُ

وَأجرَتْ دمُوعاً من جُفونٍ لِحَاظُها

شِفَارٌ، على قَلبِ المُحبّ قَوَاطِع

فقلتُ لها مهلاً فماالدمعُ رائعي ،

وَمَا هُوَ للقَرْمِ المُصَمِّمِ رَائِع

لئنْ لمْ أُخَلّ العِيسَ وَهْيَ لوَاغِبٌ

حدابيرَ ، منْ طول السرى ، وظوالعُ

فما أنا منْ " حمدانَ " في الشرفِ الذي

له مَنْزِلٌ بَينَ السّمَاكَين طالِع

و لقدْ أبيتُ ، وجلُّ ما أدعو بهِ ،

و لقدْ أبيتُ ، وجلُّ ما أدعو بهِ ،

حَتى الصّبَاح، وَقد أقضّ المضْجَعُ

لا همَّ ، إنَّ أخي لديكَ وديعةٌ

مني وليسَ يضيعُ ما تستودعُ

مَحَلُّكَ الجَوْزَاءُ، بَلْ أرْفَعُ،

مَحَلُّكَ الجَوْزَاءُ، بَلْ أرْفَعُ،

وصدركَ الدهناءُ ، بلْ أوسعُ

وَقَلْبُكَ الرّحْبُ الّذِي لمْ يَزَلْ،

للجدِّ والهزلِ ، به موضعُ

رفهْ بقرعِ العودِ سمعاً ، غدا

قرعُ العوالي جلَّ ما يسمعُ

"لئن جمعتنا ، غدوةً ، أرضُ " بالسِ

"لئن جمعتنا ، غدوةً ، أرضُ " بالسِ

فإنَّ لها عندي يداً لا أضيعها

أحبُّ بلاد اللهِ ، أرضٌ تحلها ،

إليَّ ؛ ودارٌ تحتويكَ ربوعها

أفي كلّ يومٍ ، رحلةٌ بعدَ رحلةٍ

تجرعُ نفسي ، حسرةً ، وتروعها

فَلي، أبَداً، قَلْبٌ كَثِيرٌ نِزَاعُه،

ولَي، أبَداً، نَفْسٌ قَلِيلٌ نُزوعُهَا

لحَى الله قَلْباً لا يَهِيم صَبَابَةً

إلَيْكَ، وَعَيْناً لا تَفِيضُ دُمُوعُهَا

أنظرْ إلى زهر الربيع ،

أنظرْ إلى زهر الربيع ،

و الماءُ في بركِ البديع ،

و إذا الرياحُ جرتْ عليـ

ـهِ في الذهابِ وفي الرجوع ،

نثرتْ على بيض الصفا

ئِح بَيْنَنَا حَلَقَ الدّروع

كيفَ أرجو الصلاحَ منْ أمر قومٍ

كيفَ أرجو الصلاحَ منْ أمر قومٍ

ضيعوا الحزمَ فيه أيَّ ضياع

فَمُطَاعُ المَقَال غَيْرُ سَدِيدِ،

وسديدُ المقال غيرُ مطاع

مِنْ بَحْر شِعْرِكَ أغْتَرِفْ،

مِنْ بَحْرِ شِعْرِكَ أغْتَرِفْ،

و بفضلِ علمكَ أعترفْ

أنشدتني ؛ فكأنما

شققتَ عنْ درٍّ صدفْ

شِعْراً، إذَا مَا قِسْتُهُ

بجميعِ أشعارِ السلفْ

قصَّرنَ ، دونَ قراهُ تقـ

ـصِيرَ الحُرُوفِ عَن الأَلِفْ

إني أقُولُ بِمَا عَلِمْتُ

إني أقُولُ بِمَا عَلِمْتُ

وَلا أجُورُ وَلا أُخِيفْ

أما عليٌّ الجعفريْ

يُ فإنهُ الحرُّ العفيفُ

نسبٌ شريفٌ ، زانهُ

في أهلهِ خلقٌ شريفُ

أيا ظالماً ، أمسى يعاتبُ منصفا

أيا ظالماً ، أمسى يعاتبُ منصفا

أتلزمني ذنبَ المسيء تعجرفا

بَدَأتَ بتَنْمِيقِ العِتابِ، مَخَافَةَ الـ

ـعتابِ ، وذكري بالجفا ، خشيةَ الجفا

أوافي، على علاتِ عتبكَ ، صابراً

وألفى ، على حالاتِ ظلمكَ ، منصفا

و كنتُ ، إذا صافيتُ خلاً ، منحتهُ

بهجرانهِ وصلاً ، ومنْ غدرهِ وفا

فَهَيّجَ بي هذا الكِتَابُ صَبَابَةً ،

و جددَ لي هذا العتابُ تأسفا

فإنْ أدْنَتِ الأيّامُ داراً بِعِيدَةً

شفى القلبَ مظلومٌ منَ العتبِ واشتفى

فإنْ كُنْتُهُ أقْرَرْتُ بالذّنبِ، تائِباً،

وَإنْ لم أكنْ أمسَكْتُ عنهُ، تأَلُّفَا

غلامٌ فوقَ ما أصفُ ،

غلامٌ فوقَ ما أصفُ ،

كَأنّ قَوَامَهُ أَلِفُ

إذَا مَا مَالَ يُرْعِبُني

أخَافُ عَلَيْهِ يَنْقَصِفُ

و أشفقُ منْ تأودهِ ،

أخافُ يُذِيبُهُ التّرَفُ

سُرُوري عِنْدَهُ لُمَعٌ،

و دهري ، كلهُ ، أسفُ

وَأمْري، كُلُّهُ، أمَمٌ،

وَحُبّي وَحْدَهُ سَرَفُ

غَيري يُغَيّرُهُ الفَعَالُ الجَافي،

غَيري يُغَيّرُهُ الفَعَالُ الجَافي،

و يحولُ عنْ شيمِ الكريمِ الوافي

لا أرْتَضِي وُدّاً، إذا هُوَ لمْ يَدُمْ

عِندَ الجَفَاء، وَقِلّةِ الإنْصَافِ

تعسَ الحريصُ ، وقلَّ ما يأتي بهِ

عِوَضاً من الإلحَاح والإلحَافِ

إنَّ الغنيَّ هو الغنيُّ بنفسهِ

وَلو أنّهُ عاري المَناكِبِ، حَافِ

ما كلُّ ما فوقَ البسيطةِ كافياً،

فإذا قَنِعتَ فكُلّ شيءٍ كافِ

وَتَعافُ لي طَمَعَ الحَريصِ أُبُوّتي،

و مروءتي ، وفتوتي ، وعفافي

ما كثرةُ الخيلِ الجيادِ بزائدي

شَرَفاً، وَلا عَدَدُ السّوَامِ الضّافي

خَيْلي، وَإنْ قَلّتْ، كَثيرٌ نَفعُها

بينَ الصوارمِ ، والقنا الرَّعافِ

و مكارمي عددُ النجومِ ؛ ومنزلي

مأوَى الكِرَام، وَمَنزِلُ الأضْيَافِ

لا أقتني لصروفِ دهري عدةً

حتى كأنَّ صروفهُ أحلافي

شِيَمٌ عُرِفتُ بهنّ، مُذْ أنَا يَافِعٌ،

وَلَقَدْ عَرَفتُ بِمِثْلِهَا أسْلافي

و مرتدٍ بطرةٍ ،

و مرتدٍ بطرةٍ ،

مُسْبَلَةِ الرّفَارفِ

كَأنّهَا مُرْسَلَةٌ

مِنْ زَرَدٍ مُضَاعَفِ

بَعضُ الجُفَاةِ إلى المَجْفُوّ مُشْتَاقُ

بَعضُ الجُفَاةِ إلى المَجْفُوّ مُشْتَاقُ

ودونَ ما أملَ المعشوقُ معتاقُ

أعْصي الهَوَى ، وَأُطِيعُ الرّأيَ في وَلَدٍ

بَعدَ النّصِيحَةِ رَابَتْ مِنهُ أخْلاقُ

فَمَا نَظَرْتُ بِعَيْنِ السّوءِ مُعتَمِداً

إلَيْهِ إلاّ وَلِلأحْشَاءِ إطْرَاقُ

و ما دعاني إلى ما ساءهُ سخطٌ

إلا ثناني إلى ما شاءَ إشفاقُ

الحُزْنُ مُجتَمِعٌ، وَالصّبْرُ مُفْتَرِقُ،

الحُزْنُ مُجتَمِعٌ، وَالصّبْرُ مُفْتَرِقُ،

و الحبُ مختلفٌ ، عندي ومتفقُ

وَلي، إذا كُلّ عَينٍ نَامَ صَاحِبُهَا،

عينٌ تحالفَ فيها الدمعُ والأرقُ

لَوْلاكِ يا ظَبْيَةَ الإنس، التي نظرَتْ،

لما وَصَلْنَ إلى مَكْرُوهيَ الحَدَقُ

لكنْ نظرتِ ، وقدْ سارَ الخليطُ ضحى ،

بِناظِرٍ كُلُّ حُسنٍ مِنْهُ مُستَرَقُ

و لمَّا عزَّ دمعُ العين فاضتْ

و لمَّا عزَّ دمعُ العين فاضتْ

دماءً ، عندَ ترحالِ الفريقِ

وَقَدْ نَظَمتْ على خَدّي سُموطاً

منَ الدرِّ المفصلِ بالعقيقِ

يا أخي قدْ وهبتُ ذنبَ زمانٍ

يا أخي قدْ وهبتُ ذنبَ زمانٍ

طرَقَتْني صُرُوفُهُ بالمَهَالِكْ

لمْ يهبْ لي صبابةً منْ رقادٍ

لمْ يَجُدْ لي فيهَا بطَيْفِ خَيَالِكْ

قَدْ قَنِعْنَا بِذَلِكَ النّزْرِ مِنْهُ،

وَغَفَرْنَا لَهُ الذّنُوبَ لِذَلِكْ

يا غُلاَمي، بَلْ سَيّدي، لَنْ أمَلّكْ،

يا غُلاَمي، بَلْ سَيّدي، لَنْ أمَلّكْ،

هَبْ لمَولاكَ، لا عَدمتُكَ، عَدلّكْ

خوفَ أنْ يصطفيكَ غيري بعدي

لا أرى أنْ أقولَ قدمتُ قبلكْ

بالكرهِ مني واختيارِكْ،

بالكرهِ مني واختيارِكْ،

أنْ لا أكونَ حليفَ دارِكْ

يَا تَارِكِي، إنّي لِذِكْـ

ـرِكَ ، ما حييتُ ، لغيرُ تاركْ

كن كيفَ شئتَ ، فإنني

ذاكَ المواسي والمشاركْ

أليكَ أشكو منكَ ، يا ظالمي ،

أليكَ أشكو منكَ ، يا ظالمي ،

إذْ ليسَ، في العالمِ، مُعدٍ عَليكْ

أعَانَكَ الله بِخَيْرٍ، أعِنْ

مَنْ لَيْسَ يَشْكُو مِنكَ إلاّ إليكْ

أيَا سَافِراً وَردَاءُ الخَجَلْ

أيَا سَافِراً وَردَاءُ الخَجَلْ

مقيمٌ بوجنتهِ ، لمْ يزلْ

بعيشكَ ، ردَّ عليكَ اللثامَ

أخَافُ عَلَيْكَ جِرَاحَ المُقَلْ

فَما حَقُّ حُسْنِكَ أنْ يُجتَلى ،

وَلا حَقُّ وَجْهكَ أنْ يُبْتَذَلْ

أمنتُ عليكَ صروفَ الزمانِ ،

كَمَا قَدْ أمِنْتَ عَلَيّ المَلَلْ

مَا زِلْتَ تَسْعَى بِجِدٍّ،

مَا زِلْتَ تَسْعَى بِجِدٍّ،

برغمِ شانيكَ ، مقبلْ

تَرَى لِنَفْسِكَ أمْرَاً،

و ما يرى اللهُ أفضل

قدْ عذُبَ الموتُ بأفواهنا

قدْ عذُبَ الموتُ بأفواهنا

والموتُ خيرٌ منْ مقامِ الذليلْ

إنّا إلى اللهِ، لِمَا نَابَنَا،

و في سبيلِ اللهِ خيرِ السبيل

قِفْ في رُسُومِ المُسْتَجَا

قِفْ في رُسُومِ المُسْتَجَا

بِ وَحَيِّ أكْنَافَ المُصَلّى

فـ" الجوسق " الميمون ، فـ" السـ

قيا" بها ، فالنهر أعلى

تلكَ المنازلُ ، والملا

عبُ ، لا أراها اللهُ محلا

أوطنتها زمنَ الصبا ؛

وَجَعَلْتُ مَنْبِجَ لي مَحَلاً

حيثُ التفتَّ رأيتَ ما

ءً سَابِحاً، وَسَكَنْتُ ظِلاً

ترَ دارَ " وادي عين قا

صرَ" منزلاً رحباً ، مطلاً

وَتَحُلّ بالجِسْرِ الجِنَا

نَ ، وتسكن الحصنَ المعلى

تَجْلُو عَرَائِسُهُ لَنَا

هَزْجَ الدّبَابِ إذَا تَجَلّى

و إذا نزلنا بـ "السوا

جير" اجتنينا العيشَ سهلاً

والماءُ يفصلُ بينَ زهـ

ر الروض ، في الشطين، فصلا

كَبِسَاطِ وَشْيٍ، جَرّدَتْ

أيْدِي القُيُون عَلَيْهِ نَصْلاً

مَنْ كَانَ سُرّ بمَا عَرَا

ني ، فليمتْ ضراً وهزلاً

لَمْ أخْلُ، فِيمَا نَابَنِي،

منْ أنْ أعزَّ ، وأنْ أجلاَ

رُعْتُ القُلُوبَ، مَهَابَةً ،

وَمَلأْتُهَا، فَضْلاً وَنُبْلاَ

ما غضَّ مني حادثٌ؛

وَالقَرْمُ قَرْمٌ، حَيْثُ حَلاَ

أنَّى حللتُ فإنما

يدعوني السيفَ المحلَّى

فَلَئِنْ خَلَصْتُ فَإنّني

شرقُ العدا ، طفلاً وكهلاً

ما كنتُ إلا السيفَ ، زا

دَ عَلى صُرُوفِ الدّهرِ صَقلاً

ولئنْ قتلتُ ، فإنما

موتُ الكرامِ الصيدِ قتلاً

يغترُّ بالدنيا الجهو

لُ، وَلَيسَ في الدّنيا مُمَلاً

أجْمِلِي يَا أُمّ عَمْرٍو،

أجْمِلِي يَا أُمّ عَمْرٍو،

زَادَكِ الله جَمَالاً

لا تَبِيعِينِي بِرُخْصٍ؛

إنَّ في مثلي يغالى

أنَا، إنْ جُدْتِ بوَصْلٍ،

أحسنُ العالمِ حالاً

أأبَا العَشَائِر، إنْ أسِرْتَ فَطالَمَا

أأبَا العَشَائِر، إنْ أُسِرْتَ فَطالَمَا

أسرتْ لكَ البيضُ الخفافُ رجالاً

لمّا أجَلْتَ المُهْرَ، فَوْقَ رُؤوسِهِمْ،

نسجتْ لهُ حمرُ الشعورِ عقالاً

يا مَنْ إذا حَمَلَ الحصَانَ على الوَجى

قالَ اتخذْ حبكَ التريكِ نعالاً

ما كُنتَ نُهزَةَ آخِذٍ، يَوْمَ الوَغَى ،

لَوْ كُنْتَ أوْجَدتَ الكُمَيتَ مجَالاً

حملتكَ نفسُ حرةٌ وعزائمٌ ،

قصَّرنَ منْ قلل الجبال طوالاً

وَرَأيْنَ بَطْنَ العَيرِ ظَهْرَ عُرَاعِرٍ،

وَالرّومَ وَحْشاً، وَالجِبَالَ رِمَالاً

أخَذُوكَ في كَبِدِ المَضَايقِ، غِيلةً ،

مِثْلَ النّسَاءِ، تُرَبِّبُ الرّئْبَالاً

ألاَ دَعَوْتَ أخَاكَ، وَهْوَ مُصَاقِبٌ

يكفي العظيمَ ، ويدفعُ ، الأهوالاً

ألاَ دَعَوْتَ أبَا فِرَاسٍ، إنّهُ

مِمّنْ إذا طَلَبَ المُمَنَّعَ نَالاً

وردتْ ، بعيدَ الفوتِ ، أرضكَ خيلهُ،

سَرْعَى ، كَأمْثَالِ القَطَا أُرْسَالاَ

زللٌ منَ الأيامِ فيكَ ، يقيلهُ

مَلِكٌ إذَا عَثَرَ الزّمَانُ أقَالاَ

ما زالَ " سيفُ الدولةِ " القرمَ ، الذي

يَلْقَى العَظِيمَ، وَيَحْمِلُ الأثْقَالاَ

بالخيلِ ضمراً ، والسيوفِ قواضباً ،

و السمرِ لدناً ، والرجالِ عجالاَ

وَمُعَوَّدٍ فَكَّ العُنَاةِ، مُعَاوِدٍ

قَتْلَ العُدَاةِ، إذا استَغارَ أطَالاَ

صفنا " بخرشنةٍ " وقطعنا الشتا ،

و بنو البوادي في "قميرَ " حلالاَ

وَسَمَتْ بِهِمْ هِمَمٌ إلَيْكَ مُنِيفَةٌ

لكنهُ حجرَ الخليجِ وجالاَ

وَغَداً تَزُورُكَ بالفِكَاكِ خُيُولُهُ،

مُتَثَاقِلاتٍ، تَنْقُلُ الأبْطَالاَ

إنَّ ابنَ عمكَ ليسَ يغفلُ ، إنهُ

ملكَ الملوكَ ، وفكَّ الأغلالاَ

في النّاسِ إنْ فُتّشْتَهُمْ،

في النّاسِ إنْ فَتّشْتَهُمْ،

منْ لا يعزَّكَ أو تذلهْ

فاتركْ مجاملةَ اللئيـ

ـم، فَإنّ فِيهَا العَجْزَ كُلَّهْ

" أيا عجباً لأمر " بني قشيرِ

" أيا عجباً لأمرِ " بني قشيرِ

أراعونا ؛ وقالوا القومُ قلُّ

وَكَانُوا الكُثْرَ، يَوْمَئِذٍ؛ وَلَكن

كثرنا ، إذ تعاركنا ، وقلوا

وَقَالَ الهَامُ لِلأجْسَادِ هَذَا

يفرقُ يننا إنْ لمْ تولوا

فَوَلّوا، للقَنَا وَالبيضِ فِيهِمْ

وَفي جِيرَانِهِمْ نَهَلٌ وَعَلّ

ورحنا بالقلائع ، كلُّ نهدٍ

مطلٍ ، فوقهُ نهدٌ مطلُّ

يَا عَمّرَ الله سَيْفَ الدّينِ مُغْتَبِطاً،

يَا عَمّرَ الله سَيْفَ الدّينِ مُغْتَبِطاً،

فكلُّ حادثةٍ يرمى بها جلَلُ

مَنْ كانَ مِن كلّ مَفقُودٍ لَنا بدلاً

فَلَيْسَ مِنْهُ عَلى حَالاتِهِ بَدَلُ

يبكي الرجالُ، و"سيفُ الدين" مبتسمٌ،

حتى عنْ ابنكَ تعطى الصبرَ ، يا جبلُ

لمْ يَجهَلِ القَوْمُ منهُ فَضْلَ ما عرَفوا

لكِنْ عَرَفتَ من التّسليمِ ما جهلُوا

هلْ تبلغُ القمرَ المدفونَ رائعةٌ

منَ المقالِ ، عليها للأسى حلل

ما بَعدَ فَقدِكَ، في أهلٍ، وَلا ولَدٍ،

و لا حياةٍ ، ولا دنيا ، لنا ، أملُ

يا منْ أتتهُ المنايا ، غيرَ حافلةٍ

أينَ العَبيدُ وَأينَ الخَيلُ وَالخَوَلُ

أينَ الليوثُ ، التي حوليكَ ، رابضةً

أينَ الصّنائعُ أينَ الأهلُ ما فَعَلوا

أينَ السّيُوفُ التي يَحميكَ أقْطَعُهَا

أينَ السّوَابقُ أينَ البيضُ وَالأسَلُ

ياويحَ خالكَ بلْ يا ويحَ كلِّ فتىً

أكُلَّ هذا تخَطَّى ، نحوَك، الأجلُ

يَا قَرْحُ، لمْ يَنْدَمِلِ الأوّلُ

يَا قَرْحُ، لمْ يَنْدَمِلِ الأوّلُ

فهلْ بقلبي لكما محملُ

جُرْحان، في جَسْمٍ ضَعيفِ القوَى ،

حَيْثُ أصَابَا فَهُوَ المَقْتَلُ

تقاسمُ الأيامُ أحبابنا ،

وَقِسْمُهَا الأفْضَلُ وَالأجْمَلُ

وَلَيْتَهَا، إذْ أخَذْتْ قِسْمَهَا،

عَنْ قِسْمِنَا تُغْمِضُ أوْ تَغفَلُ

وقيتَ في الآخرِ منْ صرفها الـ

ـجَائِر، مَا جَرّعَكَ الأوّلُ

فَفِدْيَةُ المَأسُور مَقْبُولةٌ،

وَفِدْيَةُ المَيّتِ لا تُقْبَلُ

لا تَعْدَمَنّ الصّبْرَ في حَالَةٍ،

فَإنّهُ لِلْخُلُقُ الأجْمَلُ

وَعِشْتَ في عِزٍّ وَفي نِعْمَةٍ،

وجدكَ المقتبلُ المقبلُ

نعمْ تلكَ ، بينَ الواديين ، الخواتلُ

نعمْ تلكَ ، بينَ الواديين ، الخواتلُ

وَذلِكَ شَاءٌ، دُونهُنّ، وَجَامِلُ

فَما كنتَ، إذْ بانوا، بنَفسِكَ فاعلاً

فدونكَ متْ ؛ إنَّ الخليطَ لزائلُ

كأنَّ ابنةَ القيسي ، في أخواتها ،

خذولٌ ، تراعيها الظباءُ الخواذلُ

قُشَيْرِيّةٌ، قُرْيّةٌ، بَدَوِيّةٌ،

لها ، بينَ أثناءِ الضلوعِ ، منازلُ

وَهَبْتُ سُلُوّي، ثُمّ جِئتُ أرُومُهُ،

وَمِنْ دُونِ ما رُمْتُ القَنَا وَالقَنَابلُ

هوانا غريبُ ؛ شزَّبُ الخيلِ والقنا

لنا كتبٌ ، والباتراتُ رسائلُ

أغَرْنَ عَلى قَلْبي بِخَيْلٍ من الهَوَى

فطاردَ عنهنَّ الغزالُ المغازلُ

بأسهم لفظٍ ، لمْ تركبْ نصالها،

و أسيافِ لحظٍ ، ما جلتها الصياقلُ

وَقَائِعُ قَتْلى الحُبّ فِيهَا كَثِيرَةٌ ،

ولم يشتهرْ سيفٌ ، ولا هزَّ ذابلُ

أراميتي كلُّ السهامِ مصيبةٌ ؛

و أنتِ ليَ الرامي ؛ وكلي مقاتلُ

وَإني لمقْدَامٌ وَعِنْدَكِ هَائِبٌ،

" وفي الحيِّ " سحبان" ؛ وعندكَ " باقلُ

يضلُّ عليَّ القولُ ، إنْ زرتُ دارها،

وَيَعْزُبُ عَني وَجْهُ مَا أنَا فَاعِلُ

وحجتها العليا ، على كلِّ حالةٍ

فباطلها حقٌّ ، وحقيَ باطلُ

تُطَالِبُني بيضُ الصّوَارِمِ وَالقَنَا

بما وعدتْ حدَّيَّ فيَّ المخايلُ

وَلا ذَنْبَ لي، إنّ الفُؤادَ لَصَارِمٌ،

و إنَّ الحسامَ المشرفيَّ لفاصلُ

و إنَّ الحصانَ الوالقي لضامرٌ ،

وَإنّ الأصَمّ السّمْهَرِيّ لَعَاسِلُ

وَلَكِنّ دَهْراً دَافَعَتْني خُطُوبُهُ

كما دفعَ الدينَ الغريمُ المماطلُ

و أخلافُ أيامٍ ، إذا ما انتجعتها ،

حَلَبْتُ بَكِيّاتٍ، وَهُنّ حَوَافِلُ

وَلَوْ نِيلتِ الدّنْيَا بِفَضْلٍ مَنَحْتُها

فضائلَ تحويها وتبقى فضائلُ

ولكنهما الأيامُ ، تجري بما جرتْ ،

فيسفلُ أعلاها ، ويعلو الأسافلُ

لَقد قَلّ أنْ تَلقى من النّاسِ مُجملاً

وأخشَى ، قَريباً، أنْ يَقِلّ المُجامِلُ

وَلَستُ بجَهمِ الوَجهِ في وَجهِ صَاحبي

وَلا قائِلٍ للضّيفِ هَل أنتَ رَاحِل

وَلَكِنْ قِرَاهُ ما تَشَهّى ، وَرِفْدُهُ،

ولوْ سألَ الأعمارَ ما هوَ سائلُ

ينالُ اختيارَ الصفحِ عنْ كلِّ مذنبٍ

لَهُ عِنْدَنَا مَا لا تَنَالُ الوَسَائِلُ

لَنَا عَقِبُ الأمْرِ، الّذِي في صُدُورِهِ

تطاولُ أعناقُ العدا ، والكواهلُ

أصاغرنا ، في المكرماتِ ، أكابرٌ

أوَاخِرُنَا، في المَأثُرَاتِ، أوَائِلُ

إذا صلتُ، يوماً، لمْ أجدْ لي مصاولاً ؛

وإنْ قلتُ، يوماً ، لمْ أجدْ منْ يقاولُ

يا منْ أتانا بظهرِ الغيبِ ، قولهمٌ

يا منْ أتانا بظهرِ الغيبِ ، قولهمٌ

لوْ شئتُ ، غاظتكمُ منا الأقاويلُ

لكنْ أرى أنَّ في الأقوالِ منقصةً

مَا لَمْ تَسُدَّ الأفَاوِيلَ الأفَاعِيلُ

أحِلُّ بالأرْضِ يَخشَى النّاسُ جانبَها

أحِلُّ بالأرْضِ يَخشَى النّاسُ جانبَها

وَلا أُسَائِلُ أنّى يَسْرَحُ المَالُ

فهَيْبَتي في طِرَادِ الخَيلِ وَاقِعَةٌ

وَالنّاسُ فَوْضَى ، وَمَالُ الحيّ إهمالُ

كذاكَ نحنُ ؛ إذا ما أزمةٌ طرقتْ

حيًّا ، بحيثُ يخافُ الناسُ ، حلاّلُ

ألعذرُ منكَ، على الحالاتِ مقبولُ

ألعذرُ منكَ، على الحالاتِ مقبولُ ؛

وَالعَتبُ مِنكَ، على العِلاّتِ، محْمولُ

لَوْلا اشْتِيَاقِيَ لمْ أقُلْ لِبُعْدِكُمُ،

وَلا غَدَا في زَمَاني، بَعدكم، طولُ

وَكُلّ مُنْتَظَرٍ، إلاّكَ، مُحْتَقَرٌ،

و كلُّ شيءٍ ، سوى لقياكَ ، مملولُ

إذَا لَمْ يُعِنْكَ الله فِيمَا تَرُومُهُ،

إذَا لَمْ يُعِنْكَ الله فِيمَا تَرُومُهُ،

إذَا لَمْ يُعِنْكَ الله فِيمَا تَرُومُهُ،

فليسَ لمخلوقٍ إليهِ سبيلُ

وَإنْ هُوَ لمْ يَنْصُرْكَ لمْ تَلقَ ناصِراً

وَإنْ عَزّ أنْصَارٌ وَجَلّ قَبيلُ

وَإنْ هُوَ لمْ يُرْشِدكَ في كلّ مَسلكٍ

ضللتَ ، ولوْ أنَّ السماكَ دليلُ

مُصَابي جَلِيلٌ، وَالعَزَاءُ جَمِيلُ،

مُصَابي جَلِيلٌ، وَالعَزَاءُ جَمِيلُ،

وَظَنّي بأنّ الله سَوْفَ يُدِيلَ

جِرَاحٌ، تحَامَاها الأُسَاةُ، مَخوفَةٌ،

وسقمان بادٍ ، منهما ودخيلُ

و أسرٌ أقاسيهِ ، وليلٌ نجومهُ ،

أرَى كُلّ شَيْءٍ، غَيرَهُنّ، يَزُولُ

تطولُ بي الساعاتُ ، وهي قصيرة ؛

وفي كلِّ دهرٍ لا يسركَ طولُ

تَنَاسَانيَ الأصْحَابُ، إلاّ عُصَيْبَةً

ستلحقُ بالأخرى ، غداً ، وتحولُ

و من ذا الذي يبقى على العهدِ إنهمْ ،

و إنْ كثرتْ دعواهمُ ، لقليلُ

أقلبُ طرفي لا أرى غيرَ صاحبٍ ،

يميلُ معَ النعماءِ حيثُ تميلُ

وصرنا نرى أن المتاركَ محسنُ ؛

وَأنّ صَدِيقاً لا يُضِرّ خَلِيلُ

فكلُّ خليلٍ ، هكذا ، غيرُ منصفٍ

وَكُلّ زَمَانٍ بِالكِرَامِ بَخِيلُ

نعمْ ، دعتِ الدنيا إلى الغدرِ دعوةً ،

أجابَ إليها عالمٌ ، وجهولُ

وَفَارَقَ عَمْرُو بنُ الزّبَيرِ شَقِيقَهُ،

وَخَلى أميرَ المُؤمِنِينَ عَقِيلُ

فَيَا حَسْرَتَا، مَنْ لي بخِلٍّ مُوَافِقٍ

أقُولُ بِشَجوي، مَرّةً، وَيَقُولُ

وَإنّ، وَرَاءَ السّتْرِ، أُمّاً بُكَاؤهَا

عَلَيّ، وَإنْ طالَ الزّمَانُ، طَوِيلُ

فَيَا أُمّتَا، لا تَعْدَمي الصّبرَ، إنّهُ

إلى الخَيرِ وَالنُّجْحِ القَرِيبِ رَسُولُ

وَيَا أُمّتَا، لا تُخْطِئي الأجْرَ إنّهُ

على قدرِ الصبرِ الجميلِ جزيلُ

أما لكِ في " ذاتِ النطاقين "أسوةٌ ،

بـ"مكةَ " والحربُ العوانُ تجولُ

أرَادَ ابنُها أخْذَ الأمَانِ فَلَمْ تُجبْ

و تعلمُ ، علماً أنهُ لقتيلُ

تأسّيْ كَفَاكِ الله ما تَحْذَرِينَهُ،

فقَد غالَ هذا النّاسَ قبلكِ غُولُ

"و كوني كما كانتْ بـ " أحدٍ " "صفيةٌ

ولمْ يشفَ منها بالبكاءِ غليلُ

ولوْ ردَّ ، يوماً " حمزةَ الخيرِ "حزنها

إذاً مَا عَلَتْهَا رَنّةٌ وَعَوِيلُ

لَقِيتُ نُجُومَ الأفق وَهيَ صَوارمٌ،

وَخُضْتُ سَوَادَ اللّيْلِ، وَهْوَ خيولُ

وَلَمْ أرْعَ للنّفْسِ الكَرِيمَةِ خِلّةً ،

عشيةَ لمْ يعطفْ عليَّ خليلُ

ولكنْ لقيتُ الموتَ ، حتى تركتها ،

وَفِيها وَفي حَدّ الحُسَامِ فُلولُ

ومنْ لمْ يوقَ اللهُ فهوَ ممزقٌ

ومنْ لمْ يعزِّ اللهُ ، فهوَ ذليلُ

و منْ لمْ يردهُ اللهُ ، في الأمرِ كلهِ،

فليسَ لمخلوقٍ إليهِ سبيلُ

وَمُغْضٍ، للمَهَابَةِ ، عَنْ جَوَابي

وَمُغْضٍ، للمَهَابَةِ ، عَنْ جَوَابي

وَإنّ لِسَانَهُ العَضْبُ الصّقِيلُ

أطلتُ عتابهُ ، عنتاً وظلماً ،

" فجمجمَ ، ثمَّ قالَ " كما تقول

وَمَا ليَ لا أثْني عَلَيْكَ، وَطالَمَا

وَمَا ليَ لا أُثني عَلَيْكَ، وَطالَمَا

وفيتَ بعهدي ، والوفاءُ قليلُ

و أوعدتني حتى إذا ما ملكتني

صَفَحْتَ، وَصَفْحُ المَالكِينَ جَميلُ

بقلبي ، على " جابر " ، حسرةٌ

بقلبي ، على " جابر " ، حسرةٌ

تَزُولُ الجِبَالُ، وَلَيْسَتْ تَزُولُ

لهُ، مَا بَقِيتُ، طويلُ البُكاءِ

و حسنُ الثناءِ ؛ وهذا قليلُ

الدّهرُ يَوْمان ذا ثبتٌ، وَذا زَلَلُ،

الدّهرُ يَوْمان ذا ثبتٌ، وَذا زَلَلُ،

وَالعيشُ طعمان ذا صَابٌ وَذا عسَلُ

كذا الزمانُ ؛ فما في نعمةٍ بطرٌ

للعارفينَ ؛ ولا في نقمةٍ فشلُ

سعادةُ المَرْءِ في السّرَاءِ إنْ رَجَحَتْ،

وَالعَدْلُ أنْ يَتَساوَى الهَمّ وَالجذلُ

وما الهمومُ ، وإنْ حاذرتَ ، ثابتةٌ

ولا السرورُ ، وإنْ أمَّلتَ يتصلُ

فما الأسى لهمومٍ ، لابقاءَ لها ،

وَما السّرُورُ بنُعمَى ، سَوْفَ تَنتَقِلُ

لكِنّ في النّاسِ مَغْروراً بنِعْمَتِهِ،

ما جاءهُ اليأسُ حتى جاءهُ الأجلُ

وَعَطّافٍ عَلى الغَمَرَاتِ نَحْوِي،

وَعَطّافٍ عَلى الغَمَرَاتِ نَحْوِي،

تَحُفّ بهِ المُثَقَّفَةُ الطّوَالُ

تركتُ الرمحَ ، يخطرُ في حشاهُ ،

لهُ، مَا بَينَ أضلُعِهِ، مَجَالُ

يَقُولُ، وَقَدْ تَعَدّلَ فيهِ، رُمْحي

" لأمرٍ ما تحاماكَ الرجالُ "

قد ضجَّ جيشكَ ، منْ طول القتال بهِ ،

قد ضجَّ جيشكَ ، منْ طول القتال بهِ ،

وقدْ شكتكَ إلينا الخيلُ والإبلُ

وَقَد درَى الرّوم مُذْ جاوَرْتَ أرْضَهُمُ

أنْ ليس يَعْصِمُهمْ سَهلٌ وَلا جَبَلُ

في كل يومٍ تزورُ الثغرَ ، لا ضجرٌ

يثنيكَ عنهُ ، ولا شغلٌ ولا مللُ

فالنفسُ جاهدةٌ ، والعينُ ساهدةٌ ،

وَالجَيشُ مُنهَمِكٌ، وَالمالُ مُبتذَلُ

تَوَهّمَتكَ كِلابٌ غَيرَ قَاصِدِهَا،

وقدْ تكنفكَ الأعداءُ والشغلُ

حتى رأوكَ ، أمامَ الجيشِ ، تقدمهُ

وَقَدْ طَلَعتَ عَلَيْهِمْ دونَ ما أمِلُوا

فاستقبلوكَ بفرسانٍ ، أسنتها

سودُ البراقعِ ، والأكوارُ ، والكللُ

فكنتَ أكرمَ مسؤولٍ وأفضلهُ ،

إذا وَهَبْتَ فَلا مَنٌّ وَلا بُخْلُ

ويقولُ فيَّ الحاسدونَ ، تكذباً ،

ويقولُ فيَّ الحاسدونَ ، تكذباً ،

ويقالُ في المحسودِ ما لا يفعلُ

يتطلبونَ إساءتي لا ذمتي ،

إنَّ الحسودَ ، بما يسوءُ ، موكلُ

أقِلّي، فأيّامُ المُحِبّ قلائِلُ،

أقِلّي، فَأيّامُ المُحِبّ قَلائِلُ،

وَفي قَلبِهِ شُغلٌ عن اللّوْمِ شَاغِلُ

ولعتِ بعذلِ المستهامِ على الهوى ،

وَأوْلَعُ شَيْءٍ بالمُحِبّ العَوَاذِلُ

أريتكِ ، هلْ لي منْ جوى الحبِ مخلصٌ ،

وَقد نَشِبَتْ، للحُبّ فيّ، حَبائِلُ

وبينَ بنياتِ الخدورِ وبيننا

حروبٌ ، تلظى نارها وتطاولُ

أغَرْنَ على قَلبي بجَيشٍ مِنَ الهَوَى

وطاردَ عنهنَّ الغزالُ المغازلُ

تَعَمّدَ بالسّهْمِ المُصِيبِ مَقَاتِلي،

ألا كُلّ أعضَائي، لَدَيهِ، مَقَاتِلُ

ووالله ، ماقصرتُ في طلبِ العلا ؛

ولكنْ كأنَّ الدهر عني غافلُ

مواعيدُ آمالٍ ، تماطلني بها

مُرَامَاةُ أزْمَانٍ، وَدَهْرٌ مُخَاتِلُ

تدافعني الأيامُ عما أريدهُ ،

كما دفعَ الدَّين الغريمُ المماطلُ

خليليَّ ، أغراضي بعيدٌ منالها

فهلْ فيكما عونٌ على ما أحاولُ

خَلِيلَيّ شُدّا لي عَلى نَاقَتَيْكُمَا

إذا مابدا شيبٌ منَ العجزِ ناصلُ

فمثليَ منْ نالَ المعالي بسيفهِ ،

وَرُبّتَمَا غَالَتْهُ، عَنْهَا، الغَوَائِلُ

وَمَا كلّ طَلاّبٍ، من النّاس، بالغٌ

ولا كلُّ سيارٍ ، إلى المجدِ ، واصلُ

وإنَّ مقيماً منهجَ العجزِ خائبٌ

وَإنّ مُرِيغاً، خائِبَ الجَهدِ، نَائِلُ

وَمَا المَرْءُ إلاّ حَيثُ يَجعَلُ نَفْسَهُ

وإني لها ، فوقَ السماكينِ ، جاعلُ

وَللوَفْرِ مِثلافٌ، وَللحَمْدِ جَامِعٌ،

وللشرِّ ترَّاكٌ ، وللخيرِ فاعلُ

وَمَا ليَ لا تُمسِي وَتُصْبحُ في يَدِي

كَرَائِمُ أمْوَالِ الرّجالِ العَقَائِلُ

أحكمُ في الأعداءِ منها صوارماً

أحكمها فيها إذا ضاقَ نازلُ

و مانالَ محميُّ الرغائبِ ، عنوةً ،

سِوَى ما أقَلّتْ في الجُفونِ الحَمائلُ

سَكِرْتُ مِنْ لحظِهِ لا مِنْ مُدامَتِهِ

سَكِرْتُ مِنْ لحظِهِ لا مِنْ مُدامَتِهِ

و مالَ بالنومِ عنْ عيني تمايلهُ

وَمَا السُّلافُ دَهَتْني بَلْ سَوَالِفُهُ،

و لا الشمولُ ازدهرني بلْ شمائلهُ

وَغَالَ صَبْرِيَ مَا تَحوي غَلائِلُهُ

و غالَ قلبيَ ما تحوي غلائلهُ

لحبكَ منْ قلبي حمى لا يحلهُ

لحبكَ منْ قلبي حمى لا يحلهُ

سواكَ ، وعقدٌ ليسَ خلقٌ يحلهُ

وَقَدْ كُنتَ أطْلَقتَ المُنَى لي بمَوْعِدٍ

و قدرتَ لي وقتاً ، وهذا محلهُ

ففي أيّ حكمٍ أو على أي مذهبٍ

تُحِلّ دَمي وَالله ليسَ يُحِلُهُ

أفرُّ منَ السوء لا أفعلهْ

أفرُّ منَ السوء لا أفعلهْ

وَمِنْ مَوْقِفِ الضّيْمِ لا أقْبَلُهْ

وَقُرْبَى القَرَابَةِ أرْعَى لهَا،

وَفَضْلُ أخي الفَضْلِ لا أجْهَلُهْ

و أبذلُ عدليَ للأضعفينَ ؛

و للشامخِ الأنفِ لا أبذلهْ

و أحسنُ ما كنت بقيا إذا

أنالني اللهُ ما آملهْ

وَقَدْ عَلِمَ الحَيُّ، حَيّ الضبِّابِ،

و أصدقُ قيلِ الفتى أفضلهْ

بأني كففتُ ، وأني عففتُ ،

و إنْ كرهَ الجيشُ ما أفعلهْ

وَقَدْ أُرْهِقَ الحَيّ، مِنْ خَلفِهِ

و أوقفَ، خوفَ الردى ، أولهْ

فعادتْ " عديٌّ " بأحقادها ،

وَقَدْ عَقَلَ الأمْرُ مَنْ يَعْقِلُهْ

يَا حَسْرَةً مَا أكَادُ أحْمِلُهَا،

يَا حَسْرَةً مَا أكَادُ أحْمِلُهَا،

آخِرُهَا مُزْعِجٌ، وَأوّلُهَا

عليلةٌ ، بالشآمِ مفردةٌ ،

باتَ ، بأيدي العدا ، معللها

تمسكُ أحشاءها ، على حرقٍ

أنْتَ، عَلى يأسِهَا، مُؤمِّلُهَا

إذا اطمأنتْ - وأينَ - أوْ هدأتْ ؛

عَنّتْ لَهَا ذُكْرَةٌ تُقَلْقِلُهَا

تسألُ عنا الركبانَ ، جاهدةً

بأدمعٍ ما تكادُ تمهلها

"يامنْ رأى لي ، بحصنِ "خرشنةٍ "

" أسدَ شرى ، في القيودِ أرجلها

يامنْ رأى لي الدروبَ ، شامخةً "

"دونَ لقاءِ الحبيبِ أطولها

يامنْ رأى لي القيودَ ، موثقةً ،

" على حبيبِ الفؤادِ أثقلها

يَا أيّهَا الرّاكِبَان، هَلْ لكُما

في حملِ نجوى ، يخفُّ محملها

قولاً لها ، إنْ وعتْ مقالكما ،

وإنَّ ذكري لها ليذهلها

يَا أُمّتَا، هَذِهِ مَنَازِلُنَا

نَتْرُكُهَا تَارَةً، وَنَنْزِلُهَا

يَا أُمّتَا، هَذِهِ مَوَارِدُنَا

" نعلها تارةً ، وننهلها

أسلمنا قومنا إلى نوبٍ "

" أيسرها في القلوبِ أقتلها

واستبدلوا ، بعدنا ، رجالَ وغىً "

"يودُّ أدنى علايَ أمثلها

يَا سَيّداً، مَا تُعَدّ مَكْرُمَةٌ،

إلاّ وَفي رَاحَتَيْهِ أكْمَلُهَا

لَيسَتْ تَنالُ القُيودُ من قَدَمي،

وَفي اتّبَاعي رِضَاكَ، أحْمِلُهَا

لاتتيممْ ، والماءُ تدركهُ

غيركَ يرضى الصغرى ويقبلها

إنَّ بني العمِّ لستَ تحلفهمْ ؛

إنْ عَادَتِ الأَسْدُ عادَ أَشْبُلُهَا

أنْتَ سَمَاءٌ، وَنَحنُ أنْجُمُهَا،

أنْتَ بِلادٌ، وَنَحنُ أجْبُلُهَا

أنْتَ سَحَابٌ، وَنَحْنُ وَابِلُهُ،

أنتَ يمينٌ ، ونحنُ أنملها

بأيِّ عذرٍ ، رددتُ والهةُ ،

عَلَيْكَ، دُونَ الوَرَى ، مُعَوَّلُهَا

جَاءتْكَ، تَمتَّاحُ رَدّ وَاحِدِهَا،

ينتظرُ الناسُ كيفَ تقفلها

سمحتُ مني بمهجةٍ كرمتْ

أنتَ ، على يأسها ، مؤلمها

إنْ كنتَ تبذل الفداءَ لها

فلم أزلْ ، في رضاكَ ، أبذلها

تلكَ المودات ، كيفَ تهملها

تلكَ المواعيدُ ، كيف تغفلها

تلكَ العقودُ ، التي عقدتَ لنا ،

كيفَ، وَقد أُحكِمتْ، تُحلُّها

أرحامنا منكَ ؛ لمْ تقطعها

أينَ المعالي التي عرفتَ بها ،

تَقُولُها، دائماً، وَتَفْعَلُها

يَا وَاسِعَ الدّار، كيفَ تُوسِعُها

ونحنُ في صخرةٍ نزلزلها

يَا نَاعِمَ الثّوْبِ كَيفَ تُبدِلُهُ

ثِيَابُنَا الصّوفُ مَا نُبَدِّلُهَا

يَا رَاكِبَ الخَيْلِ لَوْ بصُرْتَ بنا

نحملُ أقيادنا ، وننقلها

رَأيْتَ، في الضُّرّ، أوْجُهاً كَرُمَتْ

فَارَقَ فِيكَ الجَمالَ أجْمَلُهَا

قدْ أثَّرَ الدهرُ في محاسنها ،

تَعْرِفُهَا، تَارَةً، وَتَجْهَلُهَا

فَلا تَكِلْنَا، فيهَا، إلى أحَدٍ،

مُعلُّها محسنٌ يعللها

لا يَفْتَحُ النّاسُ بَابَ مَكْرُمَةٍ

صاحبها المستغاثُ يقفلها

أينبري ، دونكَ ، الكرامُ لها

وَأنْتَ قمْقامُهَا، وَأحْمَلُهَا

و أنتَ ، إنْ عنَّ حادثٌ جللُ ،

قُلْبُهَا المُرْتَجَى ، وَحُوّلُهَا

مِنْكَ تَرَدّى بالفَضْلِ أفضَلُها،

منكَ أفادَ النوالَ أنولها

فَإنْ سَألْنَا سِوَاكَ عَارِفَةً ،

فَبَعْدَ قَطْعِ الرّجَاءِ نَسْألُهَا

إذا رَأيْنَا أوْلى الكِرَامِ بهَا

يُضِيعُهَا، جَاهِداً، وَيُهْمِلُهَا

لمْ يَبْقَ، في النّاس، أُمّةٌ عُرِفتْ

إلاّ وفضلُ " الأمير " يشملها

نحنُ أحقُّ الورى برأفتهِ،

فَأينَ عَنّا وَأينَ مَعْدِلُهَا

يَا مُنفِقَ المَال، لا يُريدُ بهِ

إلاّ المَعَالي التي يُؤثّلُهَا

أصْبَحتَ تَشْري مَكارِماً فُضُلاً

فداؤنا ، قدْ علمتَ ، أفضلها

لا يَقْبَلُ الله، قبلَ فَرْضِكَ ذا،

نافلةً عندهُ تنفلها

أي اصطبارِ ليسَ بالزائل

أي اصطبارِ ليسَ بالزائل

و أيُّ دمعٍ ليسَ بالهامل

إنا فجعنا بفتى " وائلٍ

" لمَّا فجعنا " بأبي وائل

المشتري الحمدَ بأموالهِ ،

والبائع النائلَ بالنائل

مَاذا أرَادَتْ سَطوَاتُ الرّدَى

بالأسَدِ ابن الأسَدِ، البَاسِلِ

السّيّد ابن السّيّدِ، المُرْتَجَى ،

والعالمِ ابن العالمِ ، الفاضل

أقسمتُ لو لمْ يحكهِ ذكرهُ

رجعنَ عنهُ بشبا ثاكل

كَأنّما دَمْعِي، مِنْ بَعْدِهِ

صوبُ سحابٍ واكفٍ ، وابلِ

مَا أنَا أبْكِيهِ، وَلَكِنّمَا

تبكيهِ أطرافُ القنا الذابلِ

ما كانَ إلاَّ حدثاً نازلاً ،

موكلاً بالحدثِ النازلِ

دَانٍ إلى سُبْلِ النّدَى وَالعُلا،

نَاءٍ عَنِ الفَحْشَاءِ وَالبَاطِلِ

أرى المعالي ، إذْ قضى نحبهُ ،

تبكي بكاءَ الوالهِ ، الثاكلِ

الأسَدُ البَاسِلُ، وَالعَارِضُ الـ

ـهاطلُ ، عندَ الزمنِ الماجلِ

لوْ كانَ يفدي معشرٌ هالكاً

فَدَاهُ مِنْ حافٍ، وَمِنْ نَاعِلِ

فَكَمْ حَشَا قَبرَكَ مِنْ رَاغِبٍ

وَكَمْ حَشَا تُرْبَكَ مِنْ آمِلِ

، " سقى ثرى ، ضمَّ " أبا وائلٍ

صوبُ عطايا كفهِ الهاطلِ

لا درَّ درُّ الدهرِ - ما بالهُ

حمّلني مَا لسْتُ بالحَامِلِ

كانَ ابنُ عَمّي، إنّ عَرَا حادثٌ،

كاللّيْثِ، أوْ كالصّارمِ الصّاقِلِ

كَانَ ابنُ عَمّي عالِماً، فاضِلاً،

والدهرُ لا يبقي على فاضل

كانَ ابنُ عَمّي بَحرَ جُودٍ طمى

لكنهُ بحرٌ بلا ساحل

منْ كانَ أمسى قلبهُ خالياً

فَإنّني في شُغْلٍ شَاغِل

ضلال مارأيتُ منَ الضلال

ضلال مارأيتُ منَ الضلال

معاتبةُ الكريمِ على النوال

وَإنّ مَسامعي، عَن كلّ عَذْلٍ،

لفي شغلٍ بحمدٍ أو سؤال

ولا واللهِ ، ما بخلت يميني ،

وَلا أصْبَحْتُ أشْقَاكُمْ بمَالي

ولا أمسي يحكَّمُ فيهِ يعدي

قليلُ الحمدِ ، مذمومُ الفعال

ولكني سأفنيهِ ، وأقني

ذخائِرَ مِنّ ثَوَابٍ أوْ جَمَال

وَللوُرّاثِ إرْثُ أبي وَجَدّي،

جيادُ الخيلِ والأسلِ الطوال

وَمَا تَجْني سَرَاةُ بَني أبينَا

سوى ثمراتِ أطرافِ العوالي

ممالكنا مكاسبنا ، إذا ما

تَوَارَثَهَا رجَالٌ عَنْ رجَال

إذا لمْ تمس لي نارُ فإني

أبيتُ، لنار غَيري، غَيرَ صَال

أوَيْنَا، بَينَ أطْنَابِ الأعَادي،

إلى بلدٍ ، منَ النصار خال

نَمُدّ بُيُوتَنَا، في كُلّ فَجٍّ،

بِهِ بَينَ الأرَاقِمِ وَالصِّلال

نعافُ قطونهُ ، ونملُّ منهُ،

وَيَمْنَعُنَا الإبَاءُ مِنَ الزِّيَال

مخافةَ أنْ يقالَ ، بكل أرضٍ

بَنُو حَمْدَانَ كَفّوا عَن قِتَال

أسَيْفَ الدّوْلَةِ المَأمُولَ، إني

عن الدنيا ، إذا ما عشتَ ، سال

ومنْ وردَ المهالكَ لم ترعهُ

رزايا الدهر في أهلٍ ومال

إذا قضي الحمامُ عليَّ ، يوماً

فَفي نَصْرِ الهُدى بِيَدِ الضَّلال

مَخَافَةَ أن يُقَالَ، بكُلّ أرْضٍ

فَلَيْسَ عَلَيْكَ خَائِنَةُ اللّيَالي

وَأنْتَ أشَدّ هَذا النّاس بَأساً،

بِهِ بَينَ الأرَاقِمِ وَالصِّلال

وَأهْجَمُهُمْ عَلى جَيْشٍ كثيفٍ

وأغورهمْ على حيٍّ حلال

ضربتَ فلمْ تدعْ للسيفِ حداً

وجلتَ بحيثُ ضاقَ عن المجال

فقُلتَ، وَقد أظَلّ المَوْتُ صَبراً

وإنَّ الصبرَ عندَ سواكَ غال

ألا هَلْ مُنْكِرٌ يَابْنَيْ نِزَارٍ،

مقامي ، يومَ ذلكَ، أو مقالي

ألمْ أثبتْ لها ، والخيلُ فوضى ،

بحيثُ تخفُّ أحلامُ الرجال

تَرَكْتُ ذَوَابِلَ المُرّانِ فِيهَا

مُخَضَّبَةً ، مُحَطَّمَةَ الأعَالي

وَعُدْتُ أجُرّ رُمْحي عَن مَقَامٍ،

تحدثُ عنهُ رباتُ الحجال

وَقَائِلَةٍ تَقُولُ جُزِيتَ خَيراً

لقدْ حاميتَ عنْ حرمِ المعالي

وَمُهري لا يمَسّ الأرْضَ، زَهواً،

كَأنّ تُرَابَهَا قُطْبُ النّبَال

كأنَّ الخيلَ تعرفُ منْ عليها ،

فَفي بَعضٍ عَلى بَعضٍ تُعَالي

رَخِيصٍ عِندَهُ المُهَجُ الغَوَالي

فإنْ عِشْنا ذَخَرْنَاهَا لأخْرَى ،

وَإنْ مُتْنَا فَمَوْتَاتُ الرّجَال

فلمَّا رأتنا اجفلت كل مُجفل فبين قتيلٍ بالدماء مُضَرَّج، إبَاءٌ إبَاءُ البَكْر، غَيرُ مُذَلَّل،

فلمَّا رأتنا اجفلت كل مُجفل فبين قتيلٍ بالدماء مُضَرَّج، إبَاءٌ إبَاءُ البَكْر، غَيرُ مُذَلَّل،

وعزمٌ كحدِّ السيفِ ، غيرُ مفلل

أأُغْضِي عَلى الأمْر، الذي لا أُريدُهُ،

وَلَمّا يَقُمْ بالعُذْرِ رُمحِي وَمُنْصُلي

أبى اللهُ ، والمهرُ المنيعيُّ ، والقنا ،

وَأبْيَضُ وَقّاعٌ عَلى كلّ مَفصِلِ

وَفِتْيَانُ صِدْقٍ من غَطاريفِ وَائِلٍ

إذا قيلَ ركبُ الموتِ قالوا لهُ انزلِ

يَسُوسُهُمُ بالخَيْرِ وَالشّرّ مَاجِدٌ،

جَرُورٌ لأذْيَالِ الخَمِيسِ المُذَيَّل

لهُ بطشُ قاسٍ ، تحتهُ قلبُ راحمٍ ،

ومنعُ بخيلٍ ، بعدهُ بذلُ مفضلِ

وعزمةُ خراجٍ منَ الضيمِ ، فاتكٍ ،

وَفيٍّ، أبيٍّ، يأخُذُ الأمْرَ من عَلِ

عزوفٌ ، أنوفٌ ، ليسَ يقرعُ سنهُ،

جريءٌ، متى يعزمْ على الأمرِ يفعلِ

شَدِيدٌ عَلى طَيّ المَنَازِلِ صَبْرُهُ،

إذا هوَ لمْ يظفرْ بأكرمِ منزلِ

بِكُلّ مُحَلاّةِ السّرَاةِ بضَيْغَمٍ،

وكلِّ معلاةِ الرحالِ بأحدلِ

كَأنّ أعَالي رَأسِهَا وَسَنَامِهَا

منارةُ قسيسٍ ، قبالةَ هيكلِ

سريتُ بها، منْ ساحلِ البحر، أغتد

على " كفر طاب"، صوبها لمْ يحولِ

وقدمتً نذري أنْ يقولوا غدرتنا

وأقبلتُ ، لمْ أرهقْ ، ولمْ أتحيلِ

إلى عربٍ ، لا تختشي غلبَ غالبٍ ،

وَفيٍّ، أبيٍّ، يأخُذُ الأمْرَ من عَلِ

تَوَاصَتْ بِمُرّ الصّبْرِ، دونَ حريمها

وَفيٍّ، أبيٍّ، يأخُذُ الأمْرَ من عَلِ

فَلَمّا أطَعتُ الجَهلَ وَالغَيظَ، ساعَةً،

دَعَوْتُ بحلمي أيّها الحِلمُ أقْبِلِ

بُنَيّاتُ عَمّي هُنّ، ليسَ يَرَينَني

بَعيدَ النّجَافي، أو قَلِيلَ التّفَضُّلِ

شَفِيعُ النّزَارِيّاتِ، غَيرُ مُخَيَّبٍ،

وداعي النزارياتِ ، غيرُ مخذلِ

رَدَدتُ، برَغمِ الجَيشِ، ما حاز كلّهُ،

وَكَلّفْتُ مَالي غُرْمَ كُلّ مُضَلّلِ

فأصبحتُ، في الأعداءِ ، أيَّ ممدحٍ

وإنْ كنتُ في الأصحابِ ، أيَّ معذلِ

" مضى فارسُ الحيين "زيدُ بنُ منعةٍ

ومنْ يدنُ منْ نارِ الوقيعةِ يصطلِ

" وقرما " بني البنا تميمُ بنِ غالبٍ

همامان ، طعانان في كلِّ جحفلِ

وَلَوْ لمْ تَفُتْني سَوْرَةُ الحَرْبِ فيهما

جَرَيْتُ عَلى رَسْمٍ من الصّفح أوّل

وعدتُ ، كريمَ البطش، والعفو ، ظافراً ،

أُحَدِّثُ عَنْ يَوْمٍ أغَرّ، مُحَجَّل

هَلْ تَعْطِفَانِ عَلى العَلِيلِ

هَلْ تَعْطِفَانِ عَلى العَلِيلِ

لا بالأسِيرِ، وَلا القَتِيلِ

باتت تقبلهُ الأكـ

ـفُّ، سَحَابَةَ اللّيلِ الطّويل

يرعى النجومَ السائرا

تِ منَ الطلوع إلى الأفول

فقدَ الضيوفُ مكانهُ ،

وبكاهُ أبناءُ السبيل

وَاستَوْحَشَتْ لِفِرَاقِهِ،

يَوْمَ الوَغَى ، سِرْبُ الخُيُول

وَتَعَطّلتْ سُمْرُ الرّمَا

ح، وَأغمدتْ بيضُ النّصُول

يَا فَارِجَ الكَرْبِ العَظِيـ

ـمِ ، وكاشفَ الخطبِ الجليل

كُنْ، يَا قَوِيُّ، لِذَا الضّعِيـ

ـفِ، وَيَا عزيزُ، لِذا الذّلِيل

قَرّبْهُ مِنْ سَيْفِ الهُدَى ،

في ظِلّ دَوْلَتِهِ الظّلِيل

أوَمَا كَشَفْتَ عَنِ ابنِ دَا

ودٍ " ثقيلاتِ الكبولِ

لمْ أروَ منهُ ولا شفيـ

ـتُ بطولِ خدمتهِ ، غليلي

أللهُ يعلمُ أنهُ

أملي منِ الدنيا وسولي

وَلَئِنْ حَنَنْتُ إلى دُرَا

هُ لقد حننتُ إلى وصولِ

لا بِالغَضُوبِ، وَلا الكَذُو

بِ، وَلا القَطوبِ، وَلا المَلولِ

يا عدَّتي في النائبا

تِ، وَظُلْتي عِنْدَ المَقِيلِ

أينَ المحبةُ ، والذما

مُ وما وعدتَ منَ الجميلِ

أجْمِلْ عَلى النّفْسِ الكَرِيـ

ـمَةِ فيّ، وَالقَلْبِ الحَمُولِ

أمّا المُحِبّ فَلَيْسَ يُصـْ

ـغي في هَوَاهُ إلى عَذُولِ

يمضي بحالِ وفائهِ ،

ويصدُّ عنْ قالٍ وقيلِ

أروحُ القلبَ ببعض الهزل ،

أروحُ القلبَ ببعض الهزل ،

تَجَاهُلاً مِني، بغَيْر جَهْل

أمْزَحُ فِيهِ، مَزْحَ أهل الفَضْل،

والمزحُ ، أحياناً ، جلاءُ العقل

قُلْ لأحْبَابِنَا الجُفَاةِ رُوَيْداً

قُلْ لأحْبَابِنَا الجُفَاةِ رُوَيْداً

دَرِّجُونَا عَلى احْتِمَالِ المَلال

إنّ ذَاكَ الصّدُودَ، مِنْ غَير جُرْمٍ

لمْ يدع فيَّ مطمعاً بالوصال

أحْسِنُوا في فِعَالِكُمْ أوْ أسِيئُوا

لا عَدِمْنَاكُمُ عَلى كُلّ حَال

قاتلي شادنٌ ، بديعُ الجمال ،

قاتلي شادنٌ ، بديعُ الجمال ،

أعْجَمِيُّ الهَوَى ، فَصِيحُ الدّلال

سلَّ سيفَ الهوى عليَّ ونادى

يَا لَثَأرِ الأعْمَامِ وَالأخْوَال

كيف أرجو ممن يرى الثأر عندي

خُلُقاً مِنْ تَعَطُّفٍ أوْ وِصَال

بعدما كرتِ السنونَ ، وحالتْ

دُونَ ذِي قَارِ الدّهُورُ الخَوَالي

أيّهَا المُلْزِمِي جَرَائِرَ قَوْمِي،

بعدما قدْ مضتْ عليها الليالي

لَمْ أكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا، عَلِمَ الله،

و إني لحرِّها ، اليومَ ، صال

الفكرُ فيكَ مقصرُ الآمالِ ،

الفكرُ فيكَ مقصرُ الآمالِ ،

وَالحِرْصُ بَعدَكَ غَايَةُ الجُهّال

لوْ كانَ يخلدُ بالفضائلِ فاضلٌ

وُصِلَتْ لَكَ الآجَالُ بالآجَال

أوْ كُنتَ تُفدى لافتَدَتْكَ سَرَاتُنَا

بنفائسِ الأرواحِ والأموال

أوْ كانَ يدفعُ عنكَ بأسٌ أقبلتْ ،

شَرَعاً، تَكَدَّسُ بالقِنَا العَسّال

أعززْ ، على ساداتِ قومكَ ، أنْ ترى

فوقَ الفراشِ ، مقلبَ الأوصالِ

و السابغاتُ مصونةٌ ، لمْ تبتذلْ ،

و البيضُ سالمةٌ معَ الأبطالِ

و إذا المنيةُ أقبلتْ لمْ يثنها

حرصُ الحريصِ ، وحيلةُ المحتال

مَا للخُطوبِ وَمَا لأحْداثِ الرّدَى

أعْجَلْنَ جَابرَ غَايَةَ الإعْجَال

لمَّا تسربلَ بالفضائلِ ، وارتدى

بردَ العلاَ ، وأعتمَّ بالإقبال

وَتَشَاهَدَتْ صِيدُ المُلُوكِ بِفَضْلِهِ

و أرى المكارمَ ، منْ مكانٍ عال

أأبَا المُرَجّى غَيرُ حُزْنيَ دَارسٌ،

أبَداً عَلَيْكَ، وَغَيْرُ قَلبيَ سَال

لا زلتَ مغدوَّ الثرى ، مطروقهُ ،

بِسَحَابَةٍ مَجْرُورَةِ الأذْيَال

و حجبنَ عنكَ السيئاتُ ولمْ يزلْ

لكَ صَاحِبٌ مِنْ صَالحِ الأعمال

سَلِي عَنّا سَرَاةَ بَني كِلابٍ

سَلِي عَنّا سَرَاةَ بَني كِلابٍ

بِبَالِسَ، عِند مُشْتَجَرِ العَوَالي

لَقِينَاهُمْ بِأسْيَافٍ قِصَارٍ،

كَفَينَ مَؤونَةَ الأسَلِ الطّوَالِ

" وولى بـ " آبن عوسجةٍ كثيرٍ

وَسَاعُ الخَطْوِ في ضَنْكِ المَجَال

يرى " البرغوثَ " إذْ نجاهُ منا ،

أجلَّ عقيلةٍ ، وأحبَّ مال

تدورُ بهِ إماءٌ منْ " قريظ "؛

وَتَسْأَلُهُ النّسَاءُ عَنِ الرّجَال

يَقُلْنَ لَهُ السّلامَةُ خَيرُ غنْمٍ

و إنَّ الذلَّ في ذاكَ المقال

و " جهمانٌ " تجافتْ عنهُ بيضٌ ،

عدلنَ عن الصريح إلى الموالي

وَعَادُوا، سامِعِينَ لَنَا، فعُدنا

إلى المعهودِ منْ شرفِ الفعالِ

و نحنُ متى رضينا بعدَ سخطٍ

أسونا ما جرحنا بالنوال

نفسي فداؤكَ ـ قدْ بعثـ

نفسي فداؤكَ ـ قدْ بعثـ

ـتُ بعهدتي بيدِ الرسول

أهْدَيْتُ نَفْسِي، إنّمَا

يُهْدَى الجَلِيلُ إلى الجَلِيل

وَجَعَلْتُ مَا مَلَكَتْ يَدِي،

بُشْرَى المُبَشِّرِ بالقَبُول

غنى النفس ، لمنْ يعقـ

غنى النفس ، لمنْ يعقـ

ـلُ، خَيرٌ مِنْ غِنى المَال

وَفَضْلُ النّاس، في الأنْفُـ

ـس، لَيسَ الفَضْلُ في الحَال

يَلُوحُ بسِيماهُ الفتى من بَني أبي،

يَلُوحُ بسِيماهُ الفَتى من بَني أبي،

وَتَعْرِفُهُ مِنْ غَيْرِهِ بِالشّمَائِلِ

مفدى ، مردى ؛ يكثرُ الناسُ حولهُ

طَويلُ نِجادِ السّيفِ، سَبطُ الأنامِلِ

إذا كانَ فضلي لا أسوغُ نفعهُ

إذا كانَ فضلي لا أسوغُ نفعهُ

فَأفضَلُ مِنْهُ أنْ أُرَى غَيرَ فَاضِلِ

ومنْ أضيعِ الأشياءِ مهجةُ عاقلٍ ،

يجوزُ على حوبائها حكمُ جاهلِ

هواكَ هوايَ ، على كلِّ حالِ

هواكَ هوايَ ، على كلِّ حالِ

وَإنْ مَسَّنِي فِيكَ بَعضُ المَلالِ

وكمْ لكَ عنديَ منْ غدرةٍ ،

وقولٍ ، تكذبهُ بالفعالِ

وَوَعْدٍ يُعَذَّبُ فِيهِ الكَرِيمُ

إمّا بِخُلْفٍ، وَإمّا مِطَالِ

صَبَرْنَا لِسُخْطِكَ، صَبرَ الكرَامِ،

فهذا رضاكَ ، فهلْ منْ نوالِ

وَذُقْنَا مَرَارَةَ كأسِ الصّدُودِ،

فَأينَ حَلاوَةُ كَأسِ الوصَالِ

أقُولُ وَقَدْ نَاحَتْ بِقُرْبِي حمامَةٌ

أقُولُ وَقَدْ نَاحَتْ بِقُرْبِي حمامَةٌ

أيا جارتا هلْ باتَ حالكَ حالي

معاذ الهوى ماذقتُ طارقةَ النوى ،

وَلا خَطرَتْ مِنكِ الهُمُومُ ببال

أتحملُ محزونَ الفؤادِ قوادمٌ

على غصنٍ نائي المسافةِ عال

أيا جارتا ، ما أنصفَ الدهرُ بيننا

تَعَالَيْ أُقَاسِمْكِ الهُمُومَ، تَعَالِي

تَعَالَيْ تَرَيْ رُوحاً لدَيّ ضَعِيفَةً ،

تَرَدّدُ في جِسْمٍ يُعَذّبُ بَالِي

أيَضْحَكُ مأسُورٌ، وَتَبكي طَلِيقَةٌ ،

ويسكتُ محزونٌ ، ويندبُ سال

لقد كنتُ أولى منكِ بالدمع مقلةً ؛

وَلَكِنّ دَمْعي في الحَوَادِثِ غَالِ

ولله عندي في الإسار وغيرهِ

ولله عندي في الإسار وغيرهِ

مَوَاهِبُ، لَمْ يُخصَصْ بها أحدٌ قَبلي

حللتُ عقوداً ، أعجزَ الناسَ حلها،

وَما زَالَ عَقدي لا يُذَمّ وَلا حَلّي

إذَا عَايَنَتْني الرّومُ كَفّرَ صِيدُهَا،

كأنّهُمُ أسرَى لدَيّ وَفي كَبْلي

وَأُوسَعُ، أيّاً مَا حَلَلْتُ، كَرَامَةً،

كأنني منْ أهلي نقلتُ إلى أهلي

فقلْ لبني عمي ، وأبلغْ بني أبي

بأنيَ في نَعْمَاءَ يَشْكُرُهَا مِثْلي

وَمَا شَاءَ رَبي غَيرَ نَشْرِ مَحَاسِني،

وأن يعرفوا ما قد عرفتُ منَ الفضلِ

إنّا، إذَا اشْتَدّ الزّمَا

إنّا، إذَا اشْتَدّ الزّمَا

نُ، وَنَابَ خَطْبٌ وَادْلَهَم

ألفيتَ ، حولَ بيوتنا ،

عُدَدَ الشّجَاعَةِ، وَالكَرَمْ

لِلِقَا العِدَى بيضُ السّيُو

فِ، وَلِلنّدَى حُمْرُ النَّعَمْ

هَذَا وَهَذَا دَأبُنَا،

يودى دمٌ ، ويراقُ دمْ

قُلْ لابنِ وَرْقَا جَعْفَرٍ،

حتى يقولَ بما علمْ

إنّي، وَإنْ شَطّ المَزَا

رُ وَلَمْ تَكُنْ دَاري أُمَمْ

أصْبُو إلى تِلْكَ الخِلا

" لِ ، وأصطفي تلكَ الشيمْ

وألومُ عاديةَ الفرا "

ق، وَبَينَ أحْشَائي ألَمْ

ولعلَّ دهراً ينثني ، "

" ولعلَّ شعباً يلتئمْ

هل أنتَ ، يوماً ، منصفي "

مِنْ ظُلمِ عَمّكَ يا بنَ عَمْ

أبْلِغْهُ عَني مَا أقُو

" لُ ، فأنتَ منْ لا يتهم

أنّي رَضِيتُ، وَإنْ كَرِهْـ

ـتَ، أبَا مُحَمّدٍ الحَكَمْ

يَهْني الأمِيرَ بِشَارَةٌ،

يَهْني الأمِيرَ بِشَارَةٌ،

قرَّتْ بها عينُ المكارمْ

أعْلَى الوَرَى شَرَفاً، وَمَنْ

قَدْ بَشّرُوهُ بِخَيْرِ قَادِمْ

إنّي، وَإنْ كُنْتُ المُشَا

رِكَ في الأبُوّةِ، وَالمُسَاهِمْ

لأقُولُ قَوْلاً لا يُرَدّ،

ولا يرى لي فيهِ لاثمْ

لأبي المَعَالي، في العُلا،

و " أبي المكارم " في المكارمْ

بيتٌ ، رفيعٌ سمكهُ ،

عَالي الذّرَى ، ثَبْتُ الدّعَائِمْ

إبنان ، أمْ شبلان ذان فإنني

إبنان ، أمْ شبلان ذان فإنني

لأرَى دِمَاءَ الدّارعِينَ غِذَاهُمَا

تنبي الفراسةُ أنَّ في ثوبيهما

ليثين ، تجتنبُ الليوثُ حماهما

لمَ لا يفوقان الأنامَ ، مكارماً

والسيدان ، كلاهما ، جدَّاهما

تلقى " أبا الهيجاء" في هيجاهما،

وَيُريكَ فَضْلَ أبي العَلاءِ عُلاهُمَا

زدناهما ، شرفاً رفيعاً سمكهُ ،

ثَبْتَ الدّعائِمِ، إذْ تَخَوّلْنَاهُمَا

ميزتُ بينهما فلمْ يتفاضلا

كالفرقدين تشاكلتْ حالاهما

إنّي، وَإنْ كَانَ التّعَصّبُ شِيمَتي،

لا أدْفَعُ الشّرَفَ المُنِيفَ أخاهُمَا

أنّى يُقَصِّرُ عَنْ مَكَانٍ في العُلا

وَالمَجدِ، مَن أضْحى أبُوهُ أباهُمَا

لكِنْ لِذَين بنَا مَكَانٌ بَاذِخٌ،

لايدعيه، منَ الأنامِ ، سواهما

أسرتَ فلمْ أذقْ للنوم طعماً ،

أسرتَ فلمْ أذقْ للنوم طعماً ،

ولا حلَّ الطعانُ لنا حزاما

وَسِرْنَا، مُعْلِمِينَ، إلَيْكَ حَتى

ضربنا ، خلفَ " خرشنةَ " الخياما

يَا سَيِّديّ أرَاكُمَا

يَا سَيِّديّ أرَاكُمَا

لاَ تذكران أخاكما

أوجدتما بدلاً بهِ ،

يَبْني سَمَاءَ عُلاكُمَا

أوجدتما بدلاً بهِ ،

يفري نحورَ عداكما

ما كانَ بالفعل الجميـ

ـلِ ، بمثلهِ ، أولاكما

مَنْ ذَا يُعَابُ، بِمَا لَقِيـ

ـتُ منَ الورى ، إلاَّ كما

لا تقعدا بي ، بعدها ،

وسلاَ " الأميرَ " ، أباكما

وخذا فدايَ ، جعلتُ منْ

رَيْبِ الزّمَانِ فِدَاكُمَا

وَشَادِنٍ قالَ لي، لمّا رَأى سَقَمي

وَشَادِنٍ قالَ لي، لمّا رَأى سَقَمي

وضعفَ جسمي والدمعَ الذي انسجما

أخذتَ دمعكَ منْ خدي، وجسمكَ من

خصري وَسُقمَكَ من طرْفي الذي سَقُما

ألا منْ مبلغٌ سرواتِ قومي

ألا منْ مبلغٌ سرواتِ قومي

وَسَيْفُ الدّوْلةِ المَلِكَ، الهُمَامَا

بأني لمْ أدعْ فتياتِ قومي ،

إذا حدَّثْنَ ، جمجمنَ الكلاما

شَرَيْتُ ثَنَاءَهُنّ بِبَذْل نَفْسِي،

و نارِ الحربِ تضطرمُ اضطراما

وَلَمّا لمْ أجِدْ إلاّ فِرَاراً

أشَدَّ مِنَ المَنِيّةِ أوْ حِمَامَا

حَمَلْتُ، عَلى وُرُودِ المَوْتِ، نفسِي

" وقلتُ لعصبتي " موتوا كراما

وَلَمْ أبْذُلْ، لِخَوْفِهِمُ، مِجَنّاً،

ولمْ ألبسْ حذارَ الموتِ ، لاما

وعذتُ بصارمٍ ، ويدٍ ، وقلبٍ

حماني أنْ ألامَ ، وأنْ أضاما

ألفهمُ وأنشرهمْ كأني

أُطَرِّدُ مِنْهُمُ الإبَلَ السَّوامَا

وَأنْتَقِدُ الفَوَارِسَ، بَيْدَ أنّي

رَأيْتُ اللّوْمَ أنْ ألْقَى اللّئامَا

ومدعوٍ إلى أجابَ لمَّا

رَأى أنْ قَدْ تَذَمّمَ وَاسْتَلامَا

عقدتُ على مقلدهِ يميني ،

وأعفيتُ المثقفَ والحساما

وهلْ عذرٌ ، و" سيفُ الدين ركني ،

إذا لَمْ أرْكَبِ الخُطَطَ العِظامَا

وأتبعُ فعلهُ ، في كلِّ أمرٍ ،

وأجعلُ فضلهُ ، أبداً ، إماما

وقدْ أصبحتُ منتسباً إليهِ ،

وحسبي أنْ أكونَ لهُ غلاما

أرَاني كَيْفَ أكْتَسِبُ المَعَالي،

وَأعْطاني، عَلى الدّهْر، الدّمَامَا

وَرَبّاني فَفُقْتُ بِهِ البَرَايا،

وَأنْشَأني فَسُدْتُ بِهِ الأنَامَا

فَعَمَّرَهُ الإلَهُ لنَا طَوِيلاً،

وَزَادَ الله نِعْمَتَهُ دَوَامَا

لمثلها يستعد البأسُ والكرمُ ،

لمثلها يستعد البأسُ والكرمُ ،

وفي نظائرها تستنفدُ النعمُ

هِيَ الرّئَاسَةُ لا تُقْنى جَوَاهِرُهَا،

حتى يخاض إليها الموتُ والعدمُ

تقاعسَ الناسُ عنها فانتدبتَ لها

كالسيفِ ، لا نكلٌ فيهِ ولا سأمُ

ما زَالَ يَجحَدُها قَوْمٌ، وَيُنكِرُها

حَتى أقَرّوا، وَفي آنَافِهِمْ رَغَمُ

شكراً فَقَدْ وَفَتِ الأيّامُ ما وَعَدَتْ،

أقرَّ ممتنعٌ ؛ وانقادَ معتصمُ

وَمَا الرِّئَاسَةُ ُ إلاّ مَا تُقِرّ بِهِ

شمسُ الملوكِ ، وتعنو تحتهُ الأممُ

مَغَارِمُ المَجْدِ يَعْتَدُّ الملوكُ بها

مَغَانِماً في العُلا، في طيّهَا نِعَمُ

هذي شيوخُ "بني حمدانَ " قاطبةً ،

لاذوا بدارِكَ عِندَ الخَوفِ وَاعتَصَموا

حلوا بأكرمِ منْ حلَّ العبادُ بهِ

بحَيثُ حَلّ النّدى وَاستَوثَقَ الكَرَمَ

فكُنتَ مِنْهُمْ وَإنْ أصْبَحتَ سيّدَهم،

تواضعُ الملكِ في أصحابهِ عظمُ

شيخوخةٌ سبقتْ ، لا فضلَ يتبعها

وَلَيْسَ يَفضُلُ فِينا الفاضِلُ الهَرِمُ

ولمْ يفضلْ " عقيلاً " في ولادتهِ

عَلى عَلِيٍّ أخِيهِ، السّنُّ وَالقِدَمُ

وكيفَ يفضلُ منْ أزرى بهِ بخلُ

وقعدةُ اليدِ ، والرجلين ، والصممُ

لا تنكروا ، يا بنيهِ ، ما أقولُ فلنْ

تُنسَى التَّرَاتُ وَلا إن حالَ شَيخُكُمُ

كادَتْ مَخَازِيهِ تُرْدِيهِ فَأنْقَذَهُ

منها ، بحسنِ دفاعٍ عنهُ ، عمكمُ

أسْتَوْدِعُ الله قَوْماً، لا أُفَسّرُهُمْ،

الظالمينَ ، ولوْ شئنا لما ظلموا

, القائلينَ ، ونغضي عن جوابهمُ

وَالجَائِرينَ، وَنَرْضَى بالذي حكَموا

إني ، على كلِّ حالٍ ، لستُ أذكرهمْ ؛

إلاّ وَللشّوقِ دَمعي وَاكِفٌ، سَجِمُ

الأنفسُ اجتمعتْ يوماً ، أو افترقتْ

إذا تَأمّلتَ، نَفسٌ، وَالدّمَاءُ دَمُ

رَعَاهُمُ الله، مَا نَاحَتْ مُطوَّقَةٌ،

وَحاطَهُمْ، أبَداً، مَا أوْرَقَ السَّلَمُ

يقولونَ لا تخرقْ بحلمكَ هيبةً

يقولونَ لا تخرقْ بحلمكَ هيبةً

وأحسنُ شيءٍ زينَ الهيبةَ الحلمُ

فلا تتركنَّ العفوَ عنْ كلِّ زلةٍ

فما العَفْو مَذمُومٌ، وَإن عظُمَ الجُرْمُ

نَفى النّوْمَ عن عَيني خَيالُ مُسَلّمٍ

نَفى النّوْمَ عن عَيني خَيالُ مُسَلّمٍ

تَأوّبَ مِنْ أسماءَ، وَالرّكبُ نُوّمُ

ظَلِلْتُ وَأصْحابي عَبادِيدَ في الدّجى

أَلَدَّ بِجَوّال الوشَاح، وَأنْعَمُ

وَسَائِلَةٍ عَنّي فَقُلْتُ، تَعَجّباً

كَأنّكِ لا تَدْرِينَ كَيْفَ المُتَيَّمُ

أعرني ، أقيكَ السوءَ ، نظرةَ وامقٍ

لَعَلّكَ تَرْثي، أوْ لَعَلّكَ تَرْحَمُ

فما أنا إلاّ عبدكَ القنُّ في الهوى ،

وَما أنْتَ إلاّ المَالِكُ، المُتَحَكّمُ

وأرضى بما ترضى على السخطِ والرضا

وَأغضِي، عَلى عِلْمٍ بأنّكَ تَظْلِمُ

يئستُ منَ الإنصافِ بيني وبينهُ ،

وَمَن ليَ بالإنْصَافِ وَالخَصْمُ يحكُمُ

وَخَطْبٍ مِنَ الأيّامِ أنْسَانيَ الهَوَى ،

وَأحلى بِفِيَّ المَوْتَ، وَالمَوْتُ عَلقَمُ

ووالله ، ماشببتُ إلا علالةً ،

وَمِنْ نَارِ غَيرِ الحُبّ قَلْبيَ يُضرَمُ

ألاَ مُبْلِغٌ عَني الحُسَينَ أُلوكَةً ،

تَضَمّنَهَا دُرُّ الكَلامِ المُنَظّمُ

لذيذُ الكرى ، حتى أراكَ ، محرمٌ

ونارُ الأسى بينَ الحشا تتضرمُ

وَأثرُكُ أنْ أبكي عَليكَ، تَطيّراً،

وقلبيَ يبكي ، والجوانحُ تلطمُ

وَإنّ جُفُوني إنْ وَنَتْ لَلئِيمَةٌ،

وإنَّ فؤادي إنْ سلوتُ لألأمُ

وَأظْهرُ لِلأعْدَاءِ فِيكَ جَلادَةً،

وَأكْتُمُ مَا ألْقَاهُ وَالله يَعْلَمُ

سَأبكِيكَ، مَا أبقى ليَ الدّهرُ مُقلةً،

فإنْ عَزّني دَمْعٌ، فَما عَزّني دَمُ

وَحُكْمي بُكاءُ الدّهرِ فيما يَنُوبُني،

وَحُكْمُ لَبيدٍ فِيهِ حَوْلٌ مُجَرَّمُ

" و ما نحنُ إلاَّ " وائلٌ " و" مهلهلٌ

صَفَاءً، وَإلاّ مَالِكٌ وَمُتَمِّمُ

وَإنّي وَإيّاهُ لَعَيْنٌ وَأخْتُهَا،

وَإنّي وَإيّاهُ لَكَفٌّ وَمِعْصَمُ

تصاحبنا الأيامُ في ثوبِ ناصحٍ

ويختلنا منها ، على الأمن ، أرقمُ

وَمَا أغْرَبَتْ فِيكَ اللّيَالي، وَإنّهَا

لتصدعنا منْ كلِّ شعبٍ وتثلمُ

طوارقُ خطبٍ ، ما تغبُّ وفودها ،

وأحداثُ أيامٍ تغذُّ وتنئمُ

فما عرفتني غيرَ ما أنا عارفُ

ولا علمتني غيرَ ما كنتُ أعلمُ

مَتى لمْ تُصِبْ مِنَّ اللّيَالي ابنَ هِمّةٍ

يجَشّمُهَا صَرْفُ الرّدَى فَتَجَشّمُ

تهينُ علينا الحربُ نفساً عزيزةً

إذَا عَاضَنَا مِنْهَا الثّنَاءُ المُنَمْنَمُ

وَإنّي لَغِرٌّ إنْ رَضِيتُ بِصَاحِبٍ

يبِشُ ، وفيهِ جانبٌ متجهمُ

وَنَحْنُ أُنَاسٌ، لا تَزَالُ سَرَاتُنَا

لهَا مَشرَبٌ، بَين المَنَايَا، وَمَطْعَمُ

نظرناإلى هذا الزمانِ ، وأهلهِ

فَهَانَ عَلَيْنَا مَا يَشِتّ وَيَنظِمُ

وندعو كريماً منْ يجودُ بمالهِ ،

وَمَنْ يَبْذِلُ النّفسَ الكَريمَةَ أكرَمُ

وَمَا ليَ لا أمضِي حَميداً وَمَطلَبي

بعيدٌ ،و ما فعلي بحالٍ مذممُ

إذَا لمْ يكُنْ يُنجي الفِرَارُ من الرّدى ،

على حَالةٍ ، فالصّبرُ أرْجَى وَأحزَمُ

لكَ اللهُ إنا بينَ غادٍ ورائحٍ

نُعِدّ المَغَازي في البلاَدِ وَنَغنَمُ

وأرماحنا في كلِّ لبةِ فارسٍ

تثقبُ تثقيبَ الجمانِ وتنظمُ

سنضربهمْ ، مادامَ للسيفِ قائمٌ ،

ونطعنهمْ ، مادامَ للرمحِ لهذمُ

ونقفوهمُ ، خلفَ الخليجِ بضمرٍ

تخوضُ بحاراً بعضُ خلجانها دمُ

بكلِّ غلامٍ منْ "نزارٍ " وغيرها

عليهِ من الماذي درعٌ مختمُ

" ونجنبُ ما ألقى " الوجيهُ " و" لاحقٌ

إلى كُلّ ما أبقى الجَديلُ وَشَدقَمُ

ونعتقلُ الصمَّ العوالي إنها

طريقٌ إلى نيل المعالي وسلَّمُ

رَأيْتُهُمُ يَرْجُونَ ثَأراً بِسَالِفٍ،

وفي كلِّ يومٍ يأخذ السيفُ منهمُ

فقلْ لـ" ابن فقاس " دع الحربَ جانباً

فإنكَ روميٌّ ، وخصمكَ مسلمُ

فَوَجْهُكَ مَضرُوبٌ، وَأُمّكَ ثاكِلٌ،

وَسِبْطُكَ مأسُورٌ، وَعِرْسُكَ أَيِّمُ

ولمْ تنبْ عنكَ البيضُ في كلِّ مشهدٍ

وَلَكِنّ قَتلَ الشّيخِ فِينا مُحَرَّمُ

إذا ضربتْ فوقَ الخليج قبابنا ،

وأمسى عليكَ الذلُّ ، وهوَ مخيمُ

وأدى إلينا " الملكُ " جزيةَ رأسهِ ،

وَفُكّ عن الأسرَى الوثَاقُ وَسُلّمُوا

فإنْ ترغبوا في الصلح فالصلحُ صالحُ

وَإنْ تجنَحوا للسّلم فالسّلمُ أسلمُ

أعَاداتُ سَيْفِ الدّوْلَةِ القَرْمِ إنّهَا

لإحدى الذي كشفتَ بلْ هيَ أعظمُ

وَإنّ لِسَيْفِ الدّوْلَةِ القَرْمِ عَادَةً

تَرُومُ عُلُوقَ المُعجِزَاتِ فَتَرْأمُ

وَقِيلَ لهَا سَيفُ الهُدى ، قُلتُ إنّه

ليفعلُ خيرُ الفاعلينَ ويكرمُ

أما انتاشَ منْ مسَّ الحديدِ وثقلهِ

أبا وائلٍ " والبيضُ في البيض تحكمُ "

تجرُّ عليهِ الحربُ ، منْ كلِّ جانبٍ ،

فَلا ضَجِرٌ جَافٍ، وَلا مُتَبَرِّمُ

أخُو عَزَمَاتٍ في الحُرُوبِ إذَا أتَى

أتَى حادِثٌ، من جانِبِ الله مُبَرِمُ

نَخِفّ، إذَا ضَاقَتْ عَلَيْنَا أُمُورُنا،

بأبَيضِ وَجهِ الرّأيِ وَالخُطبُ مُظلِمُ

ونرمي بأمرٍ لا نطيقُ احتمالهُ

إلى قرمنا ، والقرمُ بالأمرِ أقومُ

إلى رجلٍ يلقاكَ في شخصِ واحدٍ

ولكنهُ في الحربِ جيشٌ عرمرمُ

نثيلٌ على الأعداءِ أعقابُ وطئهِ ،

صليبٌ على أفواهها حينَ تعجمُ

ونمسكُ عنْ بعضِ الأمورِ مهابةً ،

فيعلمُ ما يخفي الضميرُ ، ويفهمُ

ونجني جناياتٍ عليهِ يقيلها ،

ونخطيءُ أحياناً إليهِ فيحلمُ

يسومونا فيكَ الفداءَ ، وإننا

لنَرْجوكَ قَسراً وَالمَعاطِسُ تُرْغَمُ

أترضى بأنْ نعطى السواءَ قسيمنا

إذا المجدُ بينَ الأغلبينَ يقسَّمُ

وَما الأسرُ غُرْمٌ، وَالبَلاءُ مُحَمَّدٌ،

وَلا النّصْرُ غُنْمٌ، وَالهَلاكُ مُذَمَّمُ

وَأقْدَمْتَ لَوْ أنّ الكَتائِبَ تُقْدِمُ

دَعَوْتَ خَلوفاً، حينَ تختلِفُ القَنَا،

ونـاديتَ صماً عنكَ ، حينَ تصممُ

وَمَا عابَكَ، ابنَ السّابِقِينَ إلى العُلا،

تَأخّرُ أقْوَامٍ وَأنْتَ مُقَدَّمُ

و مالكَ لا تلقى بمهجتكَ الردى ،

وأنتَ منَ القومِ الذينَ همُ همُ

لعاً ، يا أخي - لامسكَ السوءُ - إنهُ

هُوَ الدّهرُ في حالَيه بؤسٌ وَأنعُمُ

و ما ساءني أني مكانكَ ، عانياً

وأسلمُ نفسي للإسارِ وتسلمُ

طلبتكَ حتى لمْ أجدْ ليَ مطلباً ،

وَأقْدَمْتُ حَتى قَلّ مَنْ يَتَقَدَّمُ

وَلَكِنْ قَضَاءٌ فاتَني فيكَ مُبرَمُ

فإنْ جَلّ هَذا الأمرُ فَالله فَوْقَه،

وَإنْ عَظُمَ المَطْلُوب فالله أعظَمُ

وإني أخفي فيكَ ، ماليسَ خافياً

وَأكْتُمُ وجْداً، مِثْلُه لا يُكَتَّمُ

ولو أنني وفيتُ رزءكَ حقهُ

لما خطَّ لي كفٌّ ، ولا فاهَ لي فمُ

وراءكِ يا " نميرُ" فلا إمامُ

وراءكِ يا " نميرُ" فلا إمامُ

فَقَدْ حَرُمَ الجَزِيرَةُ وَالشّآمُ

لَنَا الدّنْيَا، فَمَا شِئْنَا حَلالٌ

لِسَاكِنِهَا، وَما شِئْنَا حَرَامُ

وَيَنْفُذُ أمْرُنَا، في كُلّ حَيٍّ،

فَيُدْنِيهِ وَيُقْصِيهِ الكَلامُ

أرَاجِيَةً خُوَيْلَفَةً ذِمَاماً

وراءكِ ، لا أمانَ ولا ذمامُ

أَلَمْ تُخْبِرْكِ خيلُكِ عن مَقامي

بِبَالِسَ يَوْمَ ضَاقَ بِهَا المَقَامُ

وَوَلّتْ تَتّقي، بَعْضاً ببَعْضٍ،

لهمْ -والأرضُ واسعةٌ - زحامُ

سروا والليلُ يجمعنا ، ولمنْ

يبوحُ بهمْ ،ويكتمنا الظلامُ

إلى أنْ صبَّحتهمْ بالمنايا

كَرَائِمُ، فَوْقَ أظْهُرِهَا كِرَامُ

مِنَ الْعَرَشَاتِ تَلْحَقُ مَا رَأتْهُ

إذا طلبتْ ، وتعطى ما تسامُ

تَنَازَعُ بي وَبالفُرْسَانِ حَوْلي

تجفلهمْ ، كما جفلَ النعامُ

" بطحنا منهمُ " مرجَ بنَ جحشٍ

فَلَمْ يَقِفُوا عَلَيْهِ، وَلَمْ يُحامُوا

أقُولُ لمُطْعِمٍ لمّا التَقَيْنَا،

وَقَدْ وَلّى وَفي يَدِيَ الحُسَامُ

أتجعلُ بيننا عشرينَ كعباً

وَتَهْرُبُ سَوْءَةً لكَ يا غُلامُ

أحَلّكُمُ بدَارِ الضّيْمِ، قَسْراً،

هُمَامٌ لا يُضَامُ، وَلا يُرَامُ

أشدةٌ ، ما أراهُ منكَ ، أمْ كرمُ

أشدةٌ ، ما أراهُ منكَ ، أمْ كرمُ

تجُودُ بالنّفس، وَالأرْوَاح تُصْطلمُ

يا باذِلَ النّفس وَالأموَال مُبتسِماً،

أما يهولكَ لا موتٌ ، ولا عدمُ

لقدْ ظننتكَ ، بينَ الجحفلين ، ترى

أنّ السّلامَةَ ، من وَقع القَنَا، تَصِمُ

نشَدتُكَ الله، لا تَسمحْ بنفس عُلاً،

حَيَاةُ صَاحِبِها تَحيا بهَا الأمَمُ

هِيَ الشّجَاعَةُ إلاّ أنّهَا سَرَفٌ،

وكلُّ فضلكَ لا قصدٌ ولا أممُ

إذا لَقيتَ رقَّاقَ البيضِ، مِنفَرداً،

تحتَ العَجاجَةِ لمْ تُستَكْثرِ الخَدَمُ

تفدي بنفسكَ أقواماً صنعتهمُ

وكانَ حقهمُ أنْ يفتدوكَ همُ

وَمَنْ يُقَاتِلُ مَنْ تَلقى القِتالَ بِهِ،

وَلَيسَ يَفضُلُ عَنكَ الخَيلُ وَالبُهُمُ

تَضِنّ بالحَرْبِ عَنّا، ضَنّ ذي بخَلٍ،

ومنكَ ، في كل حالٍ ، يعرفُ الكرمُ

لا تَبْخَلَنّ عَلى قَوْمٍ إذا قُتِلُوا

أثْنَى عَلَيكَ بَنُو الهَيْجَاءِ، دُونَهمُ

ألبستَ ما لبسوا ، أركبتَ ما ركبوا

عرفتَ ما عرفوا ، علمتَ ما علموا

كما أريتَ ببيضٍ، أنتَ واهبها ،

على خُيولِكَ خاضُوا البحرَ وهوَ دَمُ

هُمُ الفَوَارِسُ، في أيّدِيهِمُ أسَلٌ،

فإنْ رأوكَ فأسدٌ ، والقنا أجمُ

قَالُوا المَسِيرُ فَهَزّ الرّمحُ عَامِلُهُ،

وَارْتَاحَ في جفنهِ الصّمصَامَةُ الخَذِمُ

فطالبتني بما ساءَ العداةَ ، وقدْ

عودتها ما تشاءُ الذئبُ والرخمُ

حَقّاً، لقد ساءني أمرٌ، ذُكِرْتُ لهُ،

لَوْلا فِرَاقُكَ لمْ يُوجَدْ لهُ أَلَمُ

لا تشغلني بأمرِ " الشامِ " أحرسهُ

إنّ الشآمَ عَلى مَنْ حَلّهُ حَرَمُ

فَإنّ للثّغْرِ سُوراً مِنْ مَهَابَتِهِ،

صخورهُ منْ أعادي أهلهِ قممُ

لا يحرمني " سيفُ الدين " صحبتهُ

فَهْيَ الحَيَاةُ التي تَحيَا بهَا النَّسَمُ

و ماا عترضتُ عليهِ في أوامرهِ

لكنْ سألتُ ، ومنْ عاداتهِ ، نعمُ

الدِّينُ مُخْتَرَمٌ، وَالحَقّ مُهْتَضَمُ،

الدِّينُ مُخْتَرَمٌ، وَالحَقّ مُهْتَضَمُ،

وفيءُ آل " رسول اللهِ " مقتسمُ

والناسُ عندكَ لا ناسُ ، فيحفظهمْ

سومُ الرعاةِ ، ولا شاءٌ ، ولا نعمُ

إنّي أبيتُ قَلِيلُ النّوْمِ، أرّقني

قلبٌ ، تصارعُ فيهِ الهمُّ والهممُ

و عزمةٌ ، لا ينامُ الليلَ صاحبها

إلاّ على ظَفَرٍ، في طيّهِ كَرَمُ

يُصَانُ مُهري لأمرٍ لا أبُوحُ بهِ،

والدرعُ ،والرمحُ ، والصمصامةُ الخذمُ

وَكُلُّ مَائِرَةِ الضّبْعَين، مَسْرَحُها

رمثُ الجزيرةِ ، والخذرافُ والغنمُ

و فتيةٌ ، قلبهمْ قلبٌ إذا ركبوا

يوماً ؛ ورأيهمُ رأيٌ إذا عزموا

يا للرجال أما للهِ منتصفٌ

من الطّغاةِ أمَا للدّين مُنتَقِمُ

بنو عليٍّ " رعايا في ديارهمُ ، "

وَالأمرُ تَملِكُهُ النّسوَانُ، وَالخدَمُ

محلؤونَ ، فأصفى شربهمْ وشلٌ ،

عندَ الورودِ ؛ وأوفى ودهمْ لممُ

فَالأرْضُ، إلاّ عَلى مُلاكِها، سَعَةٌ،

والمالُ ، إلاّ أربابهِ ، ديمُ

وَمَا السّعِيدُ بهَا إلاّ الّذي ظَلَمُوا،

وما الغنيُّ بها إلاّ الذي حرموا

للمتقينَ ، منَ الدنيا ، عواقبها

وإنْ تعجلَ منها الظالمُ الأثمُ

لا يطغينَّ " بني العباس" ملكهمُ

بنو عليٍّ " مواليهم وإنْ زعموا "

- أتفخرونَ عليهمْ - لا أبا لكمُ

حتى كأنَّ " رسولَ اللهِ " جدكمُ

وَمَا تَوَازَنَ، يَوْماً، بَينَكُمْ شَرَفٌ،

وَلا تَسَاوَتْ بكُمْ، في مَوْطِنٍ، قَدَمُ

ولا لكمْ مثلهمْ ، في المجدِ ، متصلٌ

وَلا لِجَدّكُمُ مَسْعَاةُ جَدّهِمُ

ولا لعرقكمُ منْ عرقهمْ شبهٌ

ولا " نفيلتكمْ " منْ أمهمْ أممُ

قامَ النبيُّ بها " يومَ الغدير " لهمْ

واللهُ يشهدُ ،والأملاكُ ، والأممُ

حَتى إذا أصْبَحَتْ في غَيرِ صَاحِبها

باتتْ تنازعها الذؤبانُ والرخمُ

وَصُيِّرَتْ بَيْنَهُنْ شُورَى كَأنّهُمُ

لا يعرفونَ ولاةَ الحقِّ أيهم

تاللهِ ، ماجهلَ الأقوامُ موضعها

لكِنّهُمْ سَتَرُوا وَجْهَ الذي عَلِمُوا

ثُمّ ادّعَاهَا بَنُو العَبّاس إرْثَهُمُ،

و مالهمْ قدمٌ ، فيها ، ولا قِدمُ

لا يذكرونَ ، إذا ما معشرٌ ذكروا ،

ولا يحكمُ ، في أمرٍ ، لهمْ حكمُ

ولا رآهمْ " أبو بكرٍ "وصاحبهُ

أهْلاً لِمَا طَلَبُوا مِنها، وَما زَعموا

فَهَلْ هُمُ مُدّعُوها غَيرَ وَاحِبَةٍ

أمْ هل أئمتهمْ في أخذها ظلموا

أمَّا " عليَّ " فقدْ أدنى قرابتكم ،

عندَ الولايةِ ، إنْ لمْ تكفرِ النعمُ

هلْ جاحدٌ ، يا" بني العباس" نعمتهُ

أبُوكُمُ، أمْ عُبَيْدُ الله، أمْ قُثَمُ

" بئسَ الجزاءُ جزيتمْ في بني " حسنٍ

أباهم العَلَمُ الهَادِي وَأُمَّهُمُ

لا بيعةٌ ردعتكمْ عنْ دمائهمُ ،

ولا يمينٌ، ولا قربى ، ولا ذممُ

هَلاَّ صَفَحْتُمْ عَنِ الأسْرَى بلا سَبَبٍ،

للصَافِحينَ ببَدْرٍ عَنْ أسِيرِكُمُ

هلا كففتمْ عن " الديباج " سوطكمُ

وَعَنْ بَناتِ رَسول الله شَتمَكُمُ

مَا نُزّهَتْ لِرَسُول الله مُهْجَتُهُ

عَنِ السّيَاطِ فَهَلاّ نُزّهَ الحَرَمُ

ما نَالَ منهم بَنو حَرْبٍ، وَإن عظُمَتْ

تِلكَ الجَرَائِرُ، إلاّ دُونَ نَيْلِكُمُ

كَمْ غَدْرَةٍ لكُمُ في الدّين وَاضِحَةٍ

وكمْ دمٍ لـ "رسول اللهِ " عندكمُ

أأنتمُ آلهُ فيما ترونَ ، وفي

أظفاركمْ ، منْ بنيهِ الطاهرينَ ، دمُ

هيهاتَ لاقربت قربى ، ولا رحمُ ،

يَوْماً، إذا أقصَتِ الأخلاقُ وَالشّيَمُ

كَانَتْ مَوَدّةُ سَلْمَانٍ لَهُ رَحِماً،

وَلَمْ يَكُنْ بَينَ نُوحٍ وَابنِهِ رَحِمُ

ياجاهداً في مساويهمْ يكتمها

غدرُ الرشيدِ بـ " يحيى " كيفَ ينكتمُ

لَيسَ الرّشيدُ كمُوسَى في القِيَاسِ وَلا

مأمونكمْ كـ"الرضا" إنْ أنصفُ"

ذاقَ الزّبيرِيّ غِبّ الحِنثِ وَانكشَفتْ

عن "ابنِ فاطمةَ "الأقوالُ والتهمُ

باؤوا بقتلِ " الرضا " منْ بعدِ بيعتهِ

وَأبصَرُوا بَعضَ يوْمٍ رُشدَهم وَعَموا

يا عصبةً شقيتْ ،من بعدما سعدتْ ،

ومعشراً هلكوا منْ بعدما سلموا

لِبِئسَ ما لَقَيَتْ مِنهمْ، وَإنْ بلِيَتْ

بجانبِ "الطفِّ " تلكَ الأعظمُ الرممُ

لاعنْ " أبي مسلمٍ" في نصحهِ صفحوا،

وَلا الهُبَيريَّ نَجّى الحِلفُ وَالقَسَمُ

ولاالأمانُ لأزدِ " الموصل" اعتمدوا

فيهِ الوفاءَ، ولاعنْ عمهمْ حلموا

أبْلِغْ لدَيْكَ بَني العَبّاسِ مألكةً

لاتدَّعوا ملكها ملاَّكها العجمُ

أيّ المَفَاخِرِ أمْسَتْ في مَنَابركُمْ،

وَغَيْرُكُمْ آمِرٌ فِيهنّ، مُحتكِمُ

وَهَلْ يَزيدُكُمْ مِنْ مَفْخَرٍ عَلَمٌ،

وفي الخلافِ ، عليكمْ يخفقُ العلمُ

خَلّوا الفَخَارَ لعلاّمِينَ، إنْ سُئلوا

يَوْمَ السّؤال، وَعَمّالِينَ إن علِموا

لايغضبونَ لغيراللهِ، إنْ غضبوا،

وَلا يُضِيعُونَ حُكْمَ الله إنْ حكموا

تَبدوا التّلاوَةُ من أبْياتِهمْ، أبَداً،

وفي بيوتكمْ الأوتارُ ، والنغمُ

مافي ديارهمُ للخمرِ معتصرٌ ؛

وَلا بُيُوتُهُمُ للسّوءِ مُعْتَصَمُ

و لا تبيتُ لهمْ خنثى ، تنادمهمْ ؛

و لا يرى لهمُ قردٌ ، لهُ حشمُ

الرّكنُ، وَالبيتُ، وَالأستارُ مَنزلُهُمْ،

وَزَمزَمٌ، وَالصَّفَا، والحِجرُ، والحَرَمُ

صَلَّى الإلهُ عَلَيهِمْ، أينَما ذُكرُوا،

لأنهمْ للورى كهفٌ ، ومعتصمُ

أللومُ للعاشقينَ لومُ ،

أللومُ للعاشقينَ لومُ ،

لأنَّ خطبَ الهوى عظيمُ

فكيفَ ترجونَ لي سلواً

وَعِنْدِيَ المُقْعِدُ المُقِيمُ

و مقلتي ، ملؤها دموعٌ ؛

وَأضْلُعي، حَشْوُهَا كُلُومُ

يَا قَوْمِ إني امرُؤٌ كَئُومٌ،

تَصْحَبُني مُقْلَةٌ نَمُومُ

أللَيلُ للعاشقينَ سترٌ ،

يَا لَيْتَ أوْقَاتَهُ تَدُومُ

نديميَ النجمُ ، طولَ ليلي،

حتى إذا غارتِ النجومُ

أسلمني الصبحُ للبلايا ،

فَلا حَبِيبٌ، وَلا نَدِيمُ

بـ " رملتيْ عالجٍ " رسومٌ ،

يَطُولُ مِنْ دُونِهَا الرّسِيمُ

أنَخْتُ فيهنّ يُعْمَلاتٍ،

ما عهدُ إرقالها ذميمُ

آجدها قطعُ كلِّ وادٍ ،

أخْصَبَهُ نَبْتُهُ العَمِيمُ

رَدّتْ عَلى الدّهرِ، في سُرَاهَا،

ما وهبَ النجمُ ، والنجومُ

تِلْكَ سَجَايَا مِنَ اللّيَالي،

للبؤسِ ما يخلقُ النعيمُ

بَينَ ضُلُوعي هَوىً مُقِيمٌ

لآل " ورقاءَ " لا يريمُ

يُغَيّرُ الدّهْرُ كُلّ شَيْءٍ،

و هوَ صحيحٌ لهمْ ، سليمُ

أمْنَعُ مَنْ رَامَهُ سِوَاهُمْ

منهُ ، كما تمنعُ الحريمُ

وَهَلْ يُسَاوِيهِمُ قَرِيبٌ

أمْ هَلْ يُدَانِيهِمُ حَمِيمُ

و نحنُ في عصبةٍ وأهلٍ ،

تَضُمّ أعْصَانَنَا أُرُومُ

لمْ تتفرقْ بنا خؤول ،

في جذمِ عزٍّ ، ولا عمومُ

سَمَتْ بِنَا وَائِلٌ، وَفَازَتْ

" بالعزِّ أخوالنا " تميمُ

ودادهم خالصٌ ، صحيحٌ ،

وعهدهمْ ثابتٌ ، مقيمُ

فذاكَ منهمْ بنا حديثٌ ،

وَهْوَ لآبَائِنَا قَدِيمُ

نَرْعَاهُ، مَا طُرّقَتْ بِحَمْلٍ

أنثى ، وما أطفلتْ بغومُ

نُدْني بَني عَمّنَا إلَيْنا،

فَضْلاً، كمَا يَفْعَلُ الكَرِيمُ

أيدٍ لهمْ ، عندَ كلِّ خطبٍ ،

يثني بها الفادحُ الجسيمُ

وألسنٌ ، دونهمْ ، حدادٌ

لُدٌّ إذَا قَامَتْ الخُصُومُ

لمْ تَنْأ، عَنّا، لَهُمْ قُلُوبٌ،

وإنْ نأتْ منهمُ ، جسومُ

فلاَ عدمنا لهمْ ثناءً ،

كَأنّهُ اللؤلؤ النّظِيمُ

لقدْ نمتنا لهمْ أصولٌ ،

مَا مَسّ أعْرَاقَهُنّ لُومُ

تبقى ويبقونَ في نعيمٍ

مَا بَقِيَ الرّكْنُ، وَالحَطِيمُ

لَمّا تَبَيَّنْتُ بِأنّي لَهُ

لَمّا تَبَيَّنْتُ بِأنّي لَهُ

أزدادُ حباً ، كلّما لاموا ،

وددتُ إذْ ذاكَ ، بأنَّ الورى

فِيكَ، مَدَى الأيّامِ، لُوّامُ

أما إنهُ ربعُ الصبا ومعالمهْ

أما إنهُ ربعُ الصبا ومعالمهْ

فلاَ عذرَ إنْ لمْ ينفذِ الدمعَ ساجمهْ

لئنْ بتَّ تبكيهِ خلاءً فطالما

نعمتَ بهِ ، دهراً ، وفيهِ نواعمهْ

رياحٌ عفتهُ ، وهي أنفاسُ عاشقٍ

وَوَبْلٌ سَقاهُ، وَالجُفُونُ غَمائِمُهُ

وَظَلاَمَةٍ ، قَلَّدْتُهَا حُكمَ مُهجتي،

ومنْ ينصفُ المظلومَ والخصمُ حاكمهْ

مهاةٌ ، لها منْ كلِّ وجهٍ مصونهُ،

وَخوْدٌ لهَا مِنْ كُلّ دَمعٍ كَرَائِمُهْ

وليلٍ كفرعيها قطعتُ وصاحبي

رَقيقُ غِرَارٍ، مِخذَمُ الحدّ صَارِمُهْ

تَغُدّ بيَ الفَقْرَ الفَضَاءَ شَمِلَّةٌ

سواءٌ عَلَيْها نَجْدُه وَتَهَائِمُهْ

تصاحبني آرامهُ وظباؤهُ ،

وتؤنسني أصلالهُ وأراقمهْ

وَأيُّ بلادِ الله لَمْ أَنْتَقِلْ بهَا

وَلا وَطِئَتْها مِنْ بَعِيري مَنَاسمُهْ

وَنَحْنُ أُنَاسٌ، يَعلَمُ الله أنّنا،

وَخوْدٌ لهَا مِنْ كُلّ دَمعٍ كَرَائِمُهْ

إذَا وُلِدَ المَوْلُودُ مِنّا فَإنّمَا الـ

وَتُؤنِسُني أصْلالُه وَأرَاقِمُهْ

إلا مبلغٌ عني ، ابنَ عمي ، رسالةً

بَثَثْتُ بهَا بَعضَ الذي أنَا كاتِمُهْ

أيا جافياً ما كنتُ أخشى جفاؤهُ

وإنْ كثرتْ عذالهُ ، ولوائمهْ

كذلكَ حظي منْ زماني وأهلهِ

يُصَارِمُني الخِلُّ الذي لا أُصَارِمُهْ

وإنْ كنتُ مشتاقاً إليكَ فإنهُ

ليشتاقُ صبَّ إلفهِ ، وهوَ ظالمهْ

أوَدُّكَ وُدّاً، لا الزّمَانُ يُبِيدُهُ،

وَلا النّأيُ يُفنِيهِ، وَلا الهَجرُ ثَالِمُهْ

وأنتَ وفيٌّ لا يذمُّ وفاؤهُ ،

وَأنتَ كريمٌ ليس تُحصَى مكارمُهْ

أُقِيمَ بِهِ أصْلُ الفَخَارِ وَفَرْعُهُ،

وشُدّ بِهِ رُكْنُ العُلا، وَدَعَائِمُهْ

أخو السيفِ تعديهِ نداوةُ كفهِ

فيحمرُّ خداهُ ، ويخضرُ قائمهْ

أعِندَكَ لِي عُتْبَى فأحمِلَ ما مَضَى

وَأبْنِي رُوَاقَ الوُدّ، إذْ أنتَ هادِمُهْ

أيّهَا الغَازِي، الّذِي يَغْـ

أيّهَا الغَازِي، الّذِي يَغْـ

زو بجيشِ الحبِّ جسمي

ما يقومُ الأجرُ في غز

وكَ للروم بإثمي

كَمْ لَيْلَةٍ شَهْبَاءَ، إذْ بَرَزَتْ لَنا،

سقتكَ الغوادي منْ متون الغمائم

مِنْ ثَغْرِهَا في جِنْح لَيلٍ مُظلِمِ

كَتَمَتْ هَوَايَ وَقَابَلَته بهَجْرَةٍ ،

في جمرها المتلهبِ المتضرمِ

و أديبةٍ إخترتها عربيةً

و أديبةٍ إخترتها عربيةً

تُعزى إلى الجدِّ الكريمِ ، وتنتمي

محجوبةٌ لمْ تبتذلْ ، أمارةٌ

لمْ تَأتَمِرْ، مَخدُومَةٌ لمْ تَخْدِمِ

لوْ لمْ يكنْ لي فيكَ إلاّ أنني

بِكِ قد غُنِيتُ عن ارْتكابِ المَحرَمِ

و لقدْ نزلتِ فلاَ تظني غيرهُ

مِنّي بِمَنْزِلَةِ المُحِبّ المُكْرَمِ

تَسَمَّعْ، في بُيُوتِ بَني كِلابٍ،

تَسَمَّعْ، في بُيُوتِ بَني كِلابٍ،

بني البَنّا تَنُوحُ عَلى تَمِيمِ

بِكُرْهِي إنْ حَمَلْتُ بَني أبيهِ

وأسرته على النأي العظيمِ

رجعتُ ، وقدْ ملكتهمُ جميعاً ،

إلى الأعراق والأصل الكريم

، " يعزُّ على الأحبةِ ، بـ " الشام

، " يعزُّ على الأحبةِ ، بـ " الشام

حَبيبٌ، بَاتَ مَمْنُوعَ المَنَامِ

وَإني للصّبُورُ عَلى الرّزَايَا،

وَلَكِنّ الكِلامَ عَلى الكِلامِ

جُرُوحٌ لا يَزَلْنَ يَرِدْنَ مِنّي

على جرحٍ قريبِ العهدِ ، دامِ

تاملني " الدمستقُ " إذ رآني ،

فَأبْصَرَ صِيغَةَ اللّيْثِ، الهُمَامِ

أتُنكِرُني كَأنّكَ لَسْتَ تَدْري

بأني ذَلِكَ البَطَلُ، المُحَامي

وَأني إذْ نَزَلْتُ عَلى دُلُوكٍ،

تَرَكْتُكَ غَيْرَ مُتّصِلِ النّظَامِ

وَلَمّا أنْ عَدَدْتُ صَلِيبَ رَأيي

تَحَلّلَ عِقْدُ رَأيكَ في المَقَامِ

وَكُنْتَ تَرَى الأنَاةَ ، وَتَدّعِيها،

فأعجلكَ الطعانُ عن الكلامِ

و بتَّ مؤرقاً ، منْ غيرِ سهدٍ ،

حمى جفنيكَ طيبَ النومِ حامِ

و لا أرضى الفتى ما لمْ يكملْ ،

برأي الكهل ، إقدامَ الغلامِ

فَلا هُنْئَتَهَا نُعْمَى بِأسْرِي،

وَلا وُصِلَتْ سُعُودُكَ بِالتّمَامِ

أمَا مِنْ أعْجَبِ الأشْيَاءِ عِلْجٌ،

يُعَرّفُني الحَلالَ مِنَ الحَرَامِ

و تكنفهُ بطارقةٌ تيوسُ ،

تباري بالعثانين الضخامِ

لهمْ خلقُ الحمير فلستَ تلقى

فتىً منهمْ يسيرُ بلاَ حزامِ

يُريغُونَ العُيُوبَ، وَأعجَزَتْهُمْ،

وأيُّ العيبِ يوجدُ في الحسامِ

و أصعبُ خطةٍ ، وأجلُّ أمرٍ

مُجَالَسَةُ اللئَامِ عَلى الكِرَامِ

أبيتُ مُبَرّأ من كُلّ عَيبٍ،

و أصبحُ ، سالماً منْ كلِّ ذامِ

وَمَنْ لَقيَ الّذي لاقَيْتُ هَانَتْ

عَلَيْهِ مَوَارِدُ المَوْتِ الزّؤامِ

ثناءٌ طيبٌ ، لا خلفَ فيهِ ،

وَآثارٌ كَآثَارِ الغَمَامِ

و علمُ فوارسِ الحيينِ أني

قَلِيلٌ مَنْ يَقُومُ لهُمْ مَقَامي

وَفي طَلَبِ الثّنَاءِ مَضَى بُجَيْرٌ

وَجَادَ بِنَفْسِهِ كَعبُ بنُ مَامِ

أُلامُ عَلى التّعَرّض للمَنَايَا،

ولَي سَمَعٌ أصَمُّ عَن المَلام

بنو الدنيا إذا ماتوا سواءٌ

ولَوْ عَمَرَ المُعَمّرُ ألفَ عَام

إذا مَا لاحَ لي لمَعَانُ بَرْقٍ

بَعَثْتُ إلى الأحِبّةِ بالسّلام

لستَ بالمستضيمِ منْ هوَ دوني ،

لستَ بالمستضيمِ منْ هوَ دوني ،

اعْتِدَاءً، ولَسْتُ بالمُسْتَضَام

أبذلُ الحقَّ للخصومِ ، إذا ما

عَجَزَتْ عَنْهُ قُدْرَةُ الحُكّام

لا تَخَطّى إلى المَظَالِمِ كَفّي،

حَذَراً مِنْ أصَابِعِ الأيْتَام

وَدّعُوا، خِشْيَةَ الرّقِيبِ، بإيمَا

وَدّعُوا، خِشْيَةَ الرّقِيبِ، بإيمَا

ءٍ، فَوَدَّعْتُ، خَشْيَةَ اللُّوّام

لمْ أبحْ بالوداعِ ، جهراً ولكنْ

كانَ جفني فمي ، ودمعي كلامي

أيا معافي منْ رسيس الهوى

أيا معافي منْ رسيس الهوى

يَهْنِيكَ حَالُ السّالِمِ الغَانِمِ

أعَانَكَ الله بخَيْرٍ، أمَا

تَكُونُ لي عَوْناً عَلى الظّالِمِ

و خريدةٍ ، كرمتْ على آبائها ؛

و خريدةٍ ، كرمتْ على آبائها ؛

وَعَلى بَوَادِرِ خَيْلِنَا لَمْ تُكْرَمِ

خُطِبَتْ بحَدّ السّيفِ حَتى زُوّجَتْ

كرهاً، وكانَ صداقها للمقسمِ

رَاحَتْ وَصَاحِبُها بِعُرْسٍ حَاضِرٌ،

يُرْضِي الآلَهَ، وَأهْلَهَا في مَأثَمِ

لنا بيتُ ، على عنق الثريا ،

لنا بيتُ ، على عنق الثريا ،

بعيدُ مذاهبِ الأطنابِ ، سامِ

تظللهُ الفوارسُ بالعوالي ،

وَتَفْرشُهُ الوَلائِدُ بالطّعَامِ

يَا مَنْ رَضِيتُ بفَرْطِ ظُلمِهْ

يَا مَنْ رَضِيتُ بفَرْطِ ظُلمِهْ

ودخلتُ ، طوعاً ، تحتَ حكمهْ

أللهُ يعلمُ ما لقيـ

ـتُ منَ الهوى ، وكفى بعلمهْ

هَبْ لِلْمُقِر بِذَنْبِهِ

وَاصْفَحْ لهُ عن عُظمِ جُرْمِهْ

إني أعيذكَ أنْ تبو

ءَ بقتلهَ ، وبحملِ إثمهْ

هَبْهُ أسَاءَ، كمَا زَعَمْتَ، فهَبْ له

هَبْهُ أسَاءَ، كمَا زَعَمْتَ، فهَبْ له

وارحمْ تضرعهُ ، وذلَّ مقامهِ

بالله، رَبِّكَ، لِمْ فَتَكْتَ بصَبرهِ

وَنَصرْتَ بالهجْرَان جَيشَ سَقامِهِ

فرقتَ بينَ جفونهِ ومنامهِ

وجمعتَ بينَ نحولهَ وعظامهِ

إذا مررتَ بوادٍ ، جاشَ غاربهُ

إذا مررتَ بوادٍ ، جاشَ غاربهُ

فاعقِلْ قلوصَكَ وَانزلْ، ذاك وَادينا

وإنْ عبرتَ بنادٍ لا تطيفُ بهِ

أهلُ السّفاهَةِ ، فاجلسْ، ذاك نادينا

نغيرُ في الهجمةِ الغراءِ ننحرها

حتى لِيَعطَشُ، في الأحيان، رَاعينَا

و تجفلُ الشولُ بعدَ الخمسِ صاديةً

إذا سمعنَ على الأمواهِ حادينا

و نفتدي الكومَ أشتاتاً مروعةً

لا تأمنُ الدهرَ إلاَّ منْ أعادينا

وَيُصْبِحُ الضّيْفُ أوْلانَا بمَنزِلِنَا،

نَرْضَى بذاكَ، وَيَمْضِي حُكمُه فينَا

و كنى الرسولُ عن الجوابِ تظرفاً

و كنى الرسولُ عن الجوابِ تظرفاً

ولئنْ كنى ، فلقدْ علمنا ما عنى

قلْ يا رسولُ ، ولا تحاشِ فإنهُ

لا بدَّ منهُ أساءَ بي أمْ أحسنا

ألذنبُ لي فيما جناهُ ، لأنني

مكنتهُ منْ مهجتي فتمكنا

وَيَغْتَابُني مَنْ لَوْ كَفاني غَيْبَهُ

وَيَغْتَابُني مَنْ لَوْ كَفَاني غَيْبَهُ

لكنتُ لهُ العينَ البصيرةَ والأذنا

و عندي منَ الأخبارِ ما لوْ ذكرتهُ

إذاً قرعَ المغتابُ منْ ندمٍ سنا

اطْرَحُوا الأمْرَ إلَيْنَا،

اطْرَحُوا الأمْرَ إلَيْنَا،

و احملوا الكلَّ علينا

إننا قومٌ ، إذا ما

صَعُبَ الأمْرُ، كَفَيْنَا

و إذا ما ريمَ منا

مَوْطِنُ الذّلّ أبَيْنَا

وَإذَا مَا هَدَمَ الـ

ـعزَّ بنو العزِّ بنينا

يعيبُ عليَّ أنْ سميتُ نفسي

يعيبُ عليَّ أنْ سميتُ نفسي

وَقَدْ أخَذَ القَنَا مِنْهُمْ وَمِنّا

فَقُلْ لِلعِلْجِ لوْ لمْ أُسْمِ نَفْسِي

لَسَمّاني السّنَانُ لَهُمْ وَكَنّى

قدْ أعانتني الحميةُ لمَّا

قدْ أعانتني الحميةُ لمَّا

لَمْ أجِدْ مِنْ عَشِيرَتي أعْوَانَا

لا أُحِبّ الجَمِيلَ مِنْ سِرّ مَوْلى ً

لمْ يدعْ ما كرهتهُ إعلانا

إنْ يكنْ صادقَ الودادِ فهلاَّ

تركَ الهجرُ للوصال مكانا

فإنْ أهْلَكْ فَعَنْ أجَلٍ مُسَمّى سَلي فَتَيَاتِ هَذا الحَيّ عَنّي

فإنْ أهْلَكْ فَعَنْ أجَلٍ مُسَمّى سَلي فَتَيَاتِ هَذا الحَيّ عَنّي

يَقُلْنَ بمَا رَأيْنَ وَمَا سَمِعْنَهْ

ألستُ أمدهمْ ، لذويَّ ، ظلاً ،

ألستُ أعدهمْ ، للقومِ ، جفنهْ

ألستُ أقرهمْ بالضيفِ ، عيناً

ألستُ أمرهمْ ، في الحربِ لهنهْ

رَضِيتُ العَاذِلاتِ، وَمَا يَقُلْنَهْ،

وَإنْ أصْبَحْتُ عَصّاءً لَهُنّهْ

و كمْ فجرٍ سبقنَ إلى ملامي

فَعُدْتُ ضُحىً وَلَمْ أحفِلْ بهنّهْ

وَرَاجِعَةٍ إليّ، تَقُولُ سِرّاً

أعودُ إلى نصيحتهِ لعنَّهْ

فَلَمّا لمْ تَجِدْ طَمَعَاً تَوَلّتْ،

وقالتْ فيَّ ، عاتبةً وقلنهْ

أريتكَ ما تقولُ بناتُ عمي

إذا وصفَ النساءُ رجالهنَّهْ

أما واللهِ لا يمسينَ ، حسرى ،

يلفقنَ الكلامَ ، ويعتذرنهْ

و لكنْ سوفَ أوجدهنَّ وصفاً

و أبسطُ في المديح كلامهنَّهْ

متى ما يدنُ منْ أجلٍ كتابي

أمُتْ، بَينَ الأعِنّةِ ِ وَالأسِنّهْ

بَكَرْنَ يَلُمنَني، وَرَأينَ جودي

بَكَرْنَ يَلُمنَني، وَرَأينَ جودي

عَلى الأرْمَاح بالنّفْس المَضَنّهْ

فَقُلتُ لَهُنّ هَلْ فِيكُنّ باقٍ

عَلى نُوَبِ الزّمان، إذا طَرَقْنَهْ

و إنْ يكنْ الحذارُ منَ المنايا

سَبيلاً للحَيَاة ِ، فَلِمْ تَمُتْنَهْ

سَأشْهدُهَا عَلى مَا كَانَ مِني

ببسطي في الندى ، بكلامهنَّهْ

و أجعلكنَّ أصدقَ فيَّ قولاً

إذا وصفَ النساءُ رجالهنَّه ْ

فإنْ أهْلَكْ فَعَنْ أجَلٍ مُسَمّى

سيأتيني ، ولوْ ما بينكنَّهْ

و إنْ أسلمْ فقرضٌ سوفَ يوفى ،

و أتبعكنَّ إنْ قدمتكنَّهْ

فلا يأمرنني بمقام ذلٍ

فما أنا بالمطيع إذا أمرنهْ

وَمَوْتٌ في مَقَامِ العِزّ أشْهَى ،

إلى الفرسان ، منْ عيشٍ بمهنهْ

يا مَنْ رَجَعتُ، على كُرْهٍ، لطاعَتِهِ،

يا مَنْ رَجَعتُ، على كُرْهٍ، لطاعَتِهِ،

قدْ خالفَ القلبُ لمَّا طاوعَ البدنُ

وَكُلّ ما شِئْتَ من أمْرٍ رَضِيتُ بِهِ،

وَكلّ ما اختَرْتَهُ، عِندي هوَ الحسنُ

وَكُلّمَا سَرّني أوْ سَاءَني سَبَبٌ

فأنتَ فِيهِ عَليّ، الدّهرَ، مُؤتَمَنُ

وَإنّي لأنْوي هَجْرَهُ فَيَرُدّني وَإنّي لأنْوي هَجْرَهُ فَيَرُدّني

وَإنّي لأنْوي هَجْرَهُ فَيَرُدّني وَإنّي لأنْوي هَجْرَهُ فَيَرُدّني

هوى ، بينَ أثناءِ الضلوعِ، دفينُ

فيغلظُ قلبي ، ساعةً ثمَّ ينثني

وأقسوْ عليهِ ، تارةً ، ويلينُ

وَقَدْ كَانَ لي عن وُدّهِ كُلُّ مَذهَبٍ،

و لكنَّ مثلي بالإخاءِ ضنينُ

و لاَ غروَ أنْ أعنو لهُ ، بعدَ عزةٍ ،

فقدريَ ، في عزِّ الحبيبِ ، يهونُ

بَخِلْتُ بِنَفْسِي أنْ يُقالَ مُبَخَّلٌ،

بَخِلْتُ بِنَفْسِي أنْ يُقَالَ مُبَخَّلٌ،

وَأقْدَمْتُ جُبْناً أنْ يُقَالَ جَبَانُ

وَمُلكي بَقايا ما وَهَبتُ مُفَاضَةٌ،

أيَا رَاكِباً، نَحوَ الجَزِيرَةِ ، جَسرَةً

أيَا رَاكِباً، نَحوَ الجَزِيرَةِ، جَسرَةً

عُذَافِرَةً ، إنّ الحَدِيثَ شُجُونُ

مِنَ المُوخَداتِ الضُّمَّرِ اللاءِ وَخدُها

كَفيلٌ بحَاجَاتِ الرّجالِ ضَمِينُ

تحملْ إلى "القاضي" سلامي وقلْ لهُ

ألا إنّ قَلْبي، مُذْ حَزنتَ، حَزِينُ

و إنَّ فؤادي ، لافتقادِ أسيرهِ ،

أسِيرٌ، بِأيْدِي الحادِثَاتِ، رَهِينُ

أحاولُ كتمانَ الذي بي منَ الأسى

وَتَأبَى غُرُوبٌ ثَرّةٌ وَشُؤونُ

بِمَنْ أنَا في الدّنيا عَلى السّرّ وَاثِقٌ،

و طرفي نمومٌ ، والدموعُ تخونُ

يضنُّ زماني بالثقاتِ ؛ وإنني

بسري ، على غيرِ الثقاتِ ، ضنينُ

لعلَّ زماناً بالمسرةِ ينثني ؛

وعطفةَ دهرٍ باللقاءِ تكونُ

ألا لا يَرَى الأعداءُ فِيكَ غَضَاضَةً،

فللدهرِ بؤسٌ ، قدْ علمتَ ، ولينُ

و أعظمُ ما كانتْ همومكَ تنجلي ،

وأصعبُ ما كانَ الزمانُ يهونُ

ألاَ ليتَ شعري ـ هل أنا الدهرَ ، واجدٌ ـ

قريناً ، لهُ حسنُ الوفاءِ قرينُ

فأشكو ويشكو ما بقلبي وقلبهِ ،

كِلانَا، عَلى نَجوَى أخِيهِ، أمِينُ

و في بعضِ منْ يلقي إليكَ مودةً

عَدوٌّ، إذا كَشّفتَ عَنهُ، مُبِينُ

إذا غَيّرَ البُعْدُ الهَوَى فَهَوَى أبي

حُصَينٍ مَنِيعٌ، في الفُؤادِ، حَصِينُ

فَلا بَرِحَتْ بِالحَاسِدِينَ كَآبَةٌ،

وَلا هَجَعَتْ لِلشّامِتِينَ عُيُونُ

أشفقتَ منْ هجري فغلـ

أشفقتَ منْ هجري فغلـ

ـبْتَ الظّنُونَ عَلى اليَقِين

وَضَنَنْتَ بي، فَظَنَنْتَ بي،

و الظنُّ منْ شيمِ الضنين

لطيرتي بالصداع نالتْ

لطيرتي بالصداع نالتْ

فوقَ منال الصداع مني

و جدتُ فيهِ اتفاقَ سوءٍ

صدعني مثلُ صدَّ عني

الحُرُّ يَصْبرُ، مَا أطاقَ تَصَبُّراً

الحُرُّ يَصْبرُ، مَا أطَاقَ تَصَبُّراً

في كلِّ آونةٍ وكلِّ زمان

ويرى مساعدةَ الكرامِ مروءةً ،

ما سالمتهُ نوائبُ الحدثان

ويذوبُ بالكتمانِ إلا أنهُ

أحوالهُ تنبي عن الكتمان

فإذا تكشفَ ، واضمحلتْ حالهُ

ألْفَيْتَه يَشْكُو بكُلّ لِسَان

وإذا نبا بي منزلٌ فارقتهُ ؛

وَالله يَلْطُفُ بي بكُلّ مَكَان

لا غَرْوَ إنْ فُتِنْتْكَ بالْـ

لا غَرْوَ إنْ فَتَنَتْكَ بالْـ

ـلحَظَاتِ فَاتِرَةُ الجُفُون

فمصارعُ العشاقِ ما

بَينَ الفُتُورِ إلى الفُتُون

اصْبرْ فَمِنْ سُنَنِ الهَوَى

صبرُ الظنين على الظنين

عَلَيّ مِنْ عَيْنَيّ عَيْنَان

عَلَيّ مِنْ عَيْنَيّ عَيْنَان

تبوحُ للناسِ بكتمان

يَا ظَالِمي، لِلشَّرْبِ سُكْرٌ وَلي

منْ غنجِ ألحاظكَ سكران

وجهكَ والبدرُ ، إذا أبرزا ،

لأعين العالمِ ، بدران

أنافسُ فيكَ بعلقٍ ثمينٍ ،

أنافسُ فيكَ بعلقٍ ثمينٍ ،

ويغلبني فيكَ ظنُّ الظنين

وكنتُ حلفتُ على غضبةٍ

فَعُدْتُ، وَكَفّرْتُ عَنها يَمِيني

حَلَلْتَ مِنَ المَجْدِ أعْلى مَكَان،

حَلَلْتَ مِنَ المَجْدِ أعْلى مَكَان،

وَبَلّغَكَ الله أقْصَى الأمَاني

فَإنّكَ، لا عَدِمَتْكَ العُلا،

أخٌ لا كإخوةِ هذا الزمان

صَفَاؤكَ في البُعْدِ مِثْلُ الدّنُوّ،

وودكَ في القلبِ مثلُ اللسان

كسونا أخوتنا بالصفاءِ

كما كسيتُ بالكلامِ المعاني

ما كنتُ مُذْ كنتُ إلاّ طوْعَ خُلاَّني،

ما كنتُ مُذْ كنتُ إلاّ طَوْعَ خُلاَّني،

ليستْ مؤاخذةُ الإخوانِ منْ شاني

يَجْني الخَليلُ، فأسْتَحلي جِنَايَتَهُ

حتى أدلَّ على عفوي وإحساني

وَيُتْبِعُ الذّنْبَ ذَنْباً حِينَ يَعرِفُني

عَمداً، وأُتْبِعُ غُفرَاناً بِغُفْرَان

يَجْني عَليّ وَأَحْنُو، صَافِحاً أبَداً،

لا شَيءَ أحسَنُ مِنْ حانٍ على جَانِ

بَني زُرَارَةَ لَوْ صَحَتْ طَرَائِقُكُمْ

بَني زُرَارَةَ لَوْ صَحَتْ طَرَائِقُكُمْ

لكنتمُ عندنا في المنزل الداني

لكنْ جهلتهمْ لدينا حقَّ أنفسكمْ ،

وَبَاعَ بَائِعُكُمْ ربْحاً بِخُسْرَان

فإنْ تكونوا براءً ، منْ جنايتهِ ؛

فإنَّ منْ رفدَ الجاني هوَ الجاني

ما بالكمْ يا أقلَّ اللهُ خيركمُ

لا تَغْضَبُونَ لِهَذَا المُوثَقِ العَاني

جارٌ نَزَعْنَاهُ قَسْراً في بُيُوتِكُمُ،

وَالخَيْلُ تَعْصِبُ فُرْساناً بِفُرْسَان

إذْ لاتردونَ عنْ أكنافِ أهلكمُ

شوازبَ الخيلِ منْ مثنى ووحدان

بـ " المرج "، إذْ " أمُّ بسامٍ " تناشدني

" بناتُ عمكَ يا "حار بنَ حمدان

فظلتُ أثني صدورَ الخيلِ ساهمةً

بكُلّ مُضْطَغِنٍ بالحِقْدِ، مَلآن

ونحنُ قومٌ ، إذا عدنا بسيئةٍ

على العشيرةِ ، أعقبنا بإحسان

أتَعُزُّ أنْتَ عَلى رُسُوم مَغَان،

أتَعُزُّ أنْتَ عَلى رُسُوم مَغَان،

فأقيمَ للعبراتِ سوقَ هوان

فَرْضٌ عَليّ، لِكُلّ دارٍ وَقْفَةٌ

تقضي حقوقَ الدارِ والأجفان

" لولا تذكر منْ هويتُ بـ " حاجرٍ

لم أبكِ فيهِ مواقدَ النيران

ولقدْ أراهُ ، قبيلَ طارقةِ النوى ،

مأوى الحسانِ ، ومنزلَ الضيفان

وَمَكَانَ كُلّ مُهَنّدٍ، وَمَجَرَّ كُـ

ـلِّ مثقفٍ ، ومجالَ كلِّ حصان

نَشَرَ الزّمَانُ عَلَيْهِ، بَعْدَ أنِيسِهِ،

حللَ الفناءِ ؛ وكلَّ شيءٍ فانِ

وَلَقَدْ وَقَفْتُ فَسَرّني مَا سَاءَني

فيهِ ، وأضحكني الذي أبكاني

ورأيتُ في عرصاتهِ مجموعةً

أسدَ الشرى ، وربائبِ الغزلان

يَا وَاقِفَان، مَعِي، عَلى الدّارِ اطْلُبا

غَيرِي لهَا، إنْ كُنْتُمَا تَقِفَانِ

مَنَعَ الوُقُوفَ، على المَنَازِل، طارقٌ

أمَرَ الدّمُوعَ بمُقْلتي وَنَهاني

فَلَهُ، إذا وَنَتِ المَدامِعُ أوْ هَمَتْ،

عِصْيَانُ دَمعي، فِيهِ، أوْ عِصْيَاني

إنا لجمعنا البكاءُ ، وكلنا

يبكي على شجنٍ منَ الأشجارِ

ولقدْ جعلتُ الحبَّ سترَ مدامعي

وَلِغَيرِهِ عَيْنَايَ تَنْهَمِلان

أبْكي الأحِبّةَ بالشّآمِ، وَبَيْنَنَا

قُلَلُ الذّرُوبِ وَشَاطِئًا جَيْحَانِ

وَحُسِبْتُ فِيمَا أشْعَلَتْ نِيرَاني

مثلي على كنفٍ منَ الأحزانِ

فضلتْ لديَّ مدامعٌ فبكيتُ للـ

ـبَاكِي بهَا، وَوَلِهْتُ لِلْوَلَهَانِ

ما لي جَزِعْتُ مِنَ الخُطُوبِ وَإنّمَا

أخَذَ المُهَيْمِنُ بَعْضَ مَا أعطاني

ولقد سررتُ كما غممتُ عشائري

زَمَناً، وَهَنّأني الذِي عَنّاني

وأسرتُ في مجرى خيولي غازياً

وحبستُ فيما أشعلتْ نيراني

يرمي بنا ، شطرَ البلادِ ، مشيعٌ

صَدْقُ الكَريهَةِ ، فائِضُ الإحسانِ

بَلَدٌ، لَعَمْرُكَ، لمْ أزَلْ زَوّارَهُ

معَ سيدٍ قرمٍ أغرَّ ، هجانِ

إنّا لَنَلْقى الخَطْبَ فِيكَ وَغَيرَهُ

بموفقٍ عندَ الخطوبِ ، معانِ

وَلَطالَمَا حَطَمْتُ صَدْرَ مُثَقَّفٍ،

وَلَطالَمَا أرْعَفْتُ أنْفَ سِنَانِ

وَلَطالَما قُدْتُ الجِيَادَ إلى الوُغى

قُبَّ البُطُونِ، طَويلَةَ الأرْسَانِ

وأنا الذي ملأ البسيطةَ كلها

ناري ، وطنَّبَ في السماءِ دخاني

إنْ لمْ تكنْ طالتْ سنيَّ فإنَّ لي

رأيَ الكُهُولِ وَنَجْدَةَ الشّبَانِ

قَمِنٌ، بِمَا سَاءَ الأعَادِي، مَوْقفي،

وَالدّهرُ يَبْرُزُ لي مَعَ الأقْرَانِ

يمضي الزمانُ ، وما ظفرتُ بصاحبٍ

إلاَّ ظفرتُ بصاحبٍ خوانِ

يَا دَهْرُ خُنتَ مَعَ الأصَادِقِ خُلّتي

وَغَدَرْتَ بي في جُمْلَةِ الإخْوَانِ

لكِنّ سَيْفَ الدّوْلَةِ المَوْلَى الّذِي

لمْ أنسهُ وأراهُ لا ينساني

أيُضيِعُني مَنْ لَمْ يَزَلْ ليَ حافِظاً،

كَرَماً، وَيَخفِضني الّذِي أعْلاني

خِذْنُ الوَفَاءِ، وَلا وَفيٌّ غَيْرَهُ،

يَرْضَى أُعَاني ضِيقَ حَالَةِ عَانِ

إنّي أغَارُ عَلى مَكَانيَ أنْ أرَى

فيهِ رجالاً لا تسدُ مكاني

أو أنْ تكونَ وقيعةٌ أو غارةٌ

ما لي بها أثرٌ معَ الفتيان

إقرا السلامَ ، على الذينَ سيوفهمْ

ـمّا أُحْرِجُوا، عَطَفوا على هَامَانِ

سَيفَ الهُدى من حَدّ سَيفِكَ يُرْتجى

يومٌ ، يذلُ الكفرَ للإيمانِ

هَذِي الجُيوشُ، تجيشُ نحوَ بلادِكم

مَحْفُوفَةً بِالكُفْرِ وَالصُّلْبَانِ

ألبغيُ أكثرُ ما تقلُّ خيولهمْ

وَالبَغْيُ شَرُّ مُصَاحِبِ الإنْسَانِ

لَيْسُوا يَئُونَ، فلا تَئُوا في أمركُمْ،

لاَ ينهضُ الواني لغيرِ الواني

غضباً لدينِ اللهِ أنْ لا تغضبوا

لَمْ يَشْتَهِرْ في نَصْرِهِ سَيْفَانِ

حَتى كَأنّ الوَحْيَ فِيكُمْ مُنْزَلٌ،

ولكمْ تُخصُ فضائلُ القرآنِ

قَدْ أغضَبُوكُمْ فاغضَبُوا، وَتَأهّبُوا

لِلْحَرْبِ أُهْبَةَ ثَائِرٍ، غَضْبَانِ

فـ " بنو كلابٍ " وهيَ قلٌّ أغضبتْ

" فدهتْ قبائلُ " مسهرِ بن قنانِ

وَبَنُو عُبَادٍ، حِينَ أُخْرِجَ حارثٌ

"جروا التخالفَ في "بني شيبانِ

خلًّا " عدياً " ، وهوَ صاحبُ ثأرهمْ

كَرَماً، وَنَالوا الثأرَ بابنِ أبَانِ

والمسلمونَ ، بشاطيء "اليرموكِ " لمـ

وحماةُ " هاشمَ " حينَ أخرجَ صدرها

"جروا البلاءَ على " بني مروانِ

وَالتّغْلبيّونَ احْتَمَوْا عَنْ مِثْلِهَا

" فعدوا على العادينَ بـ " السُّلاَّنِ

وبغى على " عبسٍ " "حذيفةُ " فاشتفتْ

مِنهُ صَوَارِمُهُمْ وَمِنْ دُبْيَانِ

وسراةُ "بكرٍ " ، بعدَ ضيقٍ فرقوا

" جمعَ الأعاجمِ عنْ " أنوشروانِ

أبْقَتْ لِبَكْرٍ مَفْخَراً، وَسَمَا لهَا،

مِنْ دُونِ قَوْمِهما، يَزِيدُ وَهَانِي

المَانِعِينَ العَنْقَفِيرَ بِطَعْنِهِمْ،

" والثائرينَ بمقتلِ " النعمانِ

مَا صَاحِبِي إلاّ الّذِي مِنْ بِشْرِهِ

مَا صَاحِبِي إلاّ الّذِي مِنْ بِشْرِهِ

عُنْوَانُهُ في وَجْهِهِ وَلِسَانِهِ

كَمْ صَاحِبٍ لمْ أغنِ عَنْ إنْصَافِهِ

في عُسْرِهِ، وَغَنِيتُ عَن إحْسَانِهِ

وإنْ ضاقَ الخناقُ حماها

علاها ، وإنْ ضاقَ الخناقُ حماها

و ما اشتورتْ إلاّ وأصبحَ شيخها،

وَلا أحْرَبَتْ إلاّ وَكَانَ فَنَاهَا

وَلا ضُرِبَتْ بَينَ القِبَابِ قِبَابُهُ،

وأصبحَ مأوى الطارقينَ سواها

يا ليلةً ، لستُ أنسى طيبها أبداً ،

يا ليلةً ، لستُ أنسى طيبها أبداً ،

كَأنّ كُلّ سُرُورٍ حَاضِرٌ فِيهَا

بَاتَتْ، وَبِتُّ، وَبَاتَ الزّقُّ ثَالِثَنَا

حَتى الصّبَاح تُسَقّيني وَأسْقِيهَا

كَأنّ سُودَ عَنَاقِيدٍ بِلِمّتِهَا،

أهدتْ سلافتها صرفاً ، إلى فيها

لَقَدْ عَلِمَتْ سَرَاةُ الحَيِّ أنّا

لَقَدْ عَلِمَتْ سَرَاةُ الحَيِّ أنّا

لَنَا الجَبَلُ المُمَنَّعُ جَانِبَاهُ

يفيءُ الرغبونَ إلى ذراهُ ،

و يأوي الخائفونَ إلى حماهُ

خلوتُ ، يومَ الفراق ، منهُ

ُخلوتُ ، يومَ الفراق ، منهُ

مَا تَرَكَتْ لي الجُفُونُ إلاّ

مَا اسْتَنْزَلَتْني الخُدُودُ عَنْهُ

قَدْ طَالَ يَا قَلْبُ مَا تُلاقي،

إنْ ماتَ ذو صبوةٍ فكنهُ

خفضْ عليكَ ولا تبتْ قلقَ الحشا

خفضْ عليكَ ولا تبتْ قلقَ الحشا

مِمّا يَكُونُ، وَعَلّهُ، وَعَسَاهُ

فَالدّهْرُ أقْصَرُ مُدّةً مِمّا تَرَى ،

وَعَسَاكَ أنْ تُكفى الذي تَخْشَاهُ

لَسْتُ أرْجُو النّجاةَ ، من كلّ ما أخْـ

لَسْتُ أرْجُو النّجاةَ ، من كلّ ما أخْـ

ـشَاهُ، إلاّ بأحْمَدٍ وَعَلِيٍّ

وَبِبِنْتِ الرّسُول فَاطِمَةِ الطُّهْـ

ـرِ، وَسِبْطَيْهِ وَالإمَام عَلِيّ

و التقيِّ النقيِّ باقرِ علمِ الـ

ـلّهِ فِينَا، مُحَمّدِ بن عَلِيّ

و ابنهِ "جعفرٍ" و"موسى " ومولا

نا عَلِيٍّ، أكرمْ بِه مِنْ عَلِيّ

وأبي جَعْفَرِ سَمِيِّ رَسُول الـ

"لـهِ ، ثمَّ ابنهِ الزكيِّ " عليٍّ

و ابنهِ "العسكريِّ " والقائم المظـ

ـهر حَقّي مُحَمّدِ بن عَلِيّ

فيهمُ أرتجي بلوغَ الأماني

يوم عرضي على الاله العلي

عَرَفْتُ الشّرَّ لا لِلشّرِّ

عَرَفْتُ الشّرَّ لا لِلشّرِّ

لكِنْ لِتَوَقّيهِ

وَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ الشّرَّ

منَ الناس يقعْ فيهِ

قَلْبي يَحِنّ إلَيْهِ

قَلْبي يَحِنّ إلَيْهِ

نعمْ ، ويحنو عليهِ

و ما جنى أوْ تجنى

إلاّ اعتذرتُ إليهِ

فَكَيْفَ أمْلِكُ قَلْبي،

وَالقَلْبُ رَهْنٌ لَدَيْهِ

وَكَيفَ أدْعُوهُ عَبدي،

و عهدتي في يديهِ

ألوردُ في وجنتيهِ ،

ألوردُ في وجنتيهِ ،

وَالسِّحْرُ في مُقْلَتَيْهِ

وَإنْ عَصَاهُ لِسَاني

فَالقَلْبُ طَوْعُ يَدَيْهِ

يَا ظَالِماً، لَسْتُ أدْري

أدعو لهُ ، أمْ عليهِ

أنَا إلى الله مِمّا

دفعتُ منهُ إليهِ

لمن الجدودُ الأكرمو

لمن الجدودُ الأكرمو

نَ ، من الورى ، إلا ليهْ

مَنْ ذا يَعُدّ، كَمَا أعُدّ،

منَ الجدودِ العاليهْ

مَنْ ذا يَقُومُ لِقَوْمِهِ،

بينَ الصفوفِ ، مقاميهْ

مَنْ ذا يَرُدّ صُدُورَهُـ

ـنّ، إذا أغَرْنَ عَلانِيَهْ

أحْمِي حَرِيمِي أنْ يُبَا

حَ، وَلَستُ أحْمي مَالِيَهْ

وتخافني كومُ اللقا

ح ، وقدْ أمنَّ عداتيهْ

تمسي ، إذا طرقَ الضيو

فُ ، فناؤها بفنائيهْ

ناري ، على شرفٍ تأجـ

ـجُ، لِلضُّيُوفـِ السّاريَهْ

يَا نَارُ، إنْ لَمْ تَجْلِبِي

ضيفاً ، فلستُ بناريهْ

والعزُّ مضروبُ السرا

دِقِ وَالقِبَابِ الجَاريَهْ

يَجْنِي وَلا يُجْنَى عَلَيْـ

ـهِ، وَيَتّقِي الجُلّى بِيَهْ

انظرْ لضعفي ، ياقويُّ

انظرْ لضعفي ، ياقويُّ

وَكُنْ لِفَقْري، يَا غَنيْ

أحسنْ إليَّ ؛ فإنني

عبدٌ إلى نفسي مسيّ

لَوْلا العَجُوزُ بِمَنْبِجٍ

لَوْلا العَجُوزُ بِمَنْبِجٍ

مَا خِفْتُ أسْبَابَ المَنِيّهْ

وَلَكَانَ لي، عَمّا سَألْـ

ـتُ منَ الفدا ، نفسٌ أبيهْ

لكنْ أردتُ مرادها ،

وَلَوِ انْجَذَبْتُ إلى الدّنِيّهْ

وَأرَى مُحَامَاتي عَلَيْـ

ـهَا أنْ تُضَامَ مِنَ الحَمِيّهْ

أمستْ بـ " منبج " ، حرةً

بالحُزْنِ، من بَعدي، حَرِيّهْ

لوْ كانَ يدفعُ حادثٌ ،

أوْ طارقٌ بجميل نيهْ

لَمْ تَطّرقْ نُوَبُ الحَوَا

دثِ أرضَ هاتيكَ التقيهْ

لكِنْ قَضَاءُ الله، وَالـ

أحكامُ تنفذُ في البريهْ

وَالصَّبْرُ يَأتي كُلَّ ذِي

رُزْءٍ عَلى قَدْرِ الرّزِيّهْ

لا زَالَ يَطّرِقُ مَنْبجاً،

في كلِّ غادِيةٍ ، تحيهْ

فيها التقى ، والدينُ مجـ

ـمُوعَانِ في نَفْسٍ زَكِيّهْ

يَا أُمّتَا لا تَحْزَني،

وثقي بفضلِ اللهِ فيَّهْ

يَا أُمّتَا لا تَيّأسِي،

للهِ ألطافٌ خفيهْ

كَمْ حَادِثٍ عَنّا جَلا

هُ، وَكَمْ كَفَانَا مِنْ بَلِيّهْ

أوصيكِ بالصبرِ الجميـ

ـلِ فإنهُ خيرُ الوصيهْ

مَا العُمْرُ ما طالتْ به الدّهُورُ،

مَا العُمْرُ ما طالتْ به الدّهُورُ،

العمرُ ما تمَّ بهِ السرورُ

أيامُ عزي ، ونفاذِ أمري

هي التي أحسبها منْ عمري

مَا أجْوَرَ الدّهْرَ عَلى بَنِيهِ

وأغدرَ الدهرَ بمنْ يصفيهِ

لوْ شئتُ مما قدْ قللنَ جدًّا

عَدَدْتُ أيّامَ السّرُورِ عَدّا

، " أنعتُ يوماً ، مرَّ لي بـ " الشامِ

ألدَّ ما مرَّ منَ الأيامِ

دَعَوْتُ بالصَّقّار، ذاتَ يَوْم،

عندَ انتباهي ، سحراً من نومي

قلتُ لهُ اخترْ سبعةً كباراً

كُلٌّ نَجِيبٌ يَرِدُ الغُبَارَا

يَكُونُ لِلأرْنَبِ مِنْهَا اثنَان،

وخمسةٌ تفردُ للغزلان

وَاجْعَلْ كِلابَ الصّيْدِ نَوْبَتَين

ترسلُ منها اثنين بعدَ اثنين

و لاَ تؤخرْ أكلبَ العراضِ

فَهُنّ حَتْفٌ لِلظّبَاءِ قَاضِ

ثم تقدمتُ إلى الفهادِ

وَالبَازيَارينَ بالاسْتِعْدَادِ

وقلتُ إنَّ خمسةً لتقنعُ

وَالزُّرّقَان الفَرْخُ وَالمُلَمَّعُ

و أنتَ ، يا طباخُ ، لا تباطا

عجلْ لنا اللباتِ والأوساطا

ويا شرابي البلقسياتِ

تَكُونُ بالرّاح مُيَسَّرَاتِ

بالله لا تَسْتَصْحِبُوا ثَقِيلا

واجتنبوا الكثرةَ والفضولا

ردوا فلاناً ، وخذوا فلانا

وَضَمّنُوني صَيْدَكُمْ ضَمَانَا

فاخترتُ ، لمَّا وقفوا طويلا،

عشرينَ ، أو فويقها قليلا

عِصَابَةٌ، أكْرِمْ بِهَا عِصَابَهْ،

معروفةٌ بالفضلِ والنجابه

ثُمّ قَصَدْنَا صَيْدَ عَينٍ قَاصِرِ

مَظِنّةَ الصّيْدِ لِكُلّ خَابِرِ

جئناهُ والشمسُ ، قبيلَ المغربِ

تَختالُ في ثَوْبِ الأصِيلِ المُذْهَب

وَأخذَ الدُّرّاجُ في الصّيَاح،

مُكْتَنِفاً مِنْ سَائِرِ النّوَاحي

في غَفْلَةٍ عَنّا وَفي ضَلال،

ونحنُ قدْ زرناهُ بالآجال

يَطْرَبُ للصُّبْح، وَلَيسَ يَدري

أنَّ المنايا في طلوع الفجر

حَتى إذا أحْسَسْتُ بالصّبَاح

" ناديتهمْ " حيَّ على الفلاح

نحنُ نصلي والبزاةُ تخرجُ

مُجَرَّدَاتٍ، وَالخُيُولُ تُسْرَجُ

فقلتُ للفهادِ فامضِ وانفردْ

وَصِحْ بنا، إنْ عنّ ظبيٌ، وَاجتَهِدْ

فلمْ يزلْ ، غيرَ بعيدٍ عنا ،

إليهِ يمضي ما يفرُّ منا

وَسِرْتُ في صَفٍّ مِنَ الرّجال،

كَأنّمَا نَزْحَفُ لِلْقِتَال

فما استوينا كلنا حتى وقفْ

لَمّا رَآنَا مَالَ بالأعْنَاق

ثمَّ أتاني عجلاً ، قالَ ألسبقْ

فقُلتُ إن كانَ العِيانُ قد صَدَقْ

سِرْتُ إلَيْهِ فَأرَاني جَاثِمَهْ

ظَنَنْتُهَا يَقْظَى وكَانَتْ نائِمَهْ

ثُمّ أخَذتُ نَبَلَةً كانَتْ مَعي،

وَدُرْتُ دَوْرَيْن وَلَمْ أُوسَع

حتى تمكنتُ ، فلمْ أخطِ الطلبْ ،

لكلِّ حتفٍ سببٌ منَ السببْ

وَضَجّتِ الكِلابُ في المَقَاود،

تَطْلُبُهَا وَهْيَ بِجُهْدٍ جَاهِدِ

وَصِحْتُ بِالأسْوَدِ كَالخُطّافِ

ليسَ بأبيضٍ ولا غطرافِ

ثمَّ دعوتُ القومَ هذا بازي

فأيكمْ ينشطُ للبرازِ

" فقالَ منهمْ رشأٌ " أنا ، أنا

وَلَوْ دَرَى مَا بِيَدي لأدْعَنَا

فَقُلتُ قَابِلْني وَرَاءَ النّهْرِ،

أنْتَ لِشَطْرٍ وَأنَا لِشَطْرِ

طارتْ لهُ دراجةٌ فأرسلا

أحْسَنَ فِيهَا بَازُهُ وَأجمَلا

عَلَّقَهَا فَعَطْعَطُوا، وَصَاحُوا،

و الصيدُ منْ آلتهِ الصياحُ

فقلتُ ما هذا الصياحُ والقلقْ

أكُلُّ هذا فَرَحٌ بذا الطَّلَقْ

فقالَ إنَّ الكلبَ يشوي البازا

قَد حَرَزَ الكَلْبُ، فَجُزْ، وَجَازَا

فلمْ يزلْ يزعقُ يا مولائي

وَهْوَ كَمِثْلِ النّارِ في الحَلْفَاءِ

طارتْ ، فأرسلتُ فكانتْ سلوى

حَلّتْ بِهَا قَبْلَ العُلُوّ البَلْوَى

فَمَا رَفَعْتُ البَازَ حَتى طَارَا

آخَرُ عَوْداً يُحْسِنُ الفِرَارَا

أسودُ ، صياحٌ ، كريمٌ ، كرَّزُ ،

مُطرَّزٌ، مُكَحَّلٌ، مُلْزَّزُ

عليهِ ألوانُ منَ الثيابِ

مِنْ حُلَلِ الدّيبَاجِ وَالعُنّابي

فلمْ يزلْ يعلو وبازي يسفلُ

يحرزُ فضلَ السبقِ ليسَ يغفلُ

يَرْقُبُهُ مِنْ تَحْتِهِ بِعَيْنِهِ،

وَإنّمَا يَرْقُبُهُ لِحِيْنِه

حتى إذا قاربَ ، فيما يحسبُ ،

معقلهُ ؛ والموتُ منهُ أقربُ

أرْخَى لَهُ بِنَبْجِهِ رِجْلَيْهِ،

والموتُ قدْ سابقهُ إليهِ

صِحْتُ وَصَاحَ القَوْمُ بالتّكبير،

وغيرنا يضمرُ في الصدورِ

ثمّ تَصَايَحْنَا فَطَارَتْ وَاحِدَهْ

شيطانةٌ منْ الطيورِ ماردهْ

من قربٍ فأرسلوا إليها

وَلَمْ تَزَلْ أعْيُنُهُمْ عَلَيْهَا

فَلَمْ يُعَلّقْ بَازُهُ وَأدّى

مِنْ بَعْدِ مَا قَارَبَهَا وَشَدّا

صحتُ أهذا البازُ أمْ دجاجهْ

ليتَ جناحيهِ على دراجهْ

فاحمرتِ الأوجهُ والعيونُ

وَقَالَ هَذا مَوْضِعٌ مَلْعُونُ

إنْ لزَّها البازُ أصابتْ نبجا

أوْ سقطتْ لمْ تلقَ إلاَّ مدرجا

اعدلْ بنا للنبجِ الخفيفِ

وَالمَوْضِعِ المُنْفَرِدِ المَكْشُوفِ

فقتلتُ هذي حجةٌ ضعيفةْ

وغرَّةٌ ظاهرةٌ معروفهْ

نحنُ جميعاً في مكانٍ واحدِ ،

فَلا تُعَلِّلْ بالكَلامِ البَارِدِ

قصَّ جناحيهِ يكنْ في الدارِ

معَ الدباسي ، ومعَ القماري

وَاعْمِدْ إلى جُلْجُلِهِ البَدِيعِ،

فاجعلهُ في عنزٍ منَ القطيعِ

حتى إذا أبْصَرْتُهُ، وَقد خَجِلْ،

قُلتُ أرَاهُ، فارِهاً، على الحَجَلْ

دعهُ ، وهذا البازُ فاطردْ بهِ

تَفَادِياً مِنْ غَمّهِ وَعَتْبِهِ

وقلتُ للخيلِ ، التي حولينا

تَشَاهَدُوا كُلُّكُمُ عَلَيْنَا

بأنّهُ عَارِيَةٌ مَضْمُونَه،

يُقِيمُ فِيهَا جَاهَهُ وَدِينَهْ

جئتُ بباز ٍ حسنٍ مبهرج

دُونَ العُقَابِ وَفُوَيقَ الزُّمَّج

زينٍ لرائيهِ ، وفوقَ الزين ،

يَنْظُرُ مِنْ نَارَيْن في غَارَيْن

كأنَّ فوقَ صدرهِ والهادي

آثَارَ مَشْيِ الدَّرّ في الرّمَادِ

ذِي مِئْسَرٍ فَخْمٍ وَعَيْنٍ غائِرَهْ،

وفخذٍ ملءَ اليمين وافرهْ

ضَخْمٍ، قَرِيبِ الدَّسْتَبَان جِدّا

يَلْقَى الذِي يَحمِلُ مِنهُ كَدّا

وَرَاحةٍ تَعْمُرُ كَفّي سَبْطَهْ

زَادَ عَلى قَدْرِ البُزَاةِ بَسْطَهْ

سُرّ، وَقالَ هاتِ قلتُ مَهْلا

احلفْ على الردِّ"فقالكلا

أما يميني ، فهي عندي غاليهْ

وكلمتي مثلً يميني وافيه

قُلْتُ فَخُذْهُ هِبَةً بِقُبْلَة

فَصَدّ عَني، وَعَلّتْهُ خَجْلَهْ

فلمْ أزلْ أمسحهُ حتى انبسطْ

وَهَشّ للصّيدِ قَلِيلاً، وَنَشَطْ

صحتُ بهِ اركبْ فاستقلَّ عنْ يدِ

مُبادِراً أسرَعَ مِنْ قَوْلِ قَدِ

وَضَمّ ساقَيهِ وَقَالَ قَدْ حَصَلْ

" قلتُ لهُ"الغدرةُ منْ شرِّ العملْ

سرتُ ، وسارَ الغادرُ العيارُ

ليسَ لطيرٍ معنا مطارُ

ثمَّ عدلنا نحونهرِ الوادي ،

وَالطّيْرُ فِيهِ عَدَدُ الجَرَادِ

أدَرْتُ شَاهِيَنَيْنِ في مَكَانِ

لكثرةِ الصيدِ معَ الإمكانِ

دارا علينا دورةً وحلقا ،

كِلاهُمَا، حَتى إذَا تَعَلّقَا

تَوَازَيَا، وَاطّرَدَا اطّرَادا،

كالفارسينِ التقيا أو كادا

ثُمّتَ شَدَّا فَأصَابَا أرْبَعَا

ثَلاثَةً خُضْراً، وَطَيْراً أبْقَعَا

ثمَّ ذبحناها ، وخلصناهما

وَأمْكَنَ الصّيْدُ فَأرْسَلْنَاهُمَا

فَجَدّلا خَمْساً مِنَ الطّيُورِ،

فَزَادَني الرّحْمَنُ في سُرُورِي

أربعةً منها أنيسيانِ

وَطَائِراً يُعْرَفُ بالبَيْضَاني

خَيْلٌ تُنَاجِيهنّ كَيْفَ شِينَا

طيعةٌ ، ولجمها أيدينا

وهيَ إذا ما استصعبَ القيادهْ

صَرّفَهَا الجُوعُ عَلى الإرَادَهْ

تَسَاقَطْتْ مَا بَيْنَنَا مِنَ الفَرَقْ

حتى أخذنا ما أردنا منها

ثُمّ انْصَرَفْنَا رَاغِبِينَ عَنْهَا

إلى كراكيَّ بقربِ النهرِ

عشراً نراها ، أو فويقَ العشرْ

لمّا رآها البَازُ، من بُعْدٍ، لَصَقْ

وَحَدّدَ الطّرْفَ إلَيْهَا وَدَرَقْ

فَقُلْتُ قد صَادَ، وَرَبِّ الكَعبهْ،

فدارَ حتى أمكنتْ ثمَّ نزلْ

فَحَطّ مِنْهَا أفْرَعاً مِثْلَ الجَمَلْ

ما انحطَّ إلاَّ وأنا إليهِ

ممكناً رجليَّ منْ رجليهِ

جلستُ كيْ أشبعهُ إذا هيهْ

قد سَقطتْ من عَن يَمين الرَابيَهْ

فَشلْتُهُ أرْغَبُ في الزّيَادَة ،

وَتِلْكَ للطّرَادِ شَرٌّ عَادَة

لَمْ أجْزِهِ بأحْسَنِ البَلاءِ،

أطعتُ حِرْصِي، وَعَصَيْتُ دَائي

فلمْ أزلْ أختلها وتختتلْ ،

وإنما نختلها إلى أجلْ

عمدتُ منها لكبيرٍ مفردِ

يمشي بعنقٍ كالرشاءِ المحصدِ

طارَ ، وما طارَ ليأتيهِ القدرْ ،

وهلْ لما قدْ حانَ سمعٌ أوْ بصرْ

حتى إذا جدلهُ كالعندلِ ،

أيقنتُ أنَّ العظمَ غيرُ الفصلِ

ذاكَ، عَلى مَا نِلتُ مِنهُ، أمْرُ

عثرتُ فيهِ وأقالَ الدهرُ

خيرٌ منَ النجاحِ للإنسانِ

صحتُ إلى الطباخِ ماذا تنتظر

انزلْ عنِ المهرِ، وَهَاتِ ما حَضَرْ

جَاءَ بِأوْسَاطٍ، وَجُرْدِ تَاجِ،

منْ حجلِ الصيدِ ومنْ دراجِ

فما تنازلنا عنِ الخيولِ،

يمنعنا الحرصُ عنِ النزولِ

وَجِيءَ بالكَأسِ وَبالشّرَابِ،

فَقُلتُ وَقّرْهَا على أصْحابي

أشْبَعَني اليَوْمَ وَرَوّاني الفَرَحْ،

فقدْ كفاني بعضُ وسطٍ وقدحْ

ثمَّ عدلنا نطلبُ الصحراءَ ،

نَلْتَمِسُ الوُحُوشَ وَالظّبَاءَ

عَنّ لنَا سِرْبٌ بِبَطْنِ الوَادِي

قَدْ صَدَرَتْ عَنْ مَنهَلٍ رَوِيٍّ،

منْ غبرِ الوسميِّ والوليِّ

ليسَ بمطروقٍ ولا بكيٍّ،

ومرتعٍ مقتبلٍ جنيّ

رعينَ فيهِ ، غيرَ مذعوراتِ ،

مرَّ عليهِ غدقُ السحابِ

بواكفٍ ، متصلِ الربابِ

مازالَ في خفضٍ ، وحسنِ حالِ

حَتى أصَابَتْهُ بنَا اللّيَالي

سِرْبٌ حَمَاهُ الدّهْرُ مَا حَمَاهُ

لمّا رَآنَا ارْتَدّ مَا أعْطَاهُ

بادرتُ بالصقارِ والفهادِ

حَتى سَبَقْنَاهُ إلى المِيعَادِ

فَجَدَّلَ الفَهْدُ الكَبيرَ الأقْرَنَا،

شدَّ على مذبحهِ واستبطنا

وجدَّلَ الآخرُ عنزاً حائلاً

رَعَتْ حمى الغَوْرَينِ حَوْلاً كاملا

ثُمّ رَمَيْنَاهُنّ بالصّقُورِ

فَحِنْنَهَا بالقَدَرِ المَقْدُورِ

أفْرَدْنَ مِنها في القَرَاحِ وَاحِدَة

قدْ ثقلتْ بالخصرِ وهيَ جاهدهْ

مَرّتْ بنَا، وَالصّقْرُ في قَذالِهَا

يُؤذِنُهَا بسيِّءٍ مِنْ حَالِهَا

ثمَّ ثناها وأتاها الكلبُ

هما ، عليها ، والزمانُ إلبُ

فَلَمْ نَزَلْ نَصِيدُهَا وَنَصْرَعُ

حَتى تَبَقّى في القطِيعِ أرْبَعُ

ثمَّ عدلنا عدلةً إلى الجبلْ

إلى الأراوي ، والكباش والحجلْ

فَلَمْ نَزَلْ بِالخَيْلِ وَالكِلابِ

نحوزها حوزاً ، إلى الغيابِ

ثمَّ انصرفنا ، والبغالُ موقرهْ ،

في لَيلَةٍ ، مثلِ الصّبَاحِ، مُسفِرَهْ

حتى أتينا رحلنا بليلٍ ،

وَقَدْ سُبِقْنَا بِجِيَادِ الخَيْلِ

حتى عددنا مئةً وزيدا

فلمْ نَزَلْ نَقلي، وَنشوي، وَنصُبْ،

حَتى طَلَبْنَا صَاحِياً فَلَمْ نُصِبْ

شُرْباً، كمَا عَنّ، مِنَ الزِّقَّاق

بغير ترتيبٍ ، وغير ساقِ

فَلَمْ نَزَلْ سَبْعَ لَيَالٍ عَدَدا

أسعدَ مَن رَاحَ، وَأحظَى مَن غَدا

صاحبٌ لمَّا أساءَ

صاحبٌ لمَّا أساءَ

أتبعَ الدَّلوَ الرشاءَ

ربَّ داءٍ لا أرى منـ

ـهُ سوى الصبر شفاءَ

أحمدُ اللهَ على ما

سرَّ منْ أمري وساءَ

كانَ قضيباً لهُ انثناءُ

كانَ قضيباً لهُ انثناءُ

و كانَ بدراً لهُ ضياءُ

فَزَادَهُ رَبُّهُ عِذاراً

تَمّ بِهِ الحُسْنُ وَالبَهَاءُ

كذلكَ اللهُ كلّ َ وقتٍ

يزيدُ في الخلق ما يشاءُ

أيَا سَيّداً عَمّني جُودُهُ،

أيَا سَيّداً عَمّني جُودُهُ،

بِفَضْلِكَ نِلْتُ السَّنَى وَالسَّنَاءَ

و كمْ قد أتيتكَ من ليلةٍ

فنلتُ الغنى وسمعتُ الغناءَ

أقَنّاعَةً ، مِنْ بَعدِ طُولِ جَفاءِ،

أقَنَاعَةً ، مِنْ بَعدِ طُولِ جَفاءِ،

بدنوٍّ طيفٍ منْ حبيبِ ناءِ

بأبي وأمي شادنٌ قلنا لهُ

نَفْدِيكَ بالأمّاتِ وَالآباءِ

رشأ إذا لحظ العفيفَ بنظرةٍ

كانتْ لهُ سبباً إلى الفحشاءِ

وَجَنَاتُهُ تَجْني عَلى عُشّاقِهِ

ببديع ما فيها من اللألآء

بيضٌ عَلَتها حُمْرَةٌ فَتَوَرّدَتْ

مثلَ المدامِ خلطتها بالماءِ

فكأنما برزتْ لنا بغلالةٍ

بَيْضَاءَ تَحْتَ غِلالةٍ حَمْرَاءِ

كيفَ اتقاءُ لحاظهِ ؛ وعيوننا

طُرُقٌ لأسْهُمِهَا إلى الأحْشاءِ

صَبَغَ الحَيَا خَدّيْهِ لَوْنَ مدامعي

فكأنهُ يبكي بمثلِ بكائي

كيفَ اتقاءُ جآذرٍ يرمِيننا

بظُبى الصّوَارمِ من عيونِ ظِباءِ

يا ربِّ تلكَ المقلةِ النجلاءِ ،

حاشاكَ ممَّا ضمنتْ أحشائي

جازيتني بعداً بقربي في الهوى

وَمَنَحْتَني غَدْراً بحُسْنِ وَفائي

جَادتْ عِرَاصكِ يا شآمُ سَحَابَةٌ

عَرّاضةٌ مِنْ أصْدَقِ الأنْواءِ

بَلَدُ المَجَانَةِ وَالخَلاعَةِ وَالصِّبَا

وَمَحَلُّ كُلِّ فُتُوّةٍ وَفَتَاءِ

أنْوَاعُ زَهْرٍ وَالتِفَافُ حَدَائِقٍ

وَصَفَاءُ مَاءٍ وَاعْتِدالُ هَوَاءِ

وَخَرَائِدٌ مِثْلُ الدُّمَى يَسْقِينَنَا

كَأسَيْنِ مِنْ لَحْظٍ وَمن صَهْبَاءِ

وَإذا أدَرْنَ على النَّدامَى كَأسَهَا

غَنّيْنَنَا شِعْرَ ابن أوْس الطّائي

فارقتُ ، حينَ شخصتُ عنها ، لذتي

وتركتُ أحوالَ السرور ورائي

و نزلتُ منْ بلدِ " الجزيرةِ " منزلاً

خلواً من الخلطاءِ والندماءِ

فَيُمِرُّ عِنْدي كُلُّ طعْمٍ طيّبٍ

من ريْقِهَا وَيَضِيقُ كُلُّ فَضَاءِ

ألشّامُ لا بَلَدُ الجَزيرةِ لَذّتي

و " قويق " لا ماءُ " الفراتِ " منائي

وَأبيتُ مُرْتَهَنَ الفُؤادِ بمَنبجَ السّـ

ـوداءِ لا " بالرقةِ " البيضاءِ

منْ مبلغُ الندماءِ أني بعدهمْ

أُمْسِي نَديمَ كوَاكِبِ الجَوْزَاءِ

ولَقد رَعَيْتُ فليتَ شِعري من رَعى

منكمْ على بعدِ الديارِ إخائي

فحمَ الغبيُّ وقلتُ غيرَ ملجلجٍ

إنّي لَمُشْتَاقٌ إلى العَلْيَاءِ

وَصِناعَتي ضَرْبُ السّيُوفِ وَإنّني

مُتَعَرّضٌ في الشّعْرِ بالشّعَرَاءِ

و اللهُ يجمعنا بعزٍ دائمٍ

و سلامةٍ موصولةٍ ببقاءِ

أما يردعُ الموتُ أهلَ النهى

أما يردعُ الموتُ أهلَ النهى

وَيَمْنَعُ عَنْ غَيِّهِ مَنْ غَوَى

أمَا عَالِمٌ، عَارِفٌ بالزّمان

يروحُ ويغدو قصيرَ الخطا

فَيَا لاهِياً، آمِناً، وَالحِمَامُ

إليهِ سريعٌ ، قريبُ المدى

يُسَرّ بشَيْءٍ كَأَنْ قَدْ مَضَى ،

و يأمنُ شيئاً كأنْ قد أتى

إذا مَا مَرَرْتَ بأهْلِ القُبُور

تيقنتَ أنكَ منهمْ غدا

و أنَّ العزيزَ ، بها ، والذليلَ

سَوَاءٌ إذا أُسْلِمَا لِلْبِلَى

غَرِيبَيْن، مَا لَهُمَا مُؤنِسٌ،

وَحِيدَيْن، تَحْتَ طِبَاق الثّرَى

فلا أملٌ غيرُ عفو الإلهِ

وَلا عَمَلٌ غَيْرُ مَا قَدْ مَضَى

فَإنْ كَانَ خَيْراً فَخَيْراً تَنَالُ؛

و إنْ كانَ شراً فشراً يرى

كأنما تساقطُ الثلج

كأنما تساقطُ الثلج

ـج بعَيْنَيْ مَنْ رَأى

أوراقُ وردٍ أبضِ

وَالنّاسُ في شَاذكُلى

أتَزْعُمُ أنّكَ خِدْنُ الوَفاءِ

أتَزْعُمُ أنّكَ خِدْنُ الوَفَاءِ

وَقد حجبَ التُّرْبُ من قد حَجَبْ

فإنْ كنتَ تصدقُ فيما تقولُ

فمتُ قبلَ موتكَ معْ منْ تحبْ

وَإلاّ فَقَدْ صَدَقَ القَائِلُونَ

ما بينَ حيٍّ وميتٍ نسبْ

عقيلتيَ استُلبتْ منْ يدي

و لمَّا أبعها ولمَّا أهبْ

وَكُنْتُ أقِيكِ، إلى أنْ رَمَتْكِ

يَدُ الدّهرِ مِن حَيثُ لم أحتَسِبْ

فَمَا نَفَعَتْني ثُقَاتي عَلَيْكِ

وَلا صرَفتْ عَنكِ صرْفَ النُّوَبْ

فلا سلمتْ مقلةٌ لمْ تسحَّ

وَلا بَقِيَتْ لِمّةٌ لَمْ تَشِبْ

يعزُّونَ عنكِ وأينَ العزاءُ

و لكنها سنةٌ تُستحبْ

وَلَوْ رُدّ بالرّزْءِ مَا تَستَحِقّ

لَمَا كَانَ لي في حَيَاةٍ أرَبْ

أسَيْفُ الهُدَى ، وَقَرِيعَ العَرَبْ

أسَيْفُ الهُدَى ، وَقَرِيعَ العَرَبْ

علامَ الجفاءُ وفيمَ الغضبْ

وَمَا بَالُ كُثْبِكَ قد أصْبَحَتْ

تنكبني معَ هذي النكبْ

وَأنْتَ الكَرِيمُ، وَأنْتَ الحَلِيمُ،

وأنْتَ العَطُوفُ، وأنْتَ الحَدِبْ

و مازلتَ تسبقني بالجميلِ

و تنزلني بالجنابِ الخصبْ

وَتَدْفَعُ عَن حَوْزَتيّ الخُطُوبَ،

وَتَكْشِفُ عَنْ نَاظِرَيّ الكُرَبْ

و إنكَ للجبلُ المشمخـ

ـرّ لي بَلْ لِقَوْمِكَ بَل للعَرَبْ

عُلىً تَسْتَفَادُ، وَمَالٌ يُفَادُ،

وَعِزٌّ يُشَادُ، وَنُعْمَى تُرَبْ

و ما غضَّ منيَ هذا الإسارُ

و لكنْ خلصتُ خلوصَ الذهبْ

فَفِيمَ يُقَرّعُني بالخُمُو

لِ مَوْلىً به نِلتُ أعلى الرّتَبْ

وَكانَ عَتِيداً لَدَيّ الجَوَابُ،

وَلَكِنْ لِهَيْبَتِهِ لَمْ أُجِبْ

فَأشْكَرُ ما كنتُ في ضَجْرَتي،

و أني عتبتكَ فيمنْ عتبْ

فَألاّ رَجَعْتَ فَأعْتَبْتَني،

وَصَيّرْتَ لي وَلِقَوْلي الغَلَبْ

فلا تنسبنَّ إليَّ الخمولَ

أقمتُ عليكَ فلمْ أغتربْ

وأصْبَحْتُ مِنكَ فإنْ كان فضْلٌ

وَبَيْني وَبَيْنَكَ فوق النّسَبْ

و ما شككتنيَ فيكَ الخطوبُ

و لا غيَّرتني فيكَ النُّوبْ

و أسكنُ ما كنتُ في ضجرتي

وَأحْلَمُ مَا كُنْتُ عِنْدَ الغَضَبْ

وَإنّ خُرَاسَانَ إنْ أنْكَرَتْ

" علّايَ فقدْ عرفتها " حلبْ

وَمِنْ أينَ يُنْكِرُني الأبْعَدُونَ

أمنْ نقصِ جدٍ أمنْ نقصِ أبْ

ألَسْتُ وَإيّاكَ مِنْ أُسّرَةٍ ،

و بيني وبينكَ قربُ النسبْ

وَدادٌ تَنَاسَبُ فِيهِ الكِرَامُ،

و تربيةٍ ومحلٍ أشبْ

و نفسٍ تكبرُ إلا عليكَ

وَتَرْغَبُ إلاّكَ عَمّنْ رَغِبْ

فَلا تَعْدِلَنّ، فِدَاكَ ابنُ عَمّـ

ـكَ لا بلْ غلامكَ - عمَّا يجبْ

و أنصفْ فتاكَ فإنصافهُ

منَ الفضلِ والشرفـِ المكتسبْ

وَكُنْتَ الحَبيبَ وَكُنْتَ القَريبَ

لياليَ أدعوكَ منْ عنْ كثبْ

فلمَّا بعدتُ بدتْ جفوةٌ

و لاحَ منْ الأمرِ ما لا أحبْ

فلوْ لمْ أكنْ بكَ ذا خبرةٍ

لقلتُ صديقكَ منْ لمْ يغبْ

للهِ بردٌ ما أشـ

للهِ بردٌ ما أشـ

ـدَّ ومنظرٌ ما كانَ أعجبْ

جَاءَ الغُلامُ بِنَارِهِ

حمراءَ في جمرٍ تلهبْ

فكأنما جُمعَ الحلـ

ـيّ فمُحرَقٌ مِنها وَمُذهَبْ

ثمَّ انطفتْ فكأنها

مَا بَيْنَنَا نَدٌّ مُشَعَّبْ

تُقِرّ دُمُوعي بِشَوْقي إلَيْكَ

تُقِرّ دُمُوعي بِشَوْقي إلَيْكَ

و يشهدُ قلبي بطولِ الكربْ

وإني لَمُجْتَهِدٌ في الجُحُودِ،

وَلَكِنّ نَفْسِيَ تَأبَى الكَذِبْ

وَإني عَلَيْكَ لجَاري الدّمُوع،

وَإني عَلَيْكَ لَصَبٌّ وَصِبْ

و ما كنتُ أبقي على مهجتي

لَوَ أني انْتَهَيْتُ إلى مَا يَجِبْ

و لكنْ سمحتُ لها بالبقاءِ

رَجَاءَ اللّقَاءِ عَلى مَا تُحِبْ

و يبقي اللبيبُ لهُ عدةً

لوقتِ الرضا في أوانِ الغضبْ

و ما أنسَ لا أنسَ يومَ المغار

و ما أنسَ لا أنسَ يومَ المغار

محجبةً لفظتها الحجبْ

دَعَاكَ ذَوُوهَا بِسُوءِ الفِعَالِ

لِمَا لا تَشَاءُ، وَمَا لا تُحِبّ

فَوَافَتْكَ تَعْثُرُ في مِرْطِهَا،

و قدْ رأتِ الموتَ منْ عنْ كثبْ

وَقَدْ خَلَطَ الخَوْفُ لَمّا طَلَعْـ

ـتَ دَلَّ الجَمَالِ بِذُلْ الرُّعُبْ

تُسَارِعُ في الخَطْوِ لا خِفّةً،

و تهتزُّ في المشي لا منْ طربْ

فلمَّا بدتْ لكَ فوقَ البيوتِ

بدا لكَ منهنَّ جيشَ لجبْ

فكنتَ أخاهنَّ إذْ لا أخٌ

و كنتَ أباهنَّ إذْ ليسَ أبْ

وَمَا زلتَ مُذْ كُنتَ تأتي الجَمِيلَ

و تحمي الحريمَ ، وترعى النسبْ

و تغضبُ حتى إذا ما ملكتَ

أطعْتَ الرّضا، وَعَصَيْتَ الغَضَبْ

فَوَلَيْنَ عَنْكَ يُفَدّينَهَا،

وَيَرْفَعنَ مِن ذَيْلِها ما انسَحَبْ

يُنَادِينَ بينَ خِلالِ البُيُو

تِ لا يَقطَعِ اللّهُ نَسْلَ العَرَبْ

- أمرتَ - وأنتَ المطاعُ الكريمُ

ببذلِ الأمانِ وردِ السلبْ

و قدْ رحنَ منْ مهجاتِ القلوبِ

بأوفرِ غنمٍ وأغلى نشبْ

فإنْ هُنّ يَابْنَ السَّرَاةِ الكِرَامِ،

رددنَ القلوبَ رددنا النهبْ

الشّعرُ دِيوانُ العَرَبْ،

الشّعرُ دِيوانُ العَرَبْ،

أبداً ، وعنوانُ النسبْ

لَمْ أعْدُ فِيهِ مَفَاخِرِي

و مديحَ آبائي النجبْ

و مقطعاتٍ ربما

حَلّيْتُ مِنْهُنّ الكُتُبْ

لا في المديح ولا الهجاءِ

ءِ وَلا المُجُون وَلا اللّعِبْ

لنْ للزمان ، وإنْ صعبْ

لنْ للزمان ، وإنْ صعبْ

وَإذا تَبَاعَدَ فَاقْتَرِبْ

لا تَكْذِبَنْ، مَنْ غَالَبَ الـ

أيامَ كانَ لها الغلبْ

ألا إنّمَا الدّنْيَا مَطِيّةُ رَاكِبٍ

ألا إنّمَا الدّنْيَا مَطِيّةُ رَاكِبٍ

عَلا رَاكِبُوها ظَهْرَ أعوَجَ أحدَبَا

شموسٌ متى أعطتكَ طوعاً زمامها

فكُنْ للأذى مِنْ عَقْهَا مُتَرَقّبَا

منْ كانَ أنفقَ في نصرِ الهدى نشباً

منْ كانَ أنفقَ في نصرِ الهدى نشباً

فأنتَ أنفقتَ فيه النفسَ والنشبا

يُذكي أخوكَ شِهَابَ الحرْبِ مُعتمداً

فَيَسْتَضِيءُ، وَيَغشَى جَدُّكَ اللّهَبَا

أتَزْعُمُ، يا ضخمَ اللّغَادِيدِ، أنّنَا

أتَزْعُمُ، يا ضخمَ اللّغَادِيدِ، أنّنَا

وَنحن أُسودُ الحرْبِ لا نَعرفُ الحرْبَا

فويلكَ ؛ منْ للحربِ إنْ لمْ نكنْ لها

ومنْ ذا الذي يمسي ويضحي لها تربا

و منْ ذا يلفّ الجيشَ منْ جنباتهِ

و منْ ذا يقودُ الشمَّ أو يصدمُ القلبا

"وويلكَ ؛ منْ أردى أخاكَ " بمرعشٍ

وَجَلّلَ ضرْباً وَجهَ وَالدِكَ العضْبَا

وويلكَ منْ خلى ابنَ أختكَ موثقاً

وَخَلاّكَ باللَّقَانِ تَبْتَدِرُ الشِّعبَا

أتوعدنا بالحربِ حتى كأننا

و إياكَ لمْ يعصبْ بها قلبنا عصبا

لقد جَمَعْتنَا الحَرْبُ من قبلِ هَذِهِ

فكنا بها أسداً ؛ وكنتَ بها كلبا

فسلْ " بردساً " عنا أباكَ وصهرهُ

وسلْ آلَ " برداليسَ " أعظمكم خطبا

وَسَلْ قُرْقُوَاساً وَالشَّمِيشَقَ صِهْرَهُ،

وَسَلْ سِبْطهُ البطريقَ أثبَتكم قلبَا

وَسَلْ صِيدَكُمْ آلَ المَلاينِ إنّنَا

نهبنا ببيضِ الهندِ عزهمُ نهبا

" و سلْ آلَ " بهرامٍ " وآلَ " بلنطسٍ

و سلْ آلَ " منوال" الجحاجحةَ الغلبا

و سلْ "بالبرطسيس" العساكرَ كلها

و سلْ " بالمنسطرياطسِ " الرومَ والعربا

أَلَمْ تُقْنِهِمْ قَتْلاً وَأَسْراً سُيُوفُنَا

وأسدَ الشرى الملأى وإنْ جمدتْ رعبا

بأقلامِنَا أُجْحِرْتَ أمْ بِسُيُوفِنَا

و أسدَ الشرى قدنا إليكَ أمِ الكتبا

تركناكَ في بطن الفلاةِ تجوبها

كمَا انْتَفَقَ اليَرْبُوعُ يَلْتَثِمُ التّرْبَا

تُفاخِرُنَا بالطّعن وَالبضّرْبِ في الوَغى

لقد أوْسَعَتْك النفسُ يابنَ استها كِذبَا

رعى اللهُ أوفانا إذا قالَ ذمةً

وَأنْفَذْنَا طَعْناً، وأثْبَتَنَا قَلْبَا

وَجَدْتُ أبَاكَ العِلْجَ لمّا خَبَرْتُهُ

أقَلُّكُمُ خَيراً، وَأكْثَرَكمْ عُجبَا

تُدِلّ عَلى مَوَالِينَا وَنَجْفُو

تُدِلّ عَلى مَوَالِينَا وَنَجْفُو

و نعتبهمْ وإنَّ لنا الذنوبا

بأقْوَالٍ يُجَانِبْنَ المَعَاني

و ألسنةٍ يخالفنَ القلوبا

أبَتْ عَبَرَاتُهُ إلاّ انْسِكَابَا

أبَتْ عَبَرَاتُهُ إلاّ انْسِكَابَا

و نارُ ضلوعهِ إلا التهابا

و منْ حقٍّ الطلول عليَّ ألا

أُغِبَّ مِنَ الدّموع لهَا سَحابَا

وَمَا قَصّرْتُ في تَسْآل رَبْعٍ،

و لكني سألتُ فما أجابا

رأيتُ الشيبَ لاحَ فقلتُ أهلاً

وودعتُ الغوايةَ والشبابا

وَمَا إنْ شِبتُ من كِبَرٍ، وَلكِنْ

رأيتُ منَ الأحبةِ ما أشابا

بعثنَ منَ الهموم إليَّ ركباً

و صيرنَ الصدودَ لها ركابا

ألَمْ تَرَنَا أعَزَّ النّاس جَاراً

و أمنعهمْ ؛ وأمرعهمْ جنابا

لنَا الجَبَلُ المُطِلُّ على نِزَارٍ

حَلَلْنَا النّجْدَ مِنهُ وَالهضَابَا

تفضلنا الأنامُ ولا نحاشى

و نوصفُ بالجميلِ ؛ ولا نحابى

" و قد علمتْ " ربيعةُ" بلْ " نزارٌ

بأنّا الرأسُ والناسَ الذُّنابى

"فلما أنْ طغتْ سفهاءُ" كعبٍ

فَتَحْنَا بَينَنا لِلْحَرْبِ بَابا

مَنَحْنَاها الحَرَائِبَ غَيرَ أنّا

إذا جَارَتْ مَنَحْنَاها الحِرَابَا

و لما ثارَ " سيفُ الدين" ثرنا

كَمَا هَيّجْتَ آسَاداً غِضَابَا

أسِنّتُهُ، إذا لاقَى طِعَاناً،

صوارمهُ ، إذا لاقى ضرابا

- دعانا - والأسنةُ مشرعاتٌ

فكنا، عندَ دعوتهِ ، الجوابا

صَنَائِعُ فَاقَ صَانِعُهَا فَفَاقَتْ،

وَغَرْسٌ طابَ غَارِسُهُ، فَطَابَا

و كنا كالسهامِ ؛ إذا أصابتْ

مراميها فراميها أصابا

"و نكبنَ " الصبيرةَ " و" القبابا

و جاوزنَ " البديةَ " صادياتٍ ؛

يلاحظنَ السرابَ ؛ ولا سرابا

عبرنَ " بماسحٍ " والليلُ طفلٌ

وَحِنْنَ إلى سَلَمْيَةَ حِينَ شَابَا

فما شعروا بها إلا ثباتاً

دوينَ الشدِّ نصطخبُ اصطخابا

بهِ الأرواحُ تنتهبُ انتهابا

تنادوا ، فانبرتْ ، منْ كلِّ فجٍ ،

سوابقُ ينتجبنَ لنا انتجابا

وَقادَ نَدي بنُ جَعْفَرَ من عُقيلٍ

شعوباً ، قدْ أسلنَ بهِ الشعابا

فما كانوا لنا إلا أسارى

و ما كانت لنا إلا نهابا

كأنَّ " ندي بنَ جعفر" قادَ منهمْ

هدايا لمْ يرعْ عنها ثوابا

وَشَدّوا رَأيَهُمْ بِبَني قُرَيْعٍ،

فخابوا - لا أبا لهمُ - وخابا

و لما اشتدتِ الهيجاءُ كنا

أشَدَّ مَخَالِباً، وَأحَدَّ نَابَا

و أمنعَ جانباً ؛ وأعزَّ جاراً ؛

و أوفى ذمةً ؛ وأقلَّ عابا

"سقينا بالرماحِ بني " قشيرٍ

ببطنِ " الغنثرِ " السمَّ المذابا

و سقناهمْ إلى " الحيرانِ " سوقاً

كما نستاقُ آبالاً صعابا

و نكبنا " الفرقلسَ " لمْ نردهً

كَأنّ بِنَا عَنِ المَاءِ اجْتِنَابَا

وَمِلْنَ عَنِ الغُوَيْرِ وَسِرْنَ حتى

" وردنَ عيونَ " تدمرَ" و" الحبابا

و أمطرنَ " الجباةَ " بمرجحنَّ

وَلَكِنْ بِالطِّعَانِ المُرِّ صَابَا

وَجُزْنَ الصَّحصَحَانَ يخدِنَ وَخداً

و يجتبنَ الفلاةَ بنا اجتيابا

"قرينا " بالسماوةِ" من " عقيلٍ

سِبَاعَ الأرْضِ وَالطّيرَ السِّغَابَا

و " بالصباحِ " و" الصباحُ " عبدٌ

قتلنا ، منْ لبابهمُ اللبابا

"تركنا في بيوتِ بني " المهنا

نوادبَ ينتحبنَ بها انتحابا

شَفَتْ فِيهَا بَنُو بَكْرٍ حُقُوداً

و غادرتِ " الضبابَ " بها ضبابا

وَأبْعَدْنَا لِسُوءِ الفِعْلِ كَعْباً

"و أدنينا لطاعتها " كلابا

وَشَرّدْنَا إلى الجَوْلانِ طَيْئاً

و جنبنا " سماوتها " جنابا

سَحَابٌ مَا أنَاخَ عَلى عُقَيْلٍ

و جرَّ على جوارهمُ ذنابا

وَمِلْنَا بالخُيُول إلى نُمَيرٍ

تجاذبنا أعنتها جذابا

يعزُّ على العشيرةِ أنْ يصابا

وَمَا ضَاقَتْ مَذاهِبُهُ، وَلَكِنْ

يُهَابُ، مِنَ الحَمِيّةِ، أنْ يُهابَا

و يأمرنا فنكفيهِ الأعادي

هُمَامٌ لَوْ يَشَاءُ كَفَى وَنَابَا

فلما أيقنوا أنْ لا غياثٌ

دعوهُ للمغوثةِ فاستجابا

و عادَ إلى الجميلِ لهمْ ؛ فعادوا

وَقَدْ مَدّوا لِصَارِمِهِ الرّقَابَا

أمَرّ عَلَيْهِمُ خَوْفاً وَأمناً

أذَاقَهُمُ بِهِ أرْياً وَصَابَا

أحَلّهُمُ الجَزِيرَةَ بَعدَ يَأسٍ

أخُو حِلْمٍ إذا مَلَكَ العِقَابَا

و أرضهمُ اغتصبناها اغتصابا

وَلَوْ شِئْنَا حَمَيْنَاهَا البَوَادِي

كما تحمي أسودُ الغابِ غابا

أنا ابنُ الضاربينَ الهامَ قدماً

إذا كَرِهَ المُحَامُونَ الضّرَابَا

ألَمْ تَعْلَمْ وَمِثْلُكَ قالَ حَقّاً

بأني كنتُ أثقبها شهابا

أتَعجَبُ أنْ مَلكنَا الأرْضَ قَسْراً

أتَعجَبُ أنْ مَلكنَا الأرْضَ قَسْراً

وَأنْ تُمْسِي وَسَائِدَنَا الرّقَابُ

و تربطُ في مجالسنا المذاكي

و تبركُ بين أرجلنا الركابُ

فهذا العزُّ أثبتهُ العوالي

و هذا الملكُ مكنهُ الضرابُ

و أمثالُ القسيِّ منَ المطايا

يَجُبّ غِرَاسَهَا الخَيْلُ العِرَابُ

فَقَصْراً إنّ حَالاً مَلّكَتْنَا

لَحَالٌ لا تُذَمّ وَلا تُعَابُ

احذرْ مقاربةَ اللئامِ فإنهُ

احذرْ مقاربةَ اللئامِ فإنهُ

ينبيكَ ، عنهمْ في الأمورِ ، مجربُ

قومٌ ، إذا أيسرتَ ، كانوا إخوةً

و إذا تربتَ ، تفرقوا وتجنبوا

اصبرْ على ريبِ الزمانِ فإنهُ

بالصّبرِ تُدْرِكُ كلّ ما تَتَطلّبُ

قنّاتي عَلى مَا تَعْهَدَانِ صَلِيبَةٌ ،

قَنَاتي عَلى مَا تَعْهَدَانِ صَلِيبَةٌ ،

وعودي ، على ما تعلمانِ صليبُ

صبورٌ على طي الزمانِ ونشرهِ ؛

و إنْ ظهرتْ للدهرِ في ندوبُ

و إنَّ فتى لمْ يكسرِ الأسرُ قلبهُ

وَخَوْضُ المَنَايَا جِدَّهُ لَنَجِيبُ

أقرُّ لهُ بالذنبِ ؛ والذنبُ ذنبهُ

أقرُّ لهُ بالذنبِ ؛ والذنبُ ذنبهُ

وَيَزْعُمُ أنّي ظالِمٌ، فَأَتُوبُ

وَيَقْصِدُني بالهَجْرِ عِلْماً بأنّهُ

إليَّ ، على ما كانَ منهُ ، حبيبُ

و منْ كلِّ دمعٍ في جفوني سحابةٌ

و منْ كلِّ وجدٍ في حشايَ لهيبُ

أسَاءَ فَزَادَتْهُ الإسَاءَةُ حُظْوَةً ،

أسَاءَ فَزَادَتْهُ الإسَاءَةُ حُظْوَةً ،

حَبيبٌ، عَلى مَا كَانَ مِنهُ، حَبيبُ

يعدُّ عليَّ العاذلونَ ذنوبهُ

وَمِنْ أينَ للوَجْهِ المَلِيح ذُنُوبُ

فيا أيها الجاني ، ونسألهُ الرضا

وَيَا أيّهَا الجَاني، وَنَحْنُ نَتُوبُ

لَحَى اللَّهُ مَن يَرْعَاكَ في القُرْبِ وَحده

وَمَنْ لا يَحُوطُ الغَيبَ حِينَ تَغيبُ

أبيتُ كَأنّي لِلصَّبَابَةِ صَاحِبُ،

أبيتُ كَأنّي لِلصَّبَابَةِ صَاحِبُ،

و للنومِ مذْ بانَ الخليطُ ، مجانبُ

وَمَا أدّعِي أنّ الخُطُوبَ تُخِيفُني

لَقَدْ خَبّرَتْني بالفِرَاق النّوَاعِبُ

و لكنني ما زلتُ أرجو وأتقي

وَجَدَّ وَشِيكُ البَيْنِ وَالقَلْبُ لاعِبُ

و ماهذهِ في الحبِّ أولَ مرةٍ

أسَاءَتْ إلى قَلبي الظّنُونُ الكَوَاذِبُ

عليَّ لربع " العامرية " وقفةٌ

تُمِلّ عَليّ الشّوْقَ وَالدّمعُ كاتِبُ

فلا ، وأبي العشاق ، ما أنا عاشقٌ

إذا هيَ لَمْ تَلْعَبْ بصَبري المَلاعِبُ

و منْ مذهبي حبُّ الديارِ لأهلها

وَللنّاسِ فِيمَا يَعْشَقُونَ مَذاهِبُ

عتادي لدفعِ الهمِّ نفسٌ أبيةٌ

وَقَلبٌ على مَا شِئتُ مِنْهُ مُصَاحِبُ

حَسُودٌ عَلى الأمرِ الذي هُوَ عَائِبُ

وَخُوصٌ كأمْثَالِ القِسِيّ نَجَائِبُ

تكاثرَ لوامي على ما أصابني

كأنْ لم تنبْ إلا بأسري النوائبُ

" يقولونَ " لمْ ينظرْعواقبَ أمرهِ

و مثلي منْ تجري عليهِ العواقبُ

ألألمْ يعلمِ الذلانُ أنَّ بني الوغى

كَذاكَ، سَليبٌ بالرّمَاحِ وَسَالِبُ

أرى ملءَ عيني الردى فأخوضهُ

إذِ المَوْتُ قُدّامي وَخَلْفي المَعَايبُ

وَإنّ وَرَاءَ الحَزْمِ فِيهَا وَدُونَهُ

مَوَاقِفَ تُنْسَى دُونَهُنّ النّجَارِبُ

و أعلمُ قوماً لو تتعتعتُ دونها

لأجهَضَني بالدّمّ مِنهُمْ عَصَائِبُ

و مضطغنٍ لمْ يحملِ السرَّ قلبهُ

تَلَقّتَ ثمّ اغْتَابَني، وَهوَ هَائِبُ

تردى رداءَ الذلِّ لمَّا لقيتهُ

كما تتردى بالغبارِ العناكبُ

ومنْ شرفي أنْ لا يزالَ يعيبني

حسودٌ على الأمرِ الذي هوَ عاتبُ

رَمَتْني عُيُونُ النّاسِ حَتّى أظُنّهَا

ستحسدني ، في الحاسدينَ ، الكواكبُ

فَلَسْتُ أرَى إلاّ عَدُوّاً مُحارباً،

و آخرَ خيرُ منهُ عندي المحاربُ

وَيَرْجُونَ إدْرَاكَ العُلا بنُفُوسِهِمْ

وَلَمْ يَعْلَمُوا أنّ المَعَالي مَوَاهِبُ

فكمْ يطفئونَ المجدَ واللهُ موقدٌ

وَكَمْ يَنْقُصُونَ الفَضْلَ وَاللّهُ وَاهبُ

و هلْ يدفعُ الإنسانُ ما هوَ واقعٌ

وَهَلْ يَعْلَمُ الإنسانُ ما هوَ كاسِبُ

و هلْ لقضاءِ اللهِ في الخلقِ غالبٌ

وهلْ لقضاءِ اللهِ في الخلقِ هاربُ

وَلا ذَنبَ لي إنْ حارَبَتني المَطالِبُ

وهلْ يرتجي للأمرِ إلاّ رجالهُ

وَيأتي بصَوْبِ المُزْنِ إلاّ السّحائِبُ

و عنديَ صدقُ الضربِ في كلِّ معركٍ

و ليسَ عليَّ إنْ نبونَ المضاربِ

إذا كانَ "سيفُ الدولةِ" الملكُ كافلي

فلا الحَزْمُ مَغلوبٌ ولا الخصْمُ غالِبُ

إذا اللّهُ لَمْ يَحْرُزْكَ مِمّا تَخَافُهُ،

عَلَيّ لِسَيْفِ الدّولَةِ القَرْمِ أنْعُمُ

وَلا سَابِقٌ مِمَّا تَخَيَّلْتَ سَابِقٌ،

ولاَ صاحبٌ مما تخيرتَ صاحبُ

أأَجْحَدُهُ إحْسَانَهُ فيّ، إنّني

لكافرُ نعمى ، إنْ فعلتُ ، مواربُ

لَعَلّ القَوَافي عُفْنَ عَمّا أرَدْتُهُ،

فلا القولُ مردودٌ ولا العذرُ ناضبُ

و لا شكَّ قلبي ساعةً في اعتقادهِ

وَلا شَابَ ظَنّي قَطّ فِيهِ الشّوَائِبُ

تُؤَرّقُني ذِكْرَى لَهُ وَصَبَابَةٌ،

وَتَجْذُبُني شَوْقاً إلَيْهِ الجَوَاذِبُ

وَلي أدْمُعٌ طَوْعَى إذا مَا أمَرْتُها،

وَهُنّ عَوَاصٍ في هَوَاهُ، غَوَالِبُ

فلا تخشَ " سيفَ الدولةِ " القرمَ أنني

سِوَاكَ إلى خَلْقٍ مِنَ النّاسِ رَاغبُ

فلا تُلبَسُ النّعمَى وَغَيرُكَ مُلبسٌ،

وَلا تُقْبَلُ الدنيَا وَغَيرُكَ وَاهِبُ

وَلا أنَا، مِنْ كُلّ المَطاعِمِ، طَاعِمٌ

وَلا أنَا، مِنْ كُلّ المَشَارِبِ، شَاربُ

وَلاَ أنَا رَاضٍ إنْ كَثُرْنَ مكاسِبِي،

إذا لمْ تكنْ بالعزِّ تلكَ المكاسبُ

و لا السيدُ القمقامُ عندي بسيدٍ

إذا اسْتَنْزَلَتْهُ عَن عُلاهُ الرّغَائِبُ

أيَعْلَمُ مَا نَلْقَى نَعَمْ يَعْلَمُونَهُ

على النأي أحبابٌ لنا وحبائبُ

أأبْقَى أخي دَمْعاً، أذاقَ كَرى ً أخي

أآبَ أخي بعدي ، منَ الصبرآئبُ

بنَفسِي وَإنْ لمْ أرْضَ نَفسِي لرَاكِبٌ

يُسَائِلُ عَني كُلّمَا لاحَ رَاكِبُ

قريحُ مجاري الدمع مستلبُ الكرى

يُقَلْقِلُهُ هَمٌّ مِنَ الشوْق نَاصِبُ

أخي لا يُذِقْني الله فِقْدَانَ مِثْلِهِ

و أينَ لهُ مثلٌ ، وأينَ المقاربُ

تَجَاوَزَتِ القُرْبَى المَوَدّةُ بَيْنَنَا،

فأصْبَحَ أدْنَى مَا يُعَدّ المُنَاسِبُ

ألا لَيْتَني حُمّلْتُ هَمّي وَهَمّهُ،

وَأنّ أخي نَاءٍ عَنِ الهَمّ عَازبُ

فَمَنْ لمْ يَجُدْ بالنّفس دون حبيبِهِ

فما هوَ إلاّ ماذقُ الودِّ كاذبُ

أتَاني، مَعَ الرُّكّبَان، أنّكَ جَازِعٌ،

وَغَيرُكَ يَخْفَى عَنْهُ لله واجِبُ

وَمَا أنْتَ مِمّنْ يُسْخِطُ الله فِعلُهُ

و إن أخذتْ منكَ الخطوبُ السوالبُ

وَإني لمِجْزَاعٌ، خَلا أنّ عَزْمَةً

تدافعُ عني حسرةً وتغالبُ

و رقبةَ حسادٍ صبرتُ لوقعها

لها جانبٌ مني وللحربِ جانبُ

فكمْ منْ حزينٍ مثلَ حزني ووالهٍ

ولكنني وحدي الحزينُ المراقبُ

ولستُ ملوماً إنْ بكيتكَ منْ دمي

إذا قعدتْ عني الدموعُ السواكبُ

ألا ليتَ شعري هلْ أبيتنَّ ليلةً

تناقلُ بي فيها إليكَ الركائبُ

أرَاني وَقوْمي فُرّقتْنَا مَذَاهِبُ،

أرَاني وَقَوْمي فَرّقَتْنَا مَذَاهِبُ،

و إنْ جمعتنا في الأصول المناسبُ

فأقصَاهُمُ أقصَاهُمُ مِنْ مَسَاءتي،

وَأقْرَبُهُمْ مِمّا كَرِهْتُ الأقَاربُ

غَرِيبٌ وَأهْلي حَيْثُ مَا كانَ ناظِري،

وَحِيدٌ وَحَوْلي مِن رجالي عَصَائِبُ

نسيبكَ منْ ناسبتَ بالودِّ قلبهُ

وجاركَ منْ صافيتهُ لا المصاقبُ

و أعظمُ أعداءِ الرجالِ ثقاتها

و أهونُ منْ عاديتهُ منْ تحاربُ

وَشَرّ عَدُوّيْكَ الذي لا تُحَاربُ،

و خيرُ خليليكَ الذي لا تناسبُ

لقد زدتُ بالأيامِ والناسِ خبرةً

و جربتُ حتى هذبتني التجاربُ

وَما الذّنبُ إلاّ العَجزُ يَرْكَبُهُ الفَتى ،

و ما ذنبهُ إنْ طارتهُ المطالبُ

وَمَن كان غَيرَ السّيفِ كافِلُ رزْقِهِ

فللذل منهُ لا محالةَ جانبُ

وَمَا أُنْسُ دارٍ لَيْسَ فِيهَا مُؤانِسٌ،

و ما قربُ قومٍ ليسَ فيهمْ مقاربُ

أمَا لِجَمِيلٍ عِنْدَكُنّ ثَوَابُ،

أمَا لِجَمِيلٍ عِنْدَكُنّ ثَوَابُ،

وَلا لِمُسِيءٍ عِنْدَكُنّ مَتَابُ

لَقَد ضَلّ مَنْ تَحوي هوَاهُ خَرِيدةٌ،

و قدْ ذلَّ منْ تقضي عليهِ كعابُ

و لكنني - والحمدُ للهِ - حازمٌ

أعزُّ إذا ذلتْ لهنَّ رقابُ

وَلا تَمْلِكُ الحَسْنَاءُ قَلْبيَ كُلّهُ

و إنْ شملتها رقةٌ وشبابُ

وَأجري فلا أُعطي الهوَى فضْلَ مقوَدي،

وَأهْفُو وَلا يَخْفَى عَلَيّ صَوَابُ

إذا الخِلّ لَمْ يَهْجُرْكَ إلاّ مَلالَةً،

فليسَ لهُ إلا الفراقَ عتابُ

إذَا لَمْ أجِدْ مِنْ خُلّةٍ ما أُريدُهُ

فعندي لأخرى عزمةٌ وركابُ

وَلَيْسَ فرَاقٌ ما استَطَعتُ، فإن يكُن

فراقٌ على حالٍ فليسَ إيابُ

صبورٌ ولوْ لمْ تبقَ مني بقيةٌ

قؤولٌ ولوْ أنَّ السيوفَ جوابُ

وَفُورٌ وأحْدَاثُ الزّمَانِ تَنُوشُني،

وَفي كُلّ يَوْمٍ لقْتَةٌ وَخِطَابُ

وَألْحَظُ أحْوَالَ الزّمَانِ بمُقْلَةٍ

بها الصدقُ صدقٌ والكذابُ كذابُ

بمَنْ يَثِقُ الإنْسَانُ فِيمَا يَنُوبُهُ

وَمِنْ أينَ للحُرّ الكَرِيمِ صِحَابُ

وَقَدْ صَارَ هَذَا النّاسُ إلاّ أقَلَّهُمْ

ذئاباً على أجسادهنَّ ثيابُ

تغابيتُ عنْ قومي فظنوا غباوةً

بمَفْرِقِ أغْبَانَا حَصىً وَتُرَابُ

وَلَوْ عَرَفُوني حَقّ مَعْرِفَتي بهم،

إذاً عَلِمُوا أني شَهدْتُ وَغَابُوا

وَمَا كُلّ فَعّالٍ يُجَازَى بِفِعْلِهِ،

و لا كلّ قوالٍ لديَّ يجابُ

وَرُبّ كَلامٍ مَرّ فَوْقَ مَسَامِعي

إلى الله أشْكُو أنّنَا بمَنَازِلٍ

تحكمُ في آسادهنَّ كلابُ

تَمُرّ اللّيَالي لَيْسَ للنّفْعِ مَوْضِعٌ

لديَّ ، ولا للمعتفينَ جنابُ

وَلا شُدّ لي سَرْجٌ عَلى ظَهْرِ سَابحٍ،

ولا ضُرِبَتْ لي بالعَرَاءِ قِبَابُ

و لا برقتْ لي في اللقاءِ قواطعٌ

وَلا لَمَعَتْ لي في الحُرُوبِ حِرَابُ

"ستذكرُ أيامي " نميرٌ" و" عامرٌ

" و" كعبٌ " على علاتها و" كلابُ

أنا الجارُ لا زادي بطيءٌ عليهمُ

وَلا دُونَ مَالي لِلْحَوَادِثِ بَابُ

وَلا أطْلُبُ العَوْرَاءَ مِنْهُمْ أُصِيبُهَا،

وَلا عَوْرَتي للطّالِبِينَ تُصَابُ

وَأسْطُو وَحُبّي ثَابتٌ في صُدورِهِمْ

وَأحلُمُ عَنْ جُهّالِهِمْ وَأُهَابُ

بَني عَمّنا ما يَصْنعُ السّيفُ في الوَغى

إذا فلَّ منهُ مضربٌ وذبابُ

شِدَادٌ عَلى غَيْرِ الهَوَانِ صِلابُ

بَني عَمّنَا نَحْنُ السّوَاعِدُ والظُّبَى

ويوشكُ يوماً أنْ يكونَ ضرابُ

حَرِيّونَ أنْ يُقْضَى لَهُمْ وَيُهَابُوا

فَعَنْ أيّ عُذْرٍ إنْ دُعُوا وَدُعِيتُمُ

أبَيْتُمْ، بَني أعمَامِنا، وأجَابُوا

وَمَا أدّعي، ما يَعْلَمُ الله غَيْرَهُ

رحابُ " عليٍّ " للعفاةِ رحابُ

و أفعالهُ للراغبينَ كريمةٌ

و أموالهُ للطالبينَ نهابُ

و لكنْ نبا منهُ بكفي صارمٌ

و أظلمُ في عينيَّ منهُ شهابُ

وَأبطأ عَنّي، وَالمَنَايَا سَرِيعةٌ،

وَلِلمَوْتِ ظُفْرٌ قَدْ أطَلّ وَنَابُ

و لا نسبٌ بينَ الرجالِ قرابُ

فأحْوَطُ لِلإسْلامِ أنْ لا يُضِيعَني

و لي عنهُ فيهِ حوطةٌ ومنابُ

ولكنني راضٍ على كل حالةٍ

ليعلمَ أيُّ الحالتينِ سرابُ

و ما زلتُ أرضى بالقليلِ محبةً

لديهِ وما دونَ الكثيرِ حجابُ

وَأطْلُبُ إبْقَاءً عَلى الوُدّ أرْضَهُ،

و ذكرى منىً في غيرها وطلابُ

كذاكَ الودادُ المحضُ لا يُرْتَجى لَهُ

ثوابٌ ولا يخشى عليهِ عقابُ

وَقد كنتُ أخشَى الهجرَ والشملُ جامعٌ

و في كلِّ يومٍ لقيةٌ وخطابُ

فكيفَ وفيما بيننا ملكُ قيصرٍ

وَلِلبَحْرِ حَوْلي زَخْرَةٌ وَعُبَابُ

أمنْ بعدِ بذلِ النفسِ فيما تريدهُ

أُثَابُ بِمُرّ العَتْبِ حِينَ أُثَابُ

فَلَيْتَكَ تَحْلُو، وَالحَيَاةُ مَرِيرَةٌ،

وَلَيْتَكَ تَرْضَى وَالأنَامُ غِضَابُ

وَلَيْتَ الّذي بَيْني وَبَيْنَكَ عَامِرٌ

و بيني وبينَ العالمينَ خرابُ

إنّ في الأسْر لَصَبّاً

إنّ في الأسْرِ لَصَبّاً

دمعهُ في الخدِّ صبُّ

هُوَ في الرّومِ مُقِيمٌ،

ولهُ في الشامِ قلبُ

مستجدٌ لمْ يصادف

عِوَضاً مِمّنْ يُحِبّ

زماني كلهُ غضبٌ وعتبُ

زماني كلهُ غضبٌ وعتبُ

و أنتَ عليَّ والأيامُ إلبُ

وَعَيْشُ العالَمِينَ لَدَيْكَ سَهْلٌ،

و عيشي وحدهُ بفناكَ صعبُ

وَأنتَ وَأنْتَ دافعُ كُلّ خَطْبٍ،

معَ الخطبِ الملمِّ عليَّ خطبُ

إلى كَمْ ذا العِقَابُ وَلَيْسَ جُرْمٌ

و كمْ ذا الإعتذارُ وليسَ ذنبُ

فلا بالشامِ لذَّ بفيَّ شربٌ

وَلا في الأسْرِ رَقّ عَليّ قَلْبُ

فَلا تَحْمِلْ عَلى قَلْبٍ جَريحٍ

بهِ لحوادثِ الأيامِ ندبُ

أمثلي تقبلُ الأقوالُ فيهِ

وَمِثْلُكَ يَسْتَمِرّ عَلَيهِ كِذْبُ

جناني ما علمتَ ، ولي لسانٌ

يَقُدّ الدّرْعَ وَالإنْسانَ عَضْبُ

وزندي ، وهوَ زندكَ ، ليسَ يكبو

وَنَاري، وَهْيَ نَارُكَ، لَيسَ تخبو

و فرعي فرعكَ الزاكي المعلى

وَأصْلي أصْلُكَ الزّاكي وَحَسْبُ

لإسمعيلَ " بي وبنيهِ فخرٌ "

وَفي إسْحَقَ بي وَبَنِيهِ عُجْبُ

و أعمامي " ربيعةُ "و هيَ صيدٌ

وَأخْوَالي بَلصفَر وَهْيَ غُلْبُ

و فضلي تعجزُ الفضلاءُ عنهُ

لأنكَ أصلهُ والمجدُ تربُ

فدتْ نفسي الأميرَ ، كأنَّ حظي

وَقُرْبي عِنْدَهُ، مَا دامَ قُرْبُ

فَلَمّا حَالَتِ الأعدَاءُ دُوني،

"و أصبحَ بيننا بحرٌ و" دربُ

ظَلِلْتَ تُبَدّلُ الأقْوَالَ بَعْدِي

و يبلغني اغتيابكَ ما يغبُّ

فقلْ ما شئتَ فيَّ فلي لسانٌ

مليءٌ بالثناءِ عليكَ رطبُ

و عاملني بإنصافٍ وظلمٍ

تَجِدْني في الجَمِيعِ كمَا تَحِبّ

لَقَدْ عَلِمَتْ قَيْسُ بنُ عَيلانَ أنّنا

لَقَدْ عَلِمَتْ قَيْسُ بنُ عَيلانَ أنّنا

بنا يدركُ الثأرُ الذي قلَّ طالبهْ

وَأنّا نَزَعْنَا المُلْكَ مِن عُقْرِ دَارِهِ

و ننتهكُ القرمَ الممنعَ جانبهْ

وَأنّا فَتَكْنَا بِالأغَرّ ابنِ رَائِقٍ

عَشِيّةَ دَبّتْ بِالفَسَادِ عَقَاربُه

أخَذْنَا لَكُمْ بِالثّار ثَارِ عُمَارَةٍ ،

و قد نامَ لمْ ينهدْ إلى الثأرِ صاحبهْ

و زائرٍ حببهُ إغبابهُ

و زائرٍ حببهُ إغبابهُ

طَالَ عَلى رَغمِ السُّرَى اجتِنابُهُ

وافاهُ دهرٌ عصلٌ أنيابهُ

واجتابَ بطنانَ العجاجِ جابهُ

يدأبُ ما ردَّ الزمانُ دابهُ

وَأرْفَدَتْ خَيْرَاتُهُ وَرَابُهُ

وافى أمامَ هطلهِ ربابهُ

باكٍ حزينٌ ، رعدهُ انتحابهُ

جاءتْ بهِ ، مسيلةً أهدابهُ ،

رَائِحَةٌ هُبُوبُهَا هِبَابُهُ

ذيالةً ذلتْ لها صعابهُ

ركبُ حيًّا كانَ الصبا ركابهُ

حَتى إذَا مَا اتّصَلَتْ أسْبَابُهُ

وضربتْ على الثرى عقابهُ

و ضربتْ على الربا قبابهُ

وَامْتَدّ في أرْجَائِهِ أطْنَابُهُ

وَتَبِعَ انْسِجَامَهُ انْسِكَابُهُ

وَرَدَفَ اصْطِفَاقُهُ اضْطِرَابُهُ

كأنما قدْ حملتْ سحابهُ

ركنَ شروري واصطفتْ هضابهُ

جَلّى عَلى وَجْهِ الثرى كِتَابُهُ

وَشَرِقَتْ بِمَائِهَا شِعَابُهُ

و حليتْ بنورها رحابهُ

كَأَنَّهُ لمّا انْجَلَى مُنْجَابُهُ

و لمْ يؤمنْ فقدهُ إيابهُ

شيخٌ كبيرٌ عادهُ شبابهُ

و لا تصفنَّ الحربَ عندي فإنها

و لا تصفنَّ الحربَ عندي فإنها

طَعَامِيَ مُذْ بعْتُ الصِّبَا وَشَرَابي

و قد عرفتْ وقعَ المسامير مهجتي

و شققَ عنْ زرق النصول إهابي

وَلَجّجْتُ في حُلو الزّمَانِ وَمُرّهِ،

وَأنْفَقْتُ مِن عُمري بِغَيْرِ حِسابِ

منْ لي بكتمانِ هوى شادنِ

منْ لي بكتمانِ هوى شادنِ

عيني لهُ عونٌ على قلبي

عرَّضتُ صبري وسلوى لهُ

فاستشهدا في طاعةِ الحبِّ

لبسنا رداءَ الليلِ ، والليلُ راضعٌ

لبسنا رداءَ الليلِ ، والليلُ راضعٌ

إلى أنْ تَرَدّى رَأسُهُ بمَشِيبِ

و بتنا كغصني بانةٍ عابثتهما

إلى الصّبْحِ ريحَا شَمْأَلٍ وَجَنُوبِ

بحالٍ تردُّ الحاسدينَ بغيظهمْ

و تطرفُ عنا عينَ كلِّ رقيبِ

إلى أنْ بَدَا ضَوْءُ الصّبَاحِ كَأنّهُ

مَبَادِي نُصُولٍ في عِذَارِ خَضِيبِ

فَيَا لَيْلُ قَد فَارَقْتَ غَيرَ مُذَمَّمٍ،

و يا صبحُ قدْ أقبلتَ غيرَ حبيبِ

وَلَمّا أنْ جَعَلْتُ اللـ

وَلَمّا أنْ جَعَلْتُ اللـ

ـهَ لي ستراً منَ النوبِ

رَمَتْني كُلُّ حَادِثَةٍ

فأخطتني ولمْ تصبِ

مُسِيءٌ مُحْسِنٌ طوْراً وَطوْراً،

مُسِيءٌ مُحْسِنٌ طوْراً وَطوْراً،

فما أدري عدوي أم حبيبي

يقلبُ مقلةً ، ويديرُ طرفاً ،

بهِ عُرفَ البَريءُ مِنَ المُريبِ

وَبَعْضُ الظّالمِينَ، وَإِنْ تَنَاهَى ،

شَهِيُّ الظّلمِ، مُغْتَفَرُ الذّنُوبِ

ندبتَ لحسنِ الصبرِ قلبَ نجيبِ

ندبتَ لحسنِ الصبرِ قلبَ نجيبِ

و ناديتَ للتسليمِ خيرَ مجيبِ

وَلَمْ يَبْقَ مِني غَيْرَ قَلْبٍ مُشَيَّعٍ

و عودٍ على نابِ الزمانِ صليبِ

و قدْ علمتْ أمي بأنَّ منيتي

بحدِ سنانٍ أو بحدِ قضيبِ

كما علمتْ ؛ منْ قبلِ أنْ يغرقَ آبنها ،

بمَهْلِكِهِ في المَاءِ، أُمُّ شَبِيبِ

تحملتُ ، خوفَ العارِ ، أعظمَ خطةٍ

وَأمّلْتُ نَصْراً كَانَ غَيرَ قَرِيبِ

وَللعَارِ خَلّى رَبُّ غَسَّانَ مُلْكَهُ

وَفَارَقَ دِينَ اللَّهِ غَيْرَ مُصِيبِ

"ولمْ يرتغبْ في العيش"عيسى بنُ مصعبِ

وَلا خَفّ خوْفَ الحرْبِ قلبُ حبيبِ

" رضيتُ لنفسي " كانَ غيرَ موفقِ

ولم ترضَ نفسي كانَ غيرَ نحيبِ

يَا عيدُ مَا عُدْتَ بِمَحْبُوبِ

يَا عيدُ مَا عُدْتَ بِمَحْبُوبِ

علَى معنى القلبِ ، مكروبِ

يَا عيدُ قَد عُدْتَ علَى ناظِرٍ،

عن كلِ حسنٍ فيكَ ، محجوبِ

يَا وَحْشَةَ الدّارِ التي رَبُّهَا

أصْبَحَ في أثْوَابِ مَرْبُوبِ

قَدْ طَلَعَ العِيدُ عَلى أهْلِهِ

بوَجْهِ لا حُسْنٍ وَلا طِيبِ

ما لي وللدهرِ وأحداثِهِ

لقدْ رماني بالأعاجيبِ

رَدَدْتُ عَلى بَني قطنٍ بسَيْفي

رَدَدْتُ عَلى بَني قَطَنٍ بِسَيْفي

أسِيراً غَيْرَ مَرْجُوّ الإيَابِ

سَرَرْتُ بِفَكّهِ حَيَّيْ نُمَيْرٍ،

" وسؤتُ بني " ربيعةَ " و" الضبابِ

و ما أبغي سوى شكري ثواباً

و إنَّ الشكرَ من خير الثوابِ

فَهَلْ مُثْنٍ عَليّ فَتى نُمَيْرٍ

" بحلي عنهُ قدَّ بني " كلابِ

وَعِلّةٍ لمْ تَدَعْ قَلْباً بلا ألَمِ

وَعِلّةٍ لمْ تَدَعْ قَلْباً بلا ألَمِ

سَرَتْ إلى طَلَبِ العَلْيَا وَغَارِبِهَا

هَلْ تُقبَلُ النّفسُ عَن نَفسٍ فأفديَه

اللّهُ يَعْلَمُ ما تَغْلُو عَلَيّ بهَا

لئنْ وهبتكَ نفساً لا نظيرَ لها

فَمَا سَمَحْتُ بهَا إلاّ لِوَاهِبِهَا

فَعَلَ الجَميلَ وَلم يكُنْ من قَصْدِهِ

فَعَلَ الجَميلَ وَلم يكُنْ من قَصْدِهِ

فَقَبِلْتُهُ وَقَرَنْتُهُ بِذُنُوبِهِ

و لربَّ فعلٍ جاءني من فاعلٍ

أحمدتهُ وذممتُ منْ يأتي بهِ

فديتكَ ، ما الغدرُ منْ شيمتي

فديتكَ ، ما الغدرُ منْ شيمتي

قديماً وَلا الهَجرُ مِن مَذْهَبي

وهبني ؛ كما تدعي ؛ مذنباً

أما تقبلُ العذرَ منْ مذنبِ

وَأوْلى الرّجال، بعَتْبٍ، أخٌ

يكرُّ العتابَ على معتبِ

ألزمني ذنباً بلا ذنبِ

ألزمني ذنباً بلا ذنبِ

وَلَجّ في الهجْرَانِ وَالعَتْبِ

أحاولُ الصبرَ على هجرهِ

وَالصّبْرُ مَحْظُورٌ على الصّبّ

وَأكْتُمُ الوَجْدَ، وَقَدْ أصْبَحَتْ

عيناي عينين على القلبِ

قدْ كنتُ ذا صبرٍ وذا سلوةٍ

فاستشهدا في طاعةِ الحبِّ

ياليلُ ؛ ما أغفلَ ، عما بي ،

ياليلُ ؛ ما أغفلَ ، عما بي ،

حبائبي فيكَ وأحبابي

يا ليلُ ، نامَ الناسُ عنْ موضع

ناءٍ، عَلى مَضْجَعِهِ نَابي

هبتْ لهُ ريحٌ شاميةٌ

مَتّتْ إلى القَلْبِ بأسْبَابِ

أدتْ رسالاتِ حبيبٍ لنا

فَهمْتُهَا مِنْ بَيْنَ أصْحَابي

أبنيتي ، لا تحزني

أبنيتي ، لا تحزني

كلُّ الأنام إلى ذهابِ

أبنيتي ، صبراً جميـ

ـلاً للجَليلِ مِنَ المُصَاب

تُوحِي عَلَيّ بحَسْرَةٍ

من خَلفِ سترك وَالحجابِ

قُولي إذَا نَادَيْتِنِي،

و عييتِ عنْ ردِّ الجوابِ

زينُ الشبابِ ، " أبو فرا

سٍ، لمْ يُمَتَّعْ بالشّبَابِ

وَقفْتِني عَلى الأسَى وَالنّحِيبِ

وَقَفْتِني عَلى الأسَى وَالنّحِيبِ

مُقْلَتَا ذَلِكَ الغَزَالِ الرّبِيب

كلما عادني السلوُّ ؛ رماني

غنْجُ ألحاظِهِ بسَهْمٍ مُصِيبِ

فَاتِرَاتٍ قَوَاتِلٍ، فَاتِنَاتٍ،

فاتكاتٌ سهامها في القلوبِ

هَلْ لِصَبٍّ مُتَيَّمٍ مِنْ مُعِينٍ

و لداءٍ مخامرٍ منْ طبيبِ

أيّهَا المُذْنِبُ المُعَاتِبُ حَتى

خِلْتُ أنّ الذّنُوبَ كانَتْ دُنوبي

كنْ كما شئتَ منْ وصالٍ وهجرٍ

غِيَرُ قَلْبي عَلَيْكَ غَيرُ كَئِيبِ

لكَ جسمُ الهوى ، وثغرُ الأقاحي ،

و نسيمُ الصبا ، وقدُّ القضيبِ

قَد جَحدتَ الهَوَى وَلكِنْ أقَرّتْ

سِيمِيَاءُ الهَوَى وَلحظُ المُريبِ

أنا في حالتي وصالٍ وهجرٍ

من جوى الحبِّ في عذابٍ مذيبِ

بينَ قربٍ منغصٍ بصدودٍ

ووصالٍ منغصٍ برقيبِ

يَا خَلِيليَّ، خَلّياني وَدَمْعي

إنّ في الدّمْع رَاحَةَ المَكْرُوبِ

ما تقولانِ في جهادٍ محبٍ

وَقَفَ القَلْبَ في سَبِيلِ الحَبِيبِ

هلْ منْ الظاعنينَ مهدٍ سلامي

للفَتَى المَاجِدِ الأريبِ الأدِيبِ

ابنُ عَمّي الدّاني عَلى شَحطِ دارٍ

وَالقريبُ المَحَلّ غَيرُ قَريبِ

خالصُ الودِّ ، صادقُ الوعدِ ، أنسي

في حُضُورِي مُحافظٌ في مَغِيبي

كُلَّ يَوْمٍ يُهْدي إليّ ريَاضاً

جادها فكرهُ بغيثٍ سكوبِ

وارداتٍ بكل أنسٍ وبرٍّ

وَافِدَاتٍ بكُلّ حُسْنٍ وَطِيبِ

يابنَ نصرٍ " وقيتَ بؤسَ الليالي "

و صروفَ الردى ، وكربَ الخطوبِ

بَانَ صَبْرِي لمّا تَأمّلَ طَرْفي

بَانَ صَبري بيَين ظَبيٍ رَبيبِ

يا ضَاربَ الجَيش بي في وَسْطِ مَفرقهِ

يا ضَاربَ الجَيش بي في وَسْطِ مَفرقهِ

لقدْ ضربتَ بنفسِ الصارمِ الغضبِ

لا تَحرُزُ الدّرْعُ عَني نَفسَ صَاحبها

وَلا أُجيرُ ذِمَامَ البيضِ وَاليَلَبِ

و لا أعودُ برمحي غيرَ منحطمٍ

و لا أروحُ بسيفي غيرَ مختضبِ

حَتى تَقُولَ لَكَ الأعْداءُ رَاغِمَةً

" أضحى ابنُ عمكَ هذا فارسَ العربِ "

هيهاتَ لا أجحدُ النعماءَ منعمها

خلفتَ " يابنَ أبي الهيجاءِ " فيَّ أبي

يَا مَنْ يُحاذِرُ أنْ تَمضِي عَليّ يَدٌ

مَا لي أرَاكَ لبيضِ الهندِ تسمحُ بي

و أنتَ بي منْ أضنِّ الناسِ كلهم

فكيفَ تبذلني للسمرِ والقضبِ

ما زلتُ أجهلُهُ فضلاً وأنكره

نعمى ، وأوسعُ منْ عجبٍ ومنْ عجبِ

حتى رأيتكَ بينَ الناس مجتنباً

تُثني عَليّ بوَجْهٍ غَير مُتّئِبِ

فعندها ، وعيونُ الناس ترمقني

عَلِمْتُ أنّكَ لم تُخطىء ولم أصِبِ

وَمُعَوَّدٍ للكَرّ في حَمَس الوَغى ،

وَمُعَوَّدٍ للكَرّ في حَمَس الوَغَى ،

غادرتهُ ؛ والفرُّ منْ عاداتهِ

حَمَلَ القَنَاةَ عَلى أغَرَّ سَمَيْذَعٍ،

دَخّال مَا بَينَ الفَتى وَقَنَاتِهِ

لا أطْلُبُ الرّزْقَ الدّلِيلَ مَنَالُهُ

فَوْتُ الهَوَانِ أذلّ مِنْ مَفْنَاتِهِ

علقتْ بناتُ الدهرِ ، تطرقُ ساحتي

لما فضلتُ بنيهِ في حالاتهِ

فالحربُ ترميني ببيض رجالها

وَالدّهْرُ يَطرُقُني بسُودِ بَنَاتِهِ

و ما هوَ إلاَّ أنْ جرتْ بفراقنا

و ما هوَ إلاَّ أنْ جرتْ بفراقنا

يَدُ الدّهرِ حتى قيلَ، مَن هُوَ حارثُ

يُذكّرُنا بُعْدُ الفِرَاقِ عُهُودَهُ،

وَتِلْكَ عُهُودٌ قَدْ بَلِينَ رَثَائِثُ

ألا ليتَ قومي، والأماني مثيرةٌ ،

ألا ليتَ قومي، والأماني مثيرةٌ ،

شُهُودِيَ، وَالأرْوَاحُ غَيرُ لوَابثِ

غداةً تناديني الفوارسُ ؛ والقنا

تردُّ إلى حدِّ الظبا كلَّ ناكثِ

أحارثُ " إنْ لمْ تصدرِ الرمحَ قانياً "

"و لمْ تدفعِ الجلى فلستَ " بحارثِ

قامتْ إلى جارتها

قامتْ إلى جارتها

تشكو ، بذلٍ وشجا

أما ترينَ ، ذا الفتى

مَرّ بنَا مَا عَرّجَا

إنْ كانَ ما ذاقَ الهوى ،

فَلا نَجَوْتُ، إنْ نَجَا

جَارِيَةٌ، كَحْلاءُ، ممشوقةٌ،

جَارِيَةٌ، كَحْلاءُ، ممشوقَةٌ،

في صدرها حقان من عاجِ

شَجَا فُؤادي طَرْفُهَا السّاجي،

وكُلّ سَاجٍ طَرْفُهُ شَاجِ

" ألا أبلغْ سراةَ " بني كلابِ

" ألا أبلغْ سراةَ " بني كلابِ

إذا ندبتْ نوادبهمْ صباحا

جزيتُ سفيههمْ سوءاً بسوءٍ

فَلا حَرَجاً أتَيْتُ وَلا جُنَاحَا

قَتَلْتُ فَتى بَني عَمْرِو بن عَبْدٍ

وَأوْسَعَهُمْ عَلى الضِّيفَانِ سَاحَا

قَتَلْتُ مُعَوَّداً عَلَلَ العَشَايَا،

تخيرتِ العبيدُ لهُ اللقاحا

ولستُ أرى فساداً في فسادٍ

يَجُرّ عَلى طَرِيقَتِهِ صَلاحَا

" عجبتُ ، وقدْ لقيتَ بني " كلابٍ

" عجبتُ ، وقدْ لقيتَ بني " كلابٍ

و أرواحُ الفوارس تستباحُ

و كيفَ رددتُ غربَ الجيش عنهمْ

وَقَدْ أخَذَتْ مَآخِذَهَا الرّمَاحُ

أ " أبا العشائر " لا محلُّكَ دارسٌ

أ " أبا العشائر " لا محلُّكَ دارسٌ

" بينَ الضلوع ، ولا مكانكَ نازحُ

إني لأعلمُ بعدَ موتكَ أنهُ

مَا مَرّ لِلأسَرَاءِ يَوْمٌ صَالِحُ

وَقَدْ أرُوحُ، قريرَ العَينِ، مُغْتَبِطاً

وَقَدْ أرُوحُ، قَريرَ العَينِ، مُغْتَبِطاً

بصَاحِبٍ مِثْلِ نَصْلِ السّيفِ وَضّاح

عذبِ الخلائق ، محمودٍ طرائقهُ ،

عَفّ المَسامع، حتى يَرْغَمَ اللاّحي

لما رأى لحظاتي في عوارضهِ ،

فيما أشاءَمنَ الريحان والراح

لاثَ اللثَامَ عَلى وَجْهٍ أسِرَّتُهُ

كَأنّها قَمَرٌ أوْ ضَوءُ مِصْبَاح

عَدَتْني عَنْ زِيَارَتِكُمْ عَوَادٍ

عَدَتْني عَنْ زِيَارَتِكُمْ عَوَادٍ

أقَلُّ مَخُوفِهَا سُمْرُ الرّمَاح

وَإنّ لِقَاءَهَا لَيَهُونُ عِنْدي،

إذَا كَانَ الوُصُولُ إلى نَجَاح

وَلَكِنْ بَيْنَنَا بَيْنٌ وَهَجْرٌ

أأرجو بعدَ ذلكَ منْ صلاح

أقمتُ ، ولوْ أطعتُ رسيسَ شوقي

ركبتُ إليكَ أعناقَ الرياح

تَبَسّمَ، إذْ تَبَسّمَ، عَنْ أقاح

تَبَسّمَ، إذْ تَبَسّمَ، عَنْ أقَاح

وَأسْفَرَ، حِينَ أسفَرَ، عَن صَبَاح

وَأثحَفَنِي بِكَأسٍ مِنْ رُضَابِ،

و كأسٍ من جنى خدٍ وراح

فمنْ لألاءِ غرتهِ صباحي

وَمِنْ صَهْبَاءِ ريقَتِهِ اصْطِبَاحي

فَلا تَعْجَلْ إلى تَسْرِيحِ رُوحي

فَمَوْتي فِيكَ أيسَرُ مِنْ سَرَاحي

أغصُّ بذكرهِ ، أبداً ، بريقي

أغصُّ بذكرهِ ، أبداً ، بريقي

و أشرقُ منهُ بالماءِ القراح

و تمنعني مراقبةُ الأعادي

غُدُوّي للزّيارَةِ أوْ رَوَاحي

وَلَوْ أنّي أُمَلّكُ فِيهِ أمْرِي

ركبتُ إليهِ أعناقَ الرياحَ

لمْ أؤاخذكَ بالجفاءِ ، لأني ،

لمْ أؤاخذكَ بالجفاءِ ، لأني ،

وَاثِقٌ مِنْكَ بالوَفَاءِ الصّحِيحِ

فجميلُ العدوِّ غيرُ جميلٍ ،

و قبيحُ الصديقِ غيرُ قبيحِ

علونا " جوشنا " بأشدَّ منهُ ،

علونا " جوشنا " بأشدَّ منهُ ،

وَأثْبَتَ عِنْدَ مُشْتَجَرِ الرّماحِ

بجيشٍ جاشَ ، بالفرسان ، حتى

ظننتَ ، البرَّ بحراً منْ سلاحِ

و ألسنةٍ منَ العذباتِ حمرٍ

تخاطبنا بأفواهِ الرماحِ

و أروعَ ، جيشهُ ليلٌ بهيمٌ ،

و غرتهُ عمودٌ منْ صباحِ

صفوحٌ عندَ قدرتهِ كريمٌ

قليلُ الصفح ما بينَ الصفاحِ

فكانَ ثباتهُ للقلبِ قلباً

وَهَيْبَتُهُ جَنَاحاً للجَنَاحِ

أقْبَلَتْ كَالبَدْرِ تَسْعَى ،

أقْبَلَتْ كَالبَدْرِ تَسْعَى ،

غلساً ، نحوي ، براح

قُلْتُ أهْلاً بِفَتَاةٍ ،

حملتْ نورَ الصباح

عَلّلي بالكَأسِ مَنْ أصـ

بحَ منها غيرَ صاح

أيَلْحاني، عَلى العَبَرَاتِ، لاح

أيَلْحاني، عَلى العَبَرَاتِ، لاح

وَقد يَئسَ العَوَاذِلُ من صَلاحي

تَمَلَّكَني الهَوَى بَعدَ التّأبّي،

وَرَوَّضَنِي الهَوَى بَعْدَ الجِمَاح

أسَكْرَى اللّحظِ طَيّبَةَ الثّنَايا

أفترى اللحظِ ، جائلةَ الوشاح

رَمَتْني نحوَ داركِ كُلّ عَنْسٍ

وَصَلتُ لهَا غُدُوّيَ بالرّوَاح

تطاولَ فضلُ نسعتها ، وقلتْ

فُضُولُ زمَامِهَا، عِندَ المَرَاح

حَمَلنَ إلَيْكِ صَبّاً ذا ارْتِيَاحٍ

بقربكِ ، أو مساعدَ ذي ارتياح

أخا عشرينَ ، شيبَ عارضيهِ

مريضُ اللّحظِ في الحدق الصّحاح

نَزَحنَ مِن الرُّصَافَةِ عَامِدَاتٍ

أخَفّ الفَارِسِينَ إلى الصّيَاح

إذا مَا عَنّ لي أرَبٌ بأرْضٍ،

ركبتُ لهُ ، ضمينات النجاح

و لي عندَ العداةِ ، بكلِّ أرضٍ ،

دُيُونٌ في كَفَالاتِ الرّمَاح

إذا التفتْ عليَّ سراةُ قومي

وَلاقَينا الفوارسَ في الصَّباح

يَخِفّ بها إلى الغَمَرَاتِ طَوْدٌ

بناتِ السبق تحتَ بني الكفاح

تَكَدّرَ نَقْعُهُ، وَالجَوّ صَافٍ،

و أظلمَ وقتهُ ، واليومُ صاح

و كلُّ معذلٍ في الحيِّ آبٍ

على العذالِ ؛ عصاءُ اللواحي

دُيُونٌ في كَفَالاتِ الرّمَاح

دُيُونٌ في كَفَالاتِ الرّمَاح

وَأكْبَادٌ مُكَلّمَةُ النّوَاحي

و حزنٌ ، لا نفاذَ لهُ ؛ ودمعُ

يلاحي ، في الصبابةِ ، كلَّ لاح

أتَدْري مَا أرُوحُ بِهِ وَأغْدُو،

فَتَاةُ الحَيّ حَيّ بَني رَبَاح

ألا يَا هَذِهِ، هلْ مِنْ مَقِيلٍ

لِضِيفانِ الصّبَابَةِ، أوْ رَوَاح

فَلَوْلا أنْتِ، مَا قَلِقَتْ ركابي

فَتَاةُ الحَيّ حَيّ بَني رَبَاح

و منْ جراكِ ، أوطنتُ الفيافي

وَفِيكِ غُذِيتُ أَلْبَانَ اللِّقَاح

رَمَتْكِ مِنَ الشّآمِ بنَا مطَايا

قِصَارُ الخَطْوِ، دَامِيَةُ الصِّفَاح

تجولُ نسوعها ، وتبيتُ تسري

إلى غرّاءَ، جَائِلَةِ الوشَاح

إذا لمْ تشفَ ، بالغدواتِ ، نفسي

وَلا هَبّتْ إلى نَجْدٍ ريَاحي

يُلاحي، في الصّبَابَةِ، كُلّ لاح

وقدْ هبتْ لنا ريحُ الصباح

لَقَدْ أخَذَ السُّرَى وَاللَّيْلُ مِنّا،

فهلْ لكَ أن تريحَ بجوٍّ راح

فَقُلتُ لَهُمْ عَلى كُرْهٍ أريحوا

وَلا هَبّتْ إلى نَجْدٍ ريَاحي

إرَادَةَ أنْ يُقَالَ أبُو فِرَاسٍ،

عَلى الأصْحابِ، مأمونُ الجِماح

و كمْ أمرٍ أغالبُ فيهِ نفسي

ركبتُ ، مكانَ أدنى للنجاح

يُلاحي، في الصّبَابَةِ، كُلّ لاح

وَآسُو كُلّ خِلٍّ بالسّمَاح

وَإنّا غَيرُ أنْامٍ لِنَحْوي

جِمَامَ المَاءِ، وَالمَرْعَى المُبَاح

وَإنّا غَيرُ أنْامٍ لِنَحْوي

مَنِيعَ الدّار، وَالمَال المُرَاح

لأملاكِ البلادِ ، عليَّ ، طعنٌ

يحلُّ عزيمةَ الدرعِ الوقاح

و يومٍ ، للكماةِ بهِ اعتناقً ،

و لكنَّ التصافحَ بالصفاح

و ما للمالِ يروي عنْ ذويهِ

وَيُصْبِحُ في الرّعَادِيدِ الشّحَاحِ

لَنَا مِنْهُ، وإنْ لُوِيَتْ قَلِيلاً،

وَحُزْنٌ، لا نَفَادَ لَهُ، وَدَمْعٌ

أتَدْري مَا أرُوحُ بهِ وَأغْدُو،

تراهُ ، إذا الكماةُ الغلبُ شدوا

أشدَّ الفارسينِ إلى الكفاحِ

أتَاني مِنْ بَني وَرْقَاءَ قَوْلٌ

ألذُّ جنًى منَ الماءِ القراحِ

و أطيبُ منْ نسيمِ الروضِ حفتْ

بهِ اللذاتُ منْ روحٍ وراحَ

وَتَبْكي في نَوَاحِيه الغَوَادي

بأدمعها ، وتبسمُ عنْ أقاحِ

عتابكَ يابنَ عمٍ بغيرِ جرمٍ

وَإنّا غَيرُ بُخّالٍ لِنَحْمي

و ما أرضى انتصافاً منْ سواكمْ

وَأُغضي مِنكَ عَن ظُلْمٍ صُرَاحِ

أظَنّاً إنّ بَعْضَ الظّنّ إثْمٌ

أمَزْحاً رُبّ جِدٍّ في مُزَاحِ

إذا لمْ يَثْنِ غَرْبَ الظّنّ ظَنّ

بسطتُ العذرَ في الهجرِ المباحِ

أأثْرُكُ في رِضَاكَ مَدِيحَ قَوْمي

أُصَاحِبُ كُلّ خِلٍّ بالتّجَافي

و همْ أصلٌ لهذا الفرع طابتْ

وَكَمْ أمْرٍ أُغَالِبُ فِيهِ نَفْسي

بقاءُ البيضِ عمرُ الشملِ فيهم

و حطُّ السيفِ أعمارُ اللقاحِ

أعزُّ العالمينَ حمىً وجاراً ،

وَأكرَمُ مُسْتَغَاثٍ مُستَمَاح

أريتكَ يابنَ عمٍّ بأيِّ عذرٍ

عدوتَ عن الصوابِ ؛ وأنتَ لاح

وَإنّا غَيرُ بُخّالٍ لِنَحْمي

كفعلكَ ؛ أم بأسرتنا افتتاحي

وَهَلْ في نَظْمِ شِعري من طريفٍ

لمغدىً في مكانكَ ؛ أو مراح

أمِنْ كَعْبٍ نَشَا بَحْرُ العَطَايَا

و صاحبُ كلِ خلٍّ مستبيحِ

وَتَبْكي في نَوَاحِيه الغَوَادي

و هذا السيلُ منْ تلكَ الغوادي

و هذي السحبُ منْ تلكَ الرياحِ

وَآسُو كُلّ خِلٍّ بالسّمَاحِ

أفي مدحي لقومي منْ جناح

يُلاحي، في الصّبَابَةِ، كُلّ لاح

و منْ أضحى امتداحهمْ امتداحي

و لستُ ، وإنْ صبرتُ على الرزايا

ألا حي أسرتي ، وبهمْ ألاحي

و لو أني اقترحتُ على زماني

لكنتمْ ، يا " بني ورقا " اقتراحي

تَمَنَّيْتُمْ أنْ تَفْقِدُوني، وَإنّما

تَمَنَّيْتُمْ أنْ تَفْقِدُوني، وَإنّما

تَمَنَّيْتُمُ أنْ تُفْقِدُوا العِزَّ أصْيَدَا

أما أنا أعلى منْ تعدونَ همةً

وَإنْ كنتُ أدنَى مَن تَعُدّونَ موْلدَا

إلى الله أشْكُو عُصْبَةً من عَشِيرَتي

يسيئونَ لي في القول ،غيباً ومشهدا

و إنْ حاربوا كنتُ المجنَّ أمامهم

وَإنْ ضَارَبُوا كنتُ المُهَنّدَ وَاليَدَا

و إنْ نابَ خطبٌ ، أوْ ألمتْ ملمةٌ ،

جعلتُ لهمْ نفسي ، وما ملكتْ فدا

يودونَ أنْ لا يبصروني ، سفاهةً ،

وَلَوْ غِبتُ عن أمرٍ تَرَكْتُهُمُ سُدَى

فعالي لهمْ ، لوْ أنصفوا في جمالها

وَحَظٌّ لنَفسي اليَوْمَ وهَوَ لهمْ غَدا

فَلا تَعِدوني نِعمَةً، فَمَتى غَدَتْ

فَأهلي بهَا أوْلى وَإنْ أصْبَحُوا عِدَا

يا طولَ شَوْقيَ إن قالوا الرّحِيلُ غدا،

يا طولَ شَوْقيَ إن قالوا الرّحِيلُ غدا،

لا فَرّقَ اللّهُ فِيمَا بَيْنَنَا أبَدَا

يا منْ أصافيهِ في قربٍ وفي بعدِ

وَمَنْ أُخَالِصُهُ إنْ غَابَ أوْ شَهدَا

راعَ الفراقُ فؤاداً كنتَ تؤنسهُ

وَذّرّ بَينَ الجُفُون الدّمعَ والسُّهُدا

لا يُبْعِدِ اللّهُ شَخْصاً لا أرَى أنَساً

وَلا تَطِيبُ ليَ الدّنْيَا إذا بَعُدا

أضحى وأضحيتُ في سرٍ وفي علنٍ

أعدهُ والداً إذْ عدني ولدا

ما زالَ ينظمُ فيَّ الشعرَ مجتهداً

فضلاً وأنظمُ فيهِ الشعرَ مجتهدا

حَتى اعْتَرَفْتُ وَعَزّتْني فَضَائِلُهُ،

و فاتَ سبقاً وحازَ الفضلَ منفردا

إنْ قَصّرَ الجُهْدَ عَنْ إدْرَاكِ غايَتِه

فأعذرُ الناسِ منْ أعطاكَ ما وجدا

أبقى لنا اللهُ مولانا ؛ ولا برحتْ

أيّامُنَا، أبَداً، في ظِلّهِ جُدُدَا

لا يطرق النازلُ المحذورُ ساحتهُ

وَلا تَمُدّ إلَيْهِ الحَادِثَاتُ يَدَا

الحَمْدُ للّهِ حَمْداً دَائِماً أبَدا

أعطانيَ الدهرُ ما لمْ يعطهِ أحدا

أهْدَى إلَيّ صَبَابَةً وَكَآبَةً

أهْدَى إلَيّ صَبَابَةً وَكَآبَةً

فأعادني كلفَ الفؤادِ عميدا

إنَّ الغزالةَ والغزالةَ أهدتا

وَجْهَاً إليكَ، إذا طلعتَ، وَجِيدا

إلى اللَّهِ أشكُو مَا أرَى من عَشَائِرٍ

إلى اللَّهِ أشكُو مَا أرَى من عَشَائِرٍ

إذا ما دنونا زادَ جاهلهم بعدا

وَإنّا لَتَثْنِينَا عَوَاطِفُ حِلْمِنَا

عَلَيْهِمْ، وَإنْ ساءتْ طَرَائفُهمْ جِدّا

وَيَمْنَعُنَا ظُلْمَ العَشِيرةِ أنّنَا

إلى ضُرّهَا، لَوْ نَبتَغي ضُرّها، أهدَى

وَإنّا إذا شِئْنَا بِعَادَ قَبِيلَةٍ

جَعَلْنَا عِجالاً دُونَ أهلِهِمُ نجدَا

وَلَوْ عَرَفَتْ هذي العَشائرُ رُشْدَهَا

إذا جعلتنا دونَ أعدائها سدا

وَلَكِنْ أرَاهَا، أصْلَحَ الله حالَها

و أخلقها بالرشدِ - قدْ عدمتْ رشدا

إلى كَمْ نَرُدّ البيضَ عَنهُم صَوَادِياً

وَنَثني صُدورَ الخيل قد مُلئتْ حقدَا

وَنَغْلِبُ بِالحِلْمِ الحَمِيّةَ مِنْهُمُ

وَنَرْعَى رِجالاً لَيس نَرْعى لهم عهدَا

أخَافُ عَلَى نَفْسي وَلِلحَرْبِ سَوْرَةٌ

بَوَادِرَ أمْرٍ لا تُطِيقُ لَهَا رَدّا

و جولةَ حربٍ يهلكُ الحلمَ دونها

وصولةَ بأسٍ تجمعُ الحرَّ والعبدا

وَإنّا لَنَرْمي الجَهلَ بالجَهْلِ مَرّةً

إذا لمْ نَجِدْ مِنْهُ عَلى حَالَةٍ بُدّا

يا معجباً بنجومهِ

يا معجباً بنجومهِ

لا النحسُ منكَ ولا السعاده

اللَّهُ يُنْقِصُ مَا يَشَا

ءُ وَفي يَدِ اللَّهِ الزّيَادَة

دَعْ مَا أُرِيدُ وَمَا تُرِيـ

ـدُ، فَإنّ للَّهِ الإرَادَة

دعوناكَ ، والهجرانُ دونكَ ؛ دعوةً

دعوناكَ ، والهجرانُ دونكَ ؛ دعوةً

أتاكَ بها بقظانَ فكركَ لا البردُ

فَأصْبَحْتَ مَا بَينَ العَدْوّ وَبَيْنَنَا

تجاري بكَ الخيلُ المسومةُ الجردُ

أتَيْنَاكَ، أدْنَى مَا نُجِيبُكَ، جُهدنا،

فأهوَنُ سَيرِ الخيلِ من تَحتِنَا الشّدّ

بكلِّ ، نزاري أتتكَ بشخصهِ

عوائدُ منْ حاليكَ ليسَ لها ردُّ

نباعدهمْ وقتاً كما يبعدُ العدا

وَنُكْرِمُهُمْ وَقتاً كمَا يُكرَمُ الوَفدُ

وندنو دنواً لا يولدُ جرأةً

و نجفو جفاءً لا يولدهُ زهدُ

أفضتَ عليهِ الجودَ منْ قبلِ هذهِ

و أفضلُ منهُ ما يؤملهُ بعدُ

وَحُمْرِ سُيُوفٍ لا تَجِفّ لهَا ظُبىً

بأيدِي رجالٍ لا يُحَطّ لهَا لِبْدُ

و زرقٍ تشقُّ البردَ عنْ منهجِ العدا

و تسكنُ منهمْ أينما سكنَ الحقدُ

وَمُصْطَحَباتٍ قارَبَ الرّكضُ بَينَها

وَلَكِنْ بِهَا عَنْ غَيرها أبَداً بُعْدُ

نشردهمْ ضرباً كما شردَ القطا

و ننظمهمْ طعناً كما نظمَ العقدُ

لَئِنْ خَانَكَ المَقْدُورُ فِيمَا نَوَيْتَهُ

فما خانَكَ الرّكضُ المواصَلُ والجهدُ

تُعَادُ كمَا عُوّدْتَ، وَالهَامُ صَخْرُها،

وَيُبْنَى بهَا المَجدُ المُؤثَّلُ وَالحَمْدُ

ففي كفكَ الدنيا وشيمتكَ العلا

وَطَائِرُكَ الأعْلى وَكَوْكَبكَ السّعدُ

أيا عاتباً ، لا أحملُ ، الدهرَ ، عتبهُ

أيا عاتباً ، لا أحملُ ، الدهرَ ، عتبهُ

عليّ وَلا عِنْدِي لأنْعُمِهِ جَحْدُ

سأسكتُ إجلالاً لعلمكَ أنني

إذا لمْ تكنْ خصمي ليَ الحججُ اللدُّ

نَبْوَةُ الإدْلال لَيْسَتْ،

نَبْوَةُ الإدْلال لَيْسَتْ،

عِنْدَنَا، ذَنْباً يُعَدُّ

قُلْ لِمَنْ لَيسَ لهُ عَهْـ

ـدٌ، لَنَا عَهْدٌ وَعَقْدُ

جُمْلَةٌ تُغْني عَنِ النّقْـ

" ـصيلِ " مالي عنكَ بدُّ

إنْ تَغَيَّرْتَ فَمَا غُيّـ

ـرَ مِنّا لكَ عَهْدُ

عَطفتُ على عَمرو بن تغلِبَ بَعدَما

عَطفتُ على عَمرِو بن تغلِبَ بَعدَما

تَعَرّضَ مني جانِبٌ لهُمُ صَلْدُ

ولا خيرَ في هجرِ العشيرةِ لامرِيءٍ

يَرُوحُ عَلى ذَمّ العَشِيرَةِ أوْ يَغْدُو

وَلَكِنْ دُنُوٌّ لا يُوَلّدُ هِجْرَةً ،

وَهَجْرٌ رَفِيقٌ لا يُصَاحِبُهُ زُهْدُ

نباعدهمْ طوراً ؛ كما يبعدُ العدا ؛

وَنُكرمُهُمْ طَوْراً كمَا يُكرَمُ الوَفدُ

لقدْ كنتُ أشكو البعدَ منكَ وبيننا

لقدْ كنتُ أشكو البعدَ منكَ وبيننا

بلادٌ إذا ما شِئتُ قَرّبَها الوَخْدُ

" فكيفَ وفيما بيننا ملكُ " قيصرٍ

وَلا أمَلٌ يُحيي النّفُوسَ وَلا وَعدُ

هَل للفَصاحَةِ ، وَالسّمَا

هَل للفَصاحَةِ ، وَالسّمَا

حةِ والعلى عني محيدُ

إذْ أنتَ سيدي الذي

رَبّيْتَني وَأبي سَعِيدُ

في كلِّ يومٍ أستفيـ

ـدُ منَ العلاءِ ، وأستزيدُ

وَيَزِيدُ فيّ إذا رَأيْـ

ـتُكَ في النّدَى خُلُقٌ جَدِيدُ

دَعَوْتُكَ للجَفْنِ القَريحِ المُسَهّدِ

دَعَوْتُكَ للجَفْنِ القَريحِ المُسَهّدِ

لدَيّ، وَللنّوْمِ القَلِيلِ المُشَرّدِ

وَمَا ذاكَ بُخْلاً بِالحَيَاةِ، وَإنّهَا

لأوّلُ مَبْذُولٍ لأوّل مُجْنَّدِ

وَمَا الأسْرُ مِمّا ضِقْتُ ذرْعاً بحَمِلِهِ

و ما الخطبُ مما أنْ أقولَ لهُ قدِ

وَما زَلّ عَني أنّ شَخصاً مُعَرَّضاً

لنبل العدى ؛ إنْ لمْ يصبْ ؛ فكأن ْقدِ

وَلَكِنّني أخْتَارُ مَوْتَ بَني أبي

على صهواتِ الخيل ، غيرَ موسدِ

وَتَأبَى وَآبَى أنْ أمُوتَ مُوَسَّداً

بأيدي النّصَارَى مَوْتَ أكمَدَ أكبَدِ

نضوتُ على الأيام ثوبَ جلادتي ؛

ولكنني لمْ أنضُ ثوبَ التجلدِ

و ما أنا إلا بينَ أمرٍ، وضدهُ

يجددُ لي ، في كلِّ يومٍ مجددِ

فمِنْ حُسن صَبرٍ بالسّلامَةِ وَاعِدي،

ومنْ ريبِ دهرٍ بالردى ، متوعدي

أقلبُ طرفي بينَ خلٍّ مكبلٍ

وَبَينَ صَفِيٍّ بالحَدِدِ مُصفَّدِ

دَعَوْتُكَ، وَالأبْوَابُ تُرْتَجُ دونَنا،

فكُنْ خَيرَ مَدْعُوٍّ وَأكرَمَ مُنجِدِ

فمثلكَ منْ يدعى لكلّ عظيمةٍ

و مثليَ منْ يفدى بكلّ مسودِ

أناديكَ لا أني أخافُ منَ الردى

و لا أرتجي تأخيرَ يومٍ إلى غدِ

وَقَد حُطِّمَ الخَطّيّ وَاختَرَمَ العِدى

و فللَ حدُّ المشرفيِّ المهندِ

و لكنْ أنفتُ الموتَ في دارِغربةٍ ،

بأيدي النّصَارَى الغُلفِ مِيتَةَ أكمَدِ

فلا تتركِ الأعداءَ حولي ليفرحوا

وَلا تَقطع التّسآلَ عَني، وَتَقْعُدِ

وَلا تَقعُدنْ، عني، وَقد سيمَ فِديَتي،

فلستَ عن الفِعْلِ الكَريمِ بِمُقْعَدِ

فكمْ لكَ عندي منْ أيادٍ وأنعمٍ

رفعتَ بها قدري وأكثرتَ حسدي

تَشَبّثْ بها أكرُومَةً قَبْلَ فَوْتِهَا،

وَقُمْ في خلاصي صَادق العزْمِ وَاقعُدِ

فإنْ مُتُّ بَعدَ اليَوْمِ عابكَ مَهلكي

معابَ الزراريين ، مهلكَ معبدِ

هُمُ عَضَلُوا عَنهُ الفِدَاءَ فأصْبَحُوا

يهدونَ أطرافَ القريضِ المقصدِ

و لمْ يكُ بدعاً هلكهُ ؛ غيرَ أنهمْ

يُعَابُونَ إذْ سِيمَ الفِداءُ وَما فُدي

فَلا كانَ كَلبُ الرّوم أرأفَ مِنكُمُ

وَأرْغَبَ في كَسْبِ الثّنَاءِ المُخَلَّدِ

و لا يبلغ الأعداءُ أنْ يتناهضوا

وَتَقْعُدَ عَنْ هَذا العَلاءِ المُشَيَّدِ

أأضْحَوْا عَلى أسْرَاهُمُ بيَ عُوّداً،

وَأنْتُمْ عَلى أسْرَاكُمُ غَيرُ عُوّدِ

مَتى تُخلِفُ الأيّامُ مِثْلي لكُمْ فَتىً

طَويلَ نِجَادِ السَّيفِ رَحْبَ المُقَلَّدِ

مَتى تَلِدُ الأيّامُ مِثْلي لكُمْ فَتىً

شَدِيداً عَلى البأساءِ، غَيرَ مُلَهَّدِ

فإنْ تَفْتَدُوني تَفْتَدُوا شَرَفَ العُلا،

و أسرعَ عوادٍ إليها ، معوَّدِ

وَإنْ تَفْتَدُوني تَفْتَدُوا لِعُلاكُمُ

فتى غيرَ مردودِ اللسان أو اليدِ

يطاعنُ عنْ أعراضكمْ ؛ بلسانهِ

وَيَضْرِبُ عَنْكُمْ بالحُسَامِ المُهَنّدِ

فَمَا كُلّ مَنْ شَاءَ المَعَالي يَنَالُها،

و لاَ كلُّ سيارٍ إلى المجدِ يهتدي

أقِلْني أقِلْني عَثْرَةَ الدّهْرِ إنّهُ

رماني بسهمٍ ، صائبِ النصلِ ، مقصدِ

وَلَوْ لمْ تَنَلْ نَفسي وَلاءَكَ لمْ أكُنْ

لأوردَهَا، في نَصرِهِ، كُلّ مَوْرِدِ

وَلا كنتُ ألقى الألفَ زُرْقاً عُيُونُهَا

بسَبْعِينَ فِيهِمْ كُلّ أشْأَمَ أنكَدِ

فلاَ ، وأبي ، ما ساعدانِ كساعدٍ ،

وَلا وَأبي، ما سَيّدَانِ كَسَيّدِ

وَلا وَأبي، ما يَفْتُقُ الدّهْرُ جَانِباً

فَيَرْتُقُهُ، إلاّ بِأمْرٍ مُسَدَّدِ

و إنكَ للمولى ، الذي بكَ أقتدي ،

و إنك للنجمُ الذي بكَ أهتدي

وَأنتَ الّذِي عَرَّفْتَني طُرُقَ العُلا،

وَأنْتَ الّذِي أهْدَيْتَني كلّ مَقْصدِ

وَأنْتَ الّذي بَلّغْتَني كُلّ رُتْبَةٍ ،

مشيتُ إليها فوقَ أعناق حسدي

فَيَا مُلبسي النُّعمَى التي جَلّ قَدرُهَا

لَقَد أخلَقَتْ تِلكَ الثّيابُ فَجَدّدِ

ألمْ ترَ أني ، فيكَ صافحتُ حدها

وَفِيكَ شربتُ المَوْتَ غَيرَ مُصرَّدِ

يَقولونَ جَنّبْ عادَةً مَا عَرَفْتَها،

شَدِيدٌ عَلى الإنْسَان ما لمْ يُعَوَّدِ

فَقُلتُ أمَا وَاللَّهِ لا قَالَ قَائِلٌ

شَهدْتُ لهُ في الحَرْبِ ألأمَ مَشهَدِ

وَلَكِنْ سَألقَاهَا، فَإمّا مَنِيّةٌ

هيَ الظنُّ ، أو بنيانُ عزٍّ موطدِ

و لمْ أدرِ أنَّ الدهرَ في عددِ العدا؛

و أنَّ المنايا السودَ يرمينَ عنْ يدِ

بَقيتَ ابنَ عبد الله تُحمى من الرّدى ،

وَيَفْدِيكَ مِنّا سَيّدٌ بَعْدَ سَيّدِ

بعيشةِ مسعودٍ ؛ وأيامِ سالمٍ

و نعمةِ مغبوطٍ ؛ وحالِ محسدِ

ولأيحرمني اللهُ قربكَ إنهُ

مرادي منَ الدنيا ؛ وحظي ؛ وسؤددي

لمنْ جاهدَ الحسادَ أجرُ المجاهدِ

لمنْ جاهدَ الحسادَ أجرُ المجاهدِ

وَأعْجَزُ مَا حَاوَلْتُ إرْضَاءُ حَاسِدِ

و لمْ أرَ مثلي اليومَ أكثرُ حاسداً ؛

كأنّ قُلُوبَ النّاسِ لي قَلبُ وَاحِدِ

ألمْ يَرَ هذا النّاسُ غَيْرِيَ فاضِلاً

وَلَمْ يَظْفَرِ الحُسّادُ قَبلي بمَاجِدِ

أرى الغلَّ منْ تحتِ النفاق ، وأجتني

مِنَ العَسَلِ المَاذِيّ سُمّ الأسَاوِدِ

وَأصْبِرُ، مَا لَم يُحْسَبِ الصَّبْرُ ذِلّةً،

وَأَلْبَسُ، للمَذْمُومِ، حُلّة حَامِدِ

قليلُ اعتذارٍ ، منْ يبيتُ ذنوبهُ

طِلابُ المَعَالي وَاكتِسَابُ المَحامِدِ

و أعلمُ إنْ فارقتُ خلاً عرفتهُ ،

و حاولتُ خلاً أنني غيرُ واجدِ

وَهل غضَّ مني الأسرُ إذْ خفّ ناصري

و قلَّ على تلكَ الأمورِ مساعدي

ألا لا يُسَرّ الشّامِتُونَ، فَإنّهَا

مَوَارِدُ آبَائي الأولى ، وَمَوَارِدِي

و كمْ منْ خليلٍ ، حينَ جانبتُ زاهداً

إلى غَيرِهِ عَاوَدْتُهُ غَيرَ زَاهِدِ

وماكلُّ أنصاري من الناس ناصري

ولاَ كلَّ أعضادي،منَ الناس عاضدي

وَهَل نافعي إنْ عَضّني الدّهرُ مُفرَداً

إذا كانَ لي قومٌ طوالُ السواعدِ

وَهَلْ أنَا مَسْرُورٌ بِقُرْبِ أقَاربي

إذا كانَ لي منهمْ قلوبُ الأباعدِ

أيا جاهداً ، في نيلِ ما نلتُ منْ علاً

رويدكَ إني نلتها غيرَ جاهدِ

لَعَمْرُكَ، مَا طُرْقُ المَعَالي خَفِيّةٌ

وَلَكِنّ بَعضَ السّيرِ ليسَ بقَاصِدِ

و يا ساهدَ العينينِ فيما يريبني ،

ألا إنّ طَرْفي في الأذى غَيرُ سَاهِدِ

غفلتُ عنِ الحسادِ ، منْ غيرِ غفلةٍ ،

وَبتّ طَويلَ النّوْمِ عَنْ غَيْرِ رَاقِدِ

خليليَّ ، ما أعددتما لمتيمٍ

أسِيرٍ لَدى الأعداءِ جَافي المَرَاقِدِ

فريدٍ عنِ الأحبابِ صبٍّ ، دموعهُ

مثانٍ ، على الخدينِ ، غيرُ فرائدِ

إذا شِئتُ جاهَرْتُ العدوّ، وَلَمْ أبتْ

أُقَلّبُ فَكْري في وُجُوهِ المَكَائِدِ

صبرتُ على اللأواءِ ، صبرَ آبنِ حرةٍ ،

كثيرِ العدا فيها ، قليلِ المساعدِ

فطاردتُ، حتى أبهرَ الجريُ أشقري،

وضاربتُ حتى أوهنَ الضربُ ساعدي

و كنا نرى أنْ لمْ يصبْ ، منْ تصرمتْ

مَوَاقِفُهُ عَن مِثلِ هَذي الشّدائِدِ

جمعتُ سيوفَ الهندِ ، منْ كلِّ بلدةٍ ،

وَأعْدَدْتُ للهَيْجَاءِ كُلّ مُجَالِدِ

وأكثرْتُ للغَاراتِ بَيْني وَبَيْنَهُم

بناتِ البكيرياتِ حولَ المزاودِ

إذا كانَ غيرُ اللهِ للمرءِ عدةٌ ،

أتَتْهُ الرّزَايَا مِنْ وُجُوهِ الفَوَائِدِ

فَقد جَرّتِ الحَنفاءُ حَتفَ حُذَيْفَةٍ

و كانَ يراها عدةً للشدائدِ

وَجَرّتْ مَنَايَا مَالِكِ بن نُوَيْرَةٍ

" عقيلتهُ الحسناءُ ؛ أيامَ " خالدِ

وَأرْدى دُؤاباً في بُيُوتِ عُتَيْبَةٍ ،

أبوهُ وأهلوهُ ؛ بشدو القصائدِ

عسى اللهُ أنْ يأتي بخيرٍ ؛ فإنَّ لي

عوائدَ منْ نعماهُ ، غيَرَ بوائدِ

فكمْ شالني منْ قعر ظلماءَ لمْ يكنْ

ليُنقِذَني مِن قَعرِها حَشدُ حاشِدِ

فإنْ عدتُ يوماً ؛ عادَ للحربِ والعلا

وَبَذْلِ النّدى وَالجُودِ أكرَمُ عائِدِ

مَريرٌ عَلى الأعْدَاءِ، لكِنّ جارَهُ

إلى خَصِبِ الأكنافِ عَذبِ المَوَارِدِ

مُشْتَهًّى بأطْرَافِ النّهارِ وَبَيْنَهَا

لهُ مَا تَشْتَهّى ، مِنْ طَريفٍ وَتالِدِ

مَنَعتُ حِمى قَوْمي وَسُدتُ عَشيرَتي

وَقَلّدْتُ أهْلي غُرّ هَذِي القَلائِدِ

خَلائِقُ لا يُوجَدْنَ في كُلّ ماجِدِ،

وَلَكِنّهَا في المَاجِدِ ابن الأمَاجِدِ

سَلامٌ رائِحٌ، غادِ،

سَلامٌ رائِحٌ، غادِ،

عَلى سَاكِنَةِ الوَادِي

عَلى مَنْ حُبّهَا الهَادَي،

إذَا مَا زُرْتُ، وَالحَادِي

أُحِبُّ البَدْوَ، مِنْ أجْلِ

غزالٍ ، فيهمُ بادِ

ألاَ يا ربةَ الحلي ،

على العاتقِ والهادي

لقدْ أبهجتِ أعدائي

و قدْ أشمتِ حسادي

بِسُقْمٍ مَا لهُ شافٍ،

و أسرٍ ما لهُ فادِ

فَإخْوَاني وَنُدْمَاني

و عذاليَ عوادي

فَمَا أنْفَكّ عَنْ ذِكْراكِ

في نَوْمٍ وَتَسْهَادِ

بشوقٍ منكِ معتادِ

وَطَيْفٍ غَيْرِ مُعْتَادِ

ألا يا زائرَ الموصـ

ـل حيٍّ ذلكَ النادي

فَبالمَوْصِلِ إخْوَاني،

و بالموصلِ أعضادي

فَقُلْ لِلقَوْمِ يَأتُونِـ

ـي منْ مثنى وأفرادِ

فعندي خصبُ زوارٍ

و عندي ريُّ ورادِ

وَعِنْدِي الظّل مَمْدُوداً

عَلى الحَاضِرِ وَالبَادِي

ألا لا يَقْعُدِ العَجْزُ

بكمْ عنْ منهلِ الصادي

فَإنّ الحَجّ مَفْرُوضٌ

معَ الناقةِ والزادِ

كفاني سطوةَ الدهرِ

جوادٌ نسلُ أجوادِ

نماهُ خيرُ آباءٍ

نَمَتْهُمْ خَيْرُ أجْدَادِ

فَمَا يَصْبُو إلى أرْضٍ

سوى أرضي وروادي

وقاهُ اللهُ ، فيما عا

شَ، شَرَّ الزّمَن العَادِي

وَزِيَارَةٍ مِنْ غَيرِ وَعْدٍ،

وَزِيَارَةٍ مِنْ غَيرِ وَعْدٍ،

في لَيْلَةٍ طُرِقَتْ بِسَعْدِ

بَاتَ الحَبِيبُ إلى الصّبَا

ح معانقي خداً لخدِّ

يُمْتَارُ فيّ وَنَاظِرِي

ما شئتَ منْ خمرٍ وورد

قَدْ كَانَ مَولايَ الأجـ

ـلّ، فَصَيّرَتْهُ الرّاحُ عَبْدِي

لَيْسَتْ بِأوّل مِنّةٍ

مشكورةٍ للراحِ عندي

ليسَ جوداً عطيةٌ بسؤالِ

ليسَ جوداً عطيةٌ بسؤالِ

قدْ يهزُّ السؤالِ غيرَ الجوادِ

إنّما الجُودُ مَا أتَاكَ ابْتِدَاءً

لَمْ تَذُقْ فِيهِ ذلّةَ التّرْدَادِ

وَلَمَّا تَخَيَّرْتُ الأخِلاَّءَ لَمْ أجِدْ

وَلَمَّا تَخَيَّرْتُ الأخِلاَّءَ لَمْ أجِدْ

صبوراً على حفظِ المودةِ والعهدِ

سَلِيماً عَلى طَيّ الزّمَانِ وَنَشْرِهِ

أميناً على النجوى صحيحاً على البعدْ

وَلَمّا أسَاءَ الظّنَّ بي مَنْ جَعَلْتُهُ

و إيايَ مثلَ الكفِّ نيطتْ إلى الزندِ

حَمَلْتُ عَلى ضَنّي بهِ سُوءَ ظَنّه

و أيقنتُ أني بالوفا أمةٌ وحدي

و أني على الحالين في العتبِ والرضى

مقيمٌ على ما كان يعرفُ من ودي

وَإذَا يَئِسْتُ مِنَ الذّئـ

وَإذَا يَئِسْتُ مِنَ الذّئـ

ـوّ رَغِبْتُ في فَرْطِ البعَادِ

أرْجُو الشّهَادَةَ في هَوَا

كَ لأنّ قَلْبي في جِهَادِ

يَا جَاحِداً فَرْطَ غرَامي بهِ،

يَا جَاحِداً فَرْطَ غَرَامي بهِ،

وَلَسْتُ بالنّاسِي وَلا الجَاحِدِ

أقْرَرْتُ في الحُبّ بِمَا تَدّعِي،

فَلَسْتُ مُحْتَاجاً إلى شَاهِدِ

بتنا نعللُ منْ ساقٍ أغنَّ لنا

بتنا نعللُ منْ ساقٍ أغنَّ لنا

بخمرتين منَ الصهباءِ والخدِّ

كَأنّهُ حِينَ أذْكَى نَارَ وَجْنَتَهِ

سُكراً وَأسبَلَ فضْلَ الفاحِمِ الجَعدِ

يعدُّ ماءَ عناقيدٍ بطرتهِ

بمَاءِ مَا حَمَلَتْ خَدّاهُ من وَرْدِ

إني منعتُ منَ المسيسر إليكمُ

إني منعتُ منَ المسيسرِ إليكمُ

و لو استطعتُ لكنتُ أولَ واردِ

أشكو ، وهل أشكو جناية َ منعمٍ

غَيْظُ العَدُوّ بِهِ، وَكَبْتُ الحَاسِدِ

قدْ كنتَ عدَّتي التي أسطو بها

وَيَدي إذا اشتَدّ الزّمَانُ وَسَاعِدي

فَرُمِيتُ مِنْكَ بِغَيْرِ مَا أمّلْتُهُ

وَالمَرْءُ يَشْرَقُ بالزّلال البَارِدِ

لكنْ أتتْ دونَ السرورِ مساءةٌ

وَصَلَتْ لهَا كَفُّ القَبُول بِسَاعِدِ

فصبرتُ كالولدِ التقيِّ ؛ لبرهِ

أغضى على ألمٍ لضربِ الوالدِ

و نقضتُ عهداً كيفَ لي بوفائهِ

وَسُقيتُ دُونَكَ كأسَ هَمٍّ صَارِدِ

وداع دعاني ، والأسنةُ دونهُ ،

وداع دعاني ، والأسنةُ دونهُ ،

صببتُ عليهِ بالجوابِ جوادي

جنبتُ إلى مهري المنيعيِّ مهرهُ

وَجَلّلتُ مِنْهُ بالنَّجيعِ نِجَادي

قولاً لهذا السيدِ الماجدِ

قولاً لهذا السيدِ الماجدِ

قَوْلَ حَزِينٍ، مِثْلِهِ، فَاقِدِ

هَيهَاتَ ما في النّاسِ من خَالِدِ

لا بدَّ منْ فقدٍ ومنْ فاقدِ

كُنِ المُعَزّى ، لا المُعَزّى بهِ،

إنْ كانَ لا بدَّ منَ الواحدِ

أوصيكَ بالحزن ، لا أوصيكَ بالجلدِ

أوصيكَ بالحزن ، لا أوصيكَ بالجلدِ

جلَّ المصابُ عن التعنيفِ والفندِ

إني أجلكَ أن تكفى بتعزيةٍ

عَنْ خَيرِ مُفْتَقَدٍ، يا خَيرَ مُفتقِدِ

هيَ الرّزيّةُ إنْ ضَنّتْ بِمَا مَلَكَتْ

منها الجفونُ فما تسخو على أحدِ

بي مثلُ ما بكَ منْ جزنٍ ومنْ جزعِ

وَقَدْ لجَأتُ إلى صَبرٍ، فَلَمْ أجِدِ

لمْ يَنْتَقِصْنيَ بُعدي عَنْكَ من حُزُنٍ،

هيَ المواساةُ في قربٍ وفي بعدِ

لأشركنكَ في اللأواءِ إنْ طرقتْ

كما شركتكَ في النعماءِ والرغدِ

أبكي بدَمعٍ لهُ من حسرَتي مَدَدٌ،

وَأسْتَرِيحُ إلى صَبْرٍ بلا مَدَدِ

وَلا أُسَوِّعُ نَفْسي فَرْحَةً أبَداً،

و قدْ عرفتُ الذي تلقاهُ منْ كمدِ

وأمنعُ النومَ عيني أنْ يلمَّ بها

عِلْمَاً بإنّكَ مَوْقُوفٌ عَلى السُّهُدِ

يا مُفْرَداً بَاتَ يَبكي لا مُعِينَ لهُ،

أعانَكَ اللّهُ بالتّسْلِيمِ والجَلَدِ

هَذا الأسِيرُ المُبَقّى لا فِدَاءَ لهُ

يَفديكَ بالنّفسِ والأهْلينَ وَالوَلَدِ

وَلَقَدْ عَلِمْتُ، وَمَا عَلِمْـ

وَلَقَدْ عَلِمْتُ، وَمَا عَلِمْـ

ـتُ، وَإنْ أقمتُ على صُدودِهْ

أنّ الغَزَالةَ وَالغَزَا

لَ، لفِي ثَنَايَاهُ وَجِيدِهْ

لا تطلبنَّ دنوَّ دا

لا تطلبنَّ دنوَّ دا

رِ مِنْ حَبيبٍ، أوْ مُعَاشِرْ

أبقى لأسبابِ المودَّ

ةِ أنْ تَزورَ وَلا تُجَاورْ

الآنَ حينَ عرفتُ رشـ

الآنَ حينَ عرفتُ رشـ

ـدي ، فاغتديتُ على حذرْ

وَنَهَيْتُ نَفْسِي فَانْتَهَتْ،

وَزَجَرْتُ قَلْبي فَانْزَجَرْ

وَلَقَدْ أقَامَ، عَلى الضّلا

لَةِ، ثمّ أدْعَنَ، وَاسْتَمَرّ

هيهاتَ ، لستُ " أبا فرا

س " إنْ وفيتُ لمنْ غدرْ

إنْ زُرْتُ «خَرْشَنَةً» أسِيرَا

إنْ زُرْتُ «خَرْشَنَةً» أسِيرَا

فَلَكَمْ أحَطْتُ بها مُغِيرا

وَلَقَدْ رَأيْتُ النّارَ تَنْـ

ـتَهبُ المَنَازِلَ وَالقُصُورَا

وَلَقَدْ رَأيْتُ السّبْيَ يُجْـ

ـلبُ نحونا حوًّا ، وحورا

نَخْتَارُ مِنْهُ الغَادَةَ الـ

ـحسناءَ ، والظبيَ الغريرَا

إنْ طالَ ليلي في ذرا

كِ فقدْ نعمتُ بهِ قصيرا

و لئنْ لقيتُ الحزن فيـ

ـكَ فقدْ لقيتُ بكِ السرورا

وَلَئِنْ رُمِيتُ بحادِثٍ،

فلألفينَّ لهُ صبورا

صبراً لعلَّ اللهَ يفـ

ـتحُ بعدهُ فتحاً يسيراً

منْ كانَ مثلي لمْ يبتْ

إلاّ أسِيراً، أوْ أمِيرا

لَيْسَتْ تَحُلّ سَرَاتُنَا

إلا الصدورَ أو القبورا

إذا شِئتَ أنْ تَلقى أُسُوداً قَسَاورا،

إذا شِئتَ أنْ تَلقى أُسُوداً قَسَاورا،

لتُعماهُمُ الصّفوُ الذي لن يُكَدَّرَا

يلاقيكَ ، منا ، كلُّ قرمٍ ، سميذعٍ ،

يطاعنُ حتى يحسبَ الجونُ أشقراً

بدَوْلَةِ سَيْفِ الله طُلْنَا عَلى الوَرَى

وفي عزهِ صلنا على منْ تجبرا

قصدنا على الأعداءِ ، وسطَ ديارهمْ

بضَرْبٍ يُرَى من وَقْعِهِ الجوّ أغْبَرَا

فَسَائِلْ كِلاباً يَوْمَ غَزْوةِ بَالِسٍ

ألم يتركوا النسوانَ في القاعِ حسراً

وَسائِلْ نُمَيراً، يَوْمَ سَارَ إلَيْهِمُ،

ألمْ يُوقِنُوا بالمَوْتِ، لمَا تَنَمّرَا

وَسائِلْ عُقَيلاً، حينَ لاذتْ بتَدْمُرٍ،

ألمْ نقرها ضرباً يقدُّ السنوَّرا

وَسائِلْ قُشَيراً، حينَ جَفّتْ حُلُوقُها،

ألمْ نسقها كأساً ، من الموتِ ، أحمرا

وَفي طَيىءٍ، لمّا أثَارتْ سُيُوفُهُ

كماتهمُ ، مرأى لمنْ كانَ مبصرا

وَكَلْبٌ غَداةَ استَعصَموا بجِبالهِمْ،

رماهمْ بها، شعثاً، شوازب ، ضمَّرا

فأشبعَ منْ أبطالهمْ كلَّ طائرٍ ،

وَذِئبٍ غَدا يَطْوي البَسِيطةَ أعْفَرَا

إرْثِ لِصبٍّ فِيك قَدْ زِدْتَهُ،

إرْثِ لِصبٍّ فِيك قَدْ زِدْتَهُ،

عَلى بَلايَا أسْرِهِ، أسْرَا

قدْ عدمَ الدنيا ولذاتها ؛

لَكِنّهُ مَا عَدِمَ الصّبْرا

فهوَ أسيرُ الجسمِ في بلدةٍ ،

وهوَ أسيرُ القلبِ في أخرى

وَشَادِنٍ، من بَني كِسرَى ، شُغِفْتُ بهِ

وَشَادِنٍ، من بَني كِسرَى ، شُغِفْتُ بهِ

لَوْ كانَ أنْصَفَني في الحُبّ مَا جَارَا

إنْ زارَ قصَّر ليلي في زيارتهِ

وَإنْ جَفَاني أطَالَ اللّيْلَ أعْمَارَا

كأنّما الشّمسُ بي في القَوْسِ نازلَةٌ

إنْ لم يَزُرْني وَفي الجَوْزَاءِ إنْ زَارَ

و كنتُ ، إذا ما ساءني ، أو أساءني

و كنتُ ، إذا ما ساءني ، أو أساءني

لطفتُ بقلبي أوْ يقيمَ لهُ عذرا

وَأكْرَهُ إعْلامَ الوُشَاةِ بهَجْرِهِ

فأعتبهُ سراً ، وأشكرهُ جهراً

وَهَبْتُ لِضَنّي سُوءَ ظَنّي، ولَم أدَع،

عَلى حَالِهِ، قَلبي يُسِرّ لهُ شَرّا

دَعِ العَبَرَاتِ تَنهَمِرُ انْهمَارَا،

دَعِ العَبَرَاتِ تَنهَمِرُ انْهمَارَا،

و نارَ الوجدِ تستعرُ استعارا

أتطفأُ حسرتي ، وتقرُّ عيني ،

و لمْ أوقدْ ، معَ الغازينَ ، نارا

رأيتُ الصبرَ أبعدَ ما يرجَّى ،

إذا ما الجَيْشُ بالغَازِينَ سَارَا

وَأعْدَدْتُ الكَتَائِبَ مُعْلَماتٍ

تنادي ، كلَّ آنٍ ، بي سعارا

وَقَدْ ثَقفْتُ للهَيْجَاءِ رُمْحي،

وَأضْمَرْتُ المَهَاري والمِهَارَا

و كانَ إذا دعانا الأمرُ حفَّتْ

بِنَا الفِتْيَانُ، تَبتَدِرُ ابْتِدَارَا

بخيلٍ لاَ تعاندُ منْ عليها ،

وَقَوْمٍ لا يَرَوْنَ المَوْتَ عَارَا

وراءَ القافلينَ بكلِّ أرضٍ ،

وَأوَّلُ مَنْ يُغِيرُ، إذا أغَارَا

ستذكرني ، إذا طردتْ ، رجالٌ ،

دفقتُ الرمحَ بينهمُ مرارا

و أرضٌ ، كنتُ أملؤها خيولاً ،

و جوٍّ ، كنتُ أرهقهُ غبارا

لَعَلّ الله يُعْقِبُني صَلاحاً

قويماً ، أو يقليني العثارا

فأشفي منْ طعانِ الخيلِ صدراً

وَأدركُ من صُرُوفِ الدّهرِ ثَارَا

أقمتُ على " الأمير " ، وكنتُ ممنْ

يعزُّ عليهِ فرقتهُ ، اختيارا

إذا سارَ " الأميرُ " ، فلا هدوا

لنفسي أو يؤوبَ ، ولا قرارا

أكابدُ بعدهُ همًّا ، وغمًّا ،

و نوماً ، لا ألذُّ به غرارا

وَكُنْتُ بِهِ أَشَدّ ذَوِيّ بَطشاً،

وَأَبْعَدَهُم، إذا رَكِبُوا، مَغَارَا

أَشُقّ، وَرَاءهُ، الجَيشَ المُعَبّا،

و أخرقُ ، بعدهُ ، الرهجَ المثارا

إذَا بَقِيَ الأَمِيرُ قَرِيرَ عَيْنٍ

فديناهُ ، اختياراً ، لا اضطرار

أبٌ برٌّ ، ومولى ، وابنُ عمٍ ،

و مستندٌ ، إذا ما الخطبُ جارا

يَمُدّ عَلى أكَابرنَا جَنَاحاً،

و يكفلُ ، في مواطننا ، الصغارا

أراني اللهُ طلعتهُ ، سريعاً ،

وَأَصْحَبَهُ السّلامَةَ ، حَيثُ سَارَا

وَبَلّغَهُ أَمَانِيَهُ جَمِيعاً،

و كانَ لهُ منَ الحدثانِ جارا

وَمَا نِعمَةٌ مَشكورَةٌ، قَد صَنَعْتُها

وَمَا نِعمَةٌ مَشكورَةٌ، قَد صَنَعْتُها

إلى غَيرِ ذي شُكْرٍ، بمَانِعَتي أُخرَى

سآتي جميلاً ، ما حييت ، فإنني

إذا لمْ أُفِدْ شكراً، أَفَدْتُ بِهِ أَجْرَا

إنْ لمْ تجافِ عن الذنو

إنْ لمْ تجافِ عن الذنو

بِ ، وجدتها فينا كثيره

لٰكِنّ عَادَتَكَ الجَمِيـ

ـلَةَ أنْ تَغُضّ عَلى بَصِيرَهْ

لقدْ نافسني الدهرُ

لقدْ نافسني الدهرُ

بتأخيري عن الحَضْرَة

فَمَا ألْقَى مِنَ العِلّـ

ـةِ ما ألقى من الحَسْرَهْ

وَجُلّنَارٍ مُشْرِق،

وَجُلّنَارٍ مُشْرِقٍ،

عَلى أعَالي شَجَرَهْ

كأنَّ في رؤوسهِ ،

أصْفَرَهُ، وَأحْمَرَهْ

قُرَاضَةً مِنْ ذَهَبٍ

في خرقٍ معصفره

و قوفكَ في الديار عليكَ عارٌ ،

و قوفكَ في الديارِ عليكَ عارٌ ،

و قدْ ردَّ الشبابُ المستعارُ

أبعدَ الأربعينَ محرماتٌ

.. تمادٍ في الصبابةِ ، واغترارُ

نزعتُ عن الصبا ، إلاّ بقايا ،

يحفدها ، على الشيبِ ، العقارُ

وَقَالَ الغَانِيَاتُ «سَلا، غُلاماً،

" فكيفَ بهِ ، وقدْ شابَ العذارُ

و ما أنسى الزيارةَ منكِ ، وهناً ،

" و موعدنا " معانٌ" و" الحيارُ

وَطَالَ اللّيلُ بي، وَلَرُبّ دَهْرٍ

نعمتُ بهِ ، لياليهِ قصارُ

و ندماني السريعُ إلى لقائي ،

على عجلٍ ، وأقداحي الكبارُ

عشقتُ بها عواريَّ الليالي

أحقُّ الخيلِ بالركضِ المعارُ "

وَكَمْ مِنْ لَيْلَةٍ لمْ أُرْوَ مِنْهَا

حننتُ لها ، وأرقني ادكارُ

قَضَاني الدَّينَ مَاطِلُهُ، وَوَافى ،

إليَّ بها ، الفؤادُ المستطارُ

فبتُّ أعلُّ خمراً منْ رضابٍ

لها سكرٌ وليسَ لها خمارُ

إلى أنْ رقَّ ثوبُ الليلِ عنَّا

وقالتْ " قمْ فقدْ بردَ السوارُ

وَوَلّتْ تَسْرُقُ اللّحَظَاتِ نحوِي

عَلى فَرَقٍ كَمَا التَفَتَ الصُّوَارُ

دنا ذاكَ الصباحُ ، فلستُ أدري

أشَوْقٌ كَانَ مِنْهُ أمْ ضِرَارُ

وَقَد عَادَيتُ ضَوْءَ الصّبحِ حتى

لِطَرْفي، عَنْ مَطَالِعِهِ، ازْورَارُ

و مضطغنٍ يراودُ فيَّ عيباً

سَيَلْقَاهُ، إذا سُكِنَتْ وَبَارُ

وَأحْسِبُ أنّهُ سَيَجُرّ حَرْباً

عَلى قَوْمٍ ذُنُوبُهُمُ صِغَارُ

، " كما خزيتْ بـ "راعيها " " نميرٌ

" وجرَّ على "بني أسدٍ" " يسارُ

وَكَمْ يَوْمٍ وَصَلْتُ بفَجْرِ لَيْلٍ

كأنَّ الركبَ تحتهما صدارُ

إذا انْحَسَرَ الظّلامُ امْتَدّ آلٌ

كأنا درهُ ، وهوَ البحارُ

يَمُوجُ عَلى النّوَاظِرِ، فَهْوَ مَاءٌ

و يلفحُ بالهواجر فهو نارُ

إذا مَا العِزّ أصْبَحَ في مَكَانٍ

سموتُ لهُ، وإنْ بعدَ المزارُ

مقامي ، حيثُ لا أهوى ، قليلٌ

ونومي ، عندَ منْ أقلي غرارُ

أبَتْ لي هِمّتي، وَغِرَارُ سَيْفي،

وَعَزْمي، وَالمَطِيّةُ، وَالقِفَارُ

وَنَفْسٌ، لا تُجَاوِرُهَا الدّنَايَا،

وَعِرْضٌ، لا يَرفّ عَلَيْهِ عَارُ

وَقَوْمٌ، مِثْلُ مَن صَحِبوا، كِرَامٌ

وَخَيلٌ، مِثْلُ من حَملتْ، خيارُ

و كمْ بلدٍ شتتناهنَّ فيهِ

ضُحىً ، وَعَلا مَنَابرَهُ الغُبَارُ

وَخَيلٍ، خَفّ جَانِبُهَا، فَلَمّا

ذُكِرْنَا بَيْنَهَا نُسِيَ الفِرَارُ

و كمْ ملكٍ ، نزعنا الملكَ عنهُ ،

و جبارٍ ، بها دمهُ جبارُ

وَكُنّ إذا أغَرْنَا عَلى دِيَارٍ

رجعنَ ، ومنْ طرائدها الديارُ

فَقَدْ أصْبَحْنَ وَالدّنْيَا جَمِيعاً

لنا دارٌ ، ومنْ تحويهِ جارُ

إذا أمْسَتْ نِزَارُ لَنَا عَبيداً

" فإنَّ الناسَ كلهمُ " نزارُ

وَيَدٍ يَرَاهَا الدّهْرُ غَيْرَ دَمِيمَةٍ ،

وَيَدٍ يَرَاهَا الدّهْرُ غَيْرَ دَمِيمَةٍ ،

تمحو إساءتهُ إليَّ وتغفرُ

أهدتْ إليَّ مودةً منْ صاحبٍ

تزكو المودةُ في ثراهُ ، وتثمرُ

علقتْ يدي منهُ بعلق مضنةٍ

مِمّا يُصَانُ عَلى الزّمَانِ وَيُدْخَرُ

إني عليكَ " أبا حصينٍ "، عاتبٌ

و الحرُّ يحتملُ الصديقَ ، ويصبرُ

وَإذا وَجَدْتُ عَلى الصّدِيقِ شكَوْتُهُ

سِرّاً إلَيْهِ وَفي المَحَافِلِ أشْكُرُ

مَا بَالُ شِعْرِي لا تَرُدّ جَوَابَهُ

سَحْبَانُ عِنْدَكَ بَاقِلٌ، لا أعذُرُ

كَأنّمَا المَاءُ عَلَيْهِ الجِسْرْ

كَأنّمَا المَاءُ عَلَيْهِ الجِسْرُ

دَرْجُ بَيَاضٍ خُطّ فيهِ سَطْرُ

كأننا ، لمَّا استتبَّ العبرُ،

أسرةُ " موسى " يومَ شقَّ البحرُ

قدْ عرفْنا مغزاكَ ، يا عيارُ

قدْ عرفنا مغزاكَ ، يا عيارُ

وَتَلَظّتْ، كمَا أرَدْتَ، النّارُ

لم أزلْ ثابتاً على الهجرِ حتى

خفَّ صبري ، وقلّتِ الأنصارِ

وَإذَا أحْدَثَ الحَبِيبَانِ أمْراً

كانَ فيهِ على المحبِّ الخيارُ

أيا أمَّ الأسير ، سقاكِ غيثٌ ،

أيا أمَّ الأسير ، سقاكِ غيثٌ ،

بكُرْهٍ مِنْكِ، مَا لَقِيَ الأسِيرُ

أيا أمَّ الأسير ، سقاكِ غيثٌ ،

تَحَيّرَ، لا يُقِيم وَلا يَسِير

أيا أمَّ الأسير ، سقاكِ غيثٌ ،

إلى منْ بالفدا يأتي البشيرُ

أيا أمَّ الأسير ، لمن تربى

وقدْ متِّ ، الذوائبُ والشعورُ

إذا ابنكِ سارَ في برٍ وبحرٍ ،

فمنْ يدعو لهُ ، أو يستجيرُ

حرامٌ أن يبيتَ قريرَ عينٍ

ولومٌ أنْ يلمَّ بهِ السرورُ

تَحَيّرَ، لا يُقِيم وَلا يَسِير

وَلا وَلَدٌ، لدَيْكِ، وَلا عَشِير

و غابَ حبيبُ قلبكِ عنْ مكانٍ ،

مَلائِكَةُ السّمَاءِ بِهِ حُضور

لِيَبْكِكِ كُلُّ يَوْمٍ صُمتِ فيهِ

مُصَابِرَةً وَقَد حَمِيَ الهَجِير

لِيَبْكِكِ كُلّ لَيلٍ قُمْتِ فيهِ

إلى أنْ يبتدي الفجرُ المنيرُ

لِيَبْكِكِ كُلّ مُضْطَهَدٍ مَخُوفٍ

أجرتيهِ ، وقدْ قلَّ المجيرُ

لِيَبْكِكِ كُلّ مِسكِينٍ فَقِيرِ

أغَثْتِيهِ، وَمَا في العَظْمِ زير

أيا أماهُ ، كمْ همٍّ طويلٍ

مضى بكِ لمْ يكنْ منهُ نصيرُ

أيا أماهُ ، كمْ سرٍّمصونٍ

بقلْبكِ، مَاتَ ليسَ له ظُهُور

أيا أماهُ ، كمْ بشرى بقربي

أتَتْكِ، وَدُونَها الأجَل القَصِير

إلى منْ أشتكي ولمنْ أناجي ،

إذا ضاقتْ بما فيها الصدورُ

بأيّ دُعَاءِ دَاعِيَةٍ أُوَقّى

بأيِّ ضياءِ وجهٍ أستنيرُ

وَقَدْ مُتِّ، الدّوَائِب والشّعُورِ

بمَنْ يُسْتَفْتَح الأمْر العَسِير

نُسلّى عنكَ أنا عنْ قليلٍ ،

إلى ما صرتِ في الأخرى ، نصيرُ

أرَاكَ عَصِيَّ الدّمع شِيمَتُكَ الصّبرُ،

أرَاكَ عَصِيَّ الدّمع شِيمَتُكَ الصّبرُ،

أما للهوى نهيٌّ عليكَ ولا أمرُ

بلى أنا مشتاقٌ وعنديَ لوعةٌ ،

ولكنَّ مثلي لا يذاعُ لهُ سرُّ

إذا الليلُ أضواني بسطتُ يدَ الهوى

وأذللتُ دمعاً منْ خلائقهُ الكبرُ

تَكادُ تُضيِءُ النّارُ بينَ جَوَانِحِي

إذا هيَ أذْكَتْهَا الصّبَابَةُ والفِكْرُ

معللتي بالوصل ، والموتُ دونهُ ،

إذا مِتّ ظَمْآناً فَلا نَزَلَ القَطْرُ

حفظتُ وضيعتِ المودةَ بيننا

و أحسنَ ، منْ بعض الوفاءِ لكِ ، العذرُ

و ما هذهِ الأيامُ إلا صحائفٌ

لأحرفها ، من كفِّ كاتبها بشرُ

بنَفسي مِنَ الغَادِينَ في الحَيّ غَادَةً

هوايَ لها ذنبٌ ، وبهجتها عذرُ

تَرُوعُ إلى الوَاشِينَ فيّ، وإنّ لي

لأدْناً بهَا، عَنْ كُلّ وَاشِيَةٍ ، وَقرُ

بدوتُ ، وأهلي حاضرونَ ، لأنني

أرى أنَّ داراً ، استِ من أهلها ، قفرُ

وَحَارَبْتُ قَوْمي في هَوَاكِ، وإنّهُمْ

وإيايَ ، لولا حبكِ ، الماءُ والخمرُ

فإنْ كانَ ما قالَ الوشاةُ ولمْ يكنْ

فَقَد يَهدِمُ الإيمانُ مَا شَيّدَ الكُفرُ

وفيتُ ، وفي بعضِ الوفاءِ مذلةٌ

لآنسةٍ في الحي شيمتها الغدرُ

وَفُورٌ، وَرَيْعَانُ الصِّبَا يَسْتَفِزّها،

فتأرنُ ، أحياناً ، كما يأرنُ المهرُ

تسائلني " منْ أنتَ " ، وهي عليمةٌ ،

وَهَلْ بِفَتىً مِثْلي عَلى حَالِهِ نُكرُ

فقلتُ ، كما شاءتْ ، وشاءَ لها الهوى

قَتِيلُكِ قالتْ أيّهُمْ فهُمُ كُثْرُ

فقلتُ لها " لو شئتِ لمْ تتعنتي ،

وَلَمْ تَسألي عَني وَعِنْدَكِ بي خُبرُ

فقالتْ " لقد أزرى بكَ الدهرُ بعدنا

فقلتُ "معاذَ اللهِ بلْ أنت لا الدهرُ،

وَما كانَ للأحزَان، لوْلاكِ، مَسلكٌ

إلى القلبِ؛ لكنَّ الهوى للبلى جسرُ

وَتَهْلِكُ بَينَ الهَزْلِ والجِدّ مُهجَةٌ

إذا مَا عَداها البَينُ عَذّبَها الهَجْرُ

فأيقنتُ أنْ لا عزَّ ، بعدي ، لعاشقٍ ؛

وَأنُّ يَدِي مِمّا عَلِقْتُ بِهِ صِفْرُ

وقلبتُ أمري لا أرى لي راحةً ،

إذا البَينُ أنْسَاني ألَحّ بيَ الهَجْرُ

فَعُدْتُ إلى حكمِ الزّمانِ وَحكمِها،

لَهَا الذّنْبُ لا تُجْزَى به وَليَ العُذْرُ

كَأني أُنَادي دُونَ مَيْثَاءَ ظَبْيَةً

على شرفٍ ظمياءَ جللها الذعرُ

تجفَّلُ حيناً ، ثم تدنو كأنما

تنادي طلا ـ، بالوادِ ، أعجزهُ الحضرُ

فلا تنكريني ، يابنةَ العمِّ ، إنهُ

لِيَعرِفُ مَن أنكَرْتِهِ البَدْوُ وَالحَضْرُ

ولا تنكريني ، إنني غيرُ منكرٍ

إذا زلتِ الأقدامِ ؛ واستنزلَ النضرُ

وإني لجرارٌ لكلِّ كتيبةٍ

معودةٍ أنْ لا يخلَّ بها النصرُ

و إني لنزالٌ بكلِّ مخوفةٍ

كثيرٌ إلى نزالها النظرُ الشزرُ

فَأظمأُ حتى تَرْتَوي البيضُ وَالقَنَا

وَأسْغَبُ حتى يَشْبَعَ الذّئبُ وَالنّسرُ

وَلا أُصبْحُ الحَيَّ الخَلُوفَ بِغَارَةٍ ،

وَلا الجَيشَ مَا لمْ تأتِه قَبليَ النُّذْرُ

وَيا رُبّ دَارٍ، لمْ تَخَفْني، مَنِيعَةٍ

طلعتُ عليها بالردى ، أنا والفجرُ

و حيّ ِرددتُ الخيلَ حتى ملكتهُ

هزيماً وردتني البراقعُ والخمرُ

وَسَاحِبَةِ الأذْيالِ نَحوي، لَقِيتُهَا

فلمْ يلقها جهمُ اللقاءِ ، ولا وعرُ

وَهَبْتُ لهَا مَا حَازَهُ الجَيشُ كُلَّهُ

و رحتُ ، ولمْ يكشفْ لأثوابها سترُ

و لا راحَ يطغيني بأثوابهِ الغنى

و لا باتَ يثنيني عن الكرمِ

و ما حاجتي بالمالِ أبغي وفورهُ

إذا لم أفِرْ عِرْضِي فَلا وَفَرَ الوَفْرُ

أسرتُ وما صحبي بعزلٍ، لدى الوغى ،

ولا فرسي مهرٌ ، ولا ربهُ غمرُ

و لكنْ إذا حمَّ القضاءُ على أمرىءٍ

فليسَ لهُ برٌّ يقيهِ، ولا بحرُ

" وقالَ أصيحابي " الفرارُ أوالردى

فقُلتُ هُمَا أمرَان، أحلاهُما مُرّ

وَلَكِنّني أمْضِي لِمَا لا يَعِيبُني،

وَحَسبُكَ من أمرَين خَيرُهما الأسْرُ

" يقولونَ لي " بعتَ السلامةَ بالردى

فَقُلتُ أمَا وَالله، مَا نَالَني خُسْرُ

و هلْ يتجافى عني الموتُ ساعةً ،

إذا مَا تَجَافَى عَنيَ الأسْرُ وَالضّرّ

هُوَ المَوْتُ، فاختَرْ ما عَلا لك ذِكْرُه،

فلمْ يمتِ الإنسانُ ما حييَ الذكرُ

و لا خيرَ في دفع الردى بمذلةٍ

"كما ردها ، يوماً بسوءتهِ " عمرو

يمنونَ أنْ خلوا ثيابي ، وإنما

عليَّ ثيابٌ ، من دمائهمُ حمرُ

و قائم سيفي ، فيهمُ ، اندقَّ نصلهُ

وَأعقابُ رُمحٍ فيهمُ حُطِّمَ الصّدرُ

سَيَذْكُرُني قَوْمي إذا جَدّ جدّهُمْ،

" وفي الليلةِ الظلماءِ ، يفتقدُ البدرُ "

فإنْ عِشْتُ فَالطّعْنُ الذي يَعْرِفُونَه

و تلكَ القنا ، والبيضُ والضمرُ الشقرُ

وَإِنْ مُتّ فالإنسَانُ لا بُدّ مَيّتٌ

وَإِنْ طَالتِ الأيّامُ، وَانْفَسَحَ العمرُ

ولوْ سدَّ غيري ، ما سددتُ ، اكتفوا بهِ؛

وما كانَ يغلو التبرُ ، لو نفقَ الصفرُ

وَنَحْنُ أُنَاسٌ، لا تَوَسُّطَ عِنْدَنَا،

لَنَا الصّدرُ، دُونَ العالمينَ، أو القَبرُ

تَهُونُ عَلَيْنَا في المَعَالي نُفُوسُنَا،

و منْ خطبَ الحسناءَ لمْ يغلها المهرُ

أعزُّ بني الدنيا ، وأعلى ذوي العلا ،

وَأكرَمُ مَن فَوقَ التراَبِ وَلا فَخْرُ

لأيكمُ أذكرُ

لأيكمُ أذكرُ

وَفي أيّكُمْ أفْكِرُ

و كمْ لي على بلدتي ،

بُكَاءٌ وَمُسْتَعْبَرُ

فَفي حَلَبٍ عُدّتي،

وَعِزّيَ، وَالمَفْخَرُ

وفي " منبجَ " ، منْ رضا

هُ، أنْفَسُ مَا أدْخَرُ

وَمَنْ حُبّهُ زُلْفَةٌ،

بهَا يُكْرَمُ المَحْشَرُ

وَأصْبيَةٌ، كَالفِرَاخِ،

أكْبَرُهُمْ أصْغَرُ

وَقَوْمٌ أَلِفْنَاهُمُ،

و غصنُ الصبا أخضرُ

يخيلُ لي أمرهمْ

كأنهمُ حضَّرُ

فَحُزْنيَ لا يَنْقَضِي،

و دمعي ما يفترُ

و ما هذهِ أدمعي ،

وَلا ذا الّذي أُضْمِرُ

وَلكِنْ أُداري الدّمُوعَ،

وأسْتُرُ مَا أسْتُرُ

مخافةَ قولِ الوشا

ةِ، مِثْلُك لا يَصْبرُ

أيا غفلتا ، كيفَ لا

أرجي الذي أحذرُ

و ماذا القنوطُ الذي

أراهُ فَأسْتَشْعِرُ

أمَا مَنْ بَلاني بهِ،

على كشفهِ أقدرُ

بلىَ ، إنَّ لي سيداً

مواهبهُ أكثرُ

وإني غَزيرُ الدّنُوبِ،

و إحسانهُ أغزرُ

بذَنْبيَ أوْرَدْتَني،

وَمِنْ فَضْلِكَ المَصْدرُ

مغرمٌ ، مؤلمٌ ، جريحٌ ، أسيرٌ

مغرمٌ ، مؤلمٌ ، جريحٌ ، أسيرٌ

إنّ قَلْباً، يُطِيقُ ذا، لَصَبُورُ

وَكَثِيرٌ مِنَ الرّجَالِ حَدِيدٌ،

وَكَثِيرٌ مَنَ القُلُوبِ صُخُورُ

قُلْ لِمَنْ حَلّ بِالشّآمِ طَليقاً،

بأبي قَلْبُكَ الطّلِيقُ الأسِيرُ

أنَا أصْبَحْتُ لا أُطِيقُ حَراكاً،

كيفَ أصبحتَ أنتَ يا " منصورُ "

أتَتْني عَنْكَ أخْبَارُ،

أتَتْني عَنْكَ أخْبَارُ،

و بانتْ منكَ أسرارُ

وَلاحَتْ لي، مِنَ السّلْوَ

ةِ، آيَاتٌ وَآثَارُ

أرَاهَا مِنْكَ بِالقَلْبِ،

و للأحشاءِ أبصارُ

إذا ما بردَ الحبُّ

فَمَا تُسْخِنُهُ النّارُ

قمَرٌ، دُونَ حُسْنِهِ الأقمارُ،

قَمَرٌ، دُونَ حُسْنِهِ الأقمارُ،

وَكَثِيبٌ مِنَ النّقَا، مُسْتَعَارُ

و غزالٌ فيهِ نفارٌ ، ولاَ بدْ

عَ فَمِنْ شِيمَةِ الظّبَاءِ النّفَارُ

لا أُعَاصِيهِ في اجْتِرَاحِ المَعَاصِي،

في هَوَى مِثْلِهِ تَطِيبُ النّارُ

قَد حَذِرْتُ المِلاحَ دَهْراً، وَلكن

ساقني ، نحوَ حبهِ ، المقدارُ

كمْ أردتُ السلوَّ فاستعطفتني

رقيةٌ منْ رقاكَ يا عيَّارُ

يَا مَعْشَرَ النّاس هَلْ لي

يَا مَعْشَرَ النّاس هَلْ لي

ممَّا لقيتُ مجيرُ

أصابَ غرَّةَ قلبي

هَذا الغَزَالُ الغَرِيرُ

فَعُمْرُ لَيْلي طَوِيلٌ،

وَعُمْرُ نَوْمِي قَصِيرُ

أسرتَ مني فؤادي ،

يَفْدِيكَ ذَاكَ الأسِيرُ

سَبَقَ النّاسَ، في الهَوَى ، مَنْصُورُ

سَبَقَ النّاسَ، في الهَوَى ، مَنْصُورُ

فسواهُ مكلَّفٌ ، مغرورُ

لحقَ العودَ ، ناعماً ، فثناهُ

و هوَ صعبٌ ، على سواهُ ، عسيرُ

إنّ حُبّ الصِّبَا، وَإنْ طَالَ، لا يَفْـ

ـدَحُ فِيهِ، عَلى الدّهُور، دُثُورُ

فهوَ في أضلع الصغير صغيرٌ ،

و هوَ في أضلع الكبير كبيرُ

أيحلو ، لمنْ لاَ صبرَ ينجدهُ ، صبرُ

أيحلو ، لمنْ لاَ صبرَ ينجدهُ ، صبرُ

إذا ما انقضى فكرٌ ألمَّ بهِ فكرُ

أممعنةً في العذل ، رفقاً بقلبهِ

أيحملُ ذا قلبٌ ، ولوْ أنهُ صخرُ

عَذيري من اللاّئي يَلُمنَ على الهَوَى

أما في الهوى ، لو ذقنَّ طعمَ الهوى عذرُ

أطَلْنَ عَلَيْهِ اللوْمَ حَتى تَرَكْنَهُ

وَسَاعَتُهُ شَهْرٌ، وَلَيْلَتُهُ دَهْرُ

و منكرةٍ ما عاينتْ من شحوبهِ

وَلا عَجَبٌ، ما عَايَنَتهُ، وَلا نُكْرُ

وَيُحمَدُ في العَضْبِ البلى وهوَ قاطعٌ

ويحسنُ في الخيلِ المسمومةِ، الضمرُ

و قائلةٍ " ماذا دهاكَ " ـ تعجباً ـ

" فقلتُ لها " يا هذهِ أنتِ والدهرُ

أبالبَين أمْ بالهَجر أمْ بِكِلَيْهِمَا

تشاركَ ، فيما ساءني ، البينُ والهجرُ

يُذكّرُني نَجْداً حَبيبٌ، بأرْضِهَا،

أيا صاحبيْ نجوايَ ، هلْ ينفعُ الذكرُ

نطاولت الكثبانُ ، بيني وبينهُ ،

وَبَاعَدَ، فيمَا بَيْنَنَا، البَلَدُ القَفْرُ

مفاوزُ لا يعجزنَ صاحبَ همةٍ ،

وإن عجزتْ ، عنها ، الغريريةُ الصبرُ

كَأنّ سَفِيناً، بينَ فَيْدٍ وَحَاجِرٍ،

يحفُّ بهِ ، منْ آل قيعانهِ ، بحرُ

عدانيَ عنهُ ذودُ أعداءِ منهلٍ ،

كثيرٌ إلى ورادهُ النظرُ الشزرُ

وَسُمرُ أعَادٍ، تَلمَعُ البيضُ بَينَهمْ،

وَبيضُ أعَادٍ، في أكُفّهمُ السُّمْرُ

وَقَوْمٌ، مَتى مَا أَلْقَهُمْ رَوِيَ القَنَا،

و أرضٌ متى ما أغزها شبعَ النسرُ

وَخَيلٌ يَلُوحُ الخَيرُ بَينَ عُيُونِهَا،

و نصلٌ ، متى ما شمتهُ نزلَ النصرُ

إذَا مَا الفَتى أدْكَى مُغَاوَرَةَ العِدى

فكلُّ بلادٍ حلَّ ساحتهاُ ثغرُ

و يومٍ، كأنَّ الأرضَ شابتْ لهولهِ ،

قطعتُ بخيلٍ حشوُ فرسانها صبرُ ،

تَسِيرُ عَلى مِثْلِ المُلاءِ مُنَشَّراً،

وَآثَارُهَا طَرْزٌ لأطْرَافِهَا حُمْرُ

أُشَيّعُهُ وَالدّمْعُ مِنْ شِدّةِ الأسَى ،

على خدهِ نظمٌ ، وفي نحرهِ نثرُ

وعدتُ ، وقلبي في سجافِ غبيطهِ،

ولي لفتاتٌ ، نحو هودجه، كثرُ

و فيمنْ حوى ذاكَ الحجيجُ خريدةٌ

لها دونَ عَطفِ السّترِ من صَوْنها سترُ

و في الكمِّ كفٌّ يراها عديلها ،

و في الخدرِ وجهٌ ليسَ يعرفهُ الخدرُ

فَهَلْ عَرَفاتٌ عَارفاتٌ بزَوْرهَا

و هلْ شعرتْ تلكَ المشاعرُ والحجرُ

أمَا اخضَرّ من بُطْنانِ مكّةَ ما ذوَى

أما أعشبَ الوادي أما أنبتَ الصخرُ

سَقَى الله قَوْماً، حَلّ رَحلُكِ فيهمُ،

سحائبَ، لا قُلَّ جداها ، ولا نزرُ

كَيْفَ السّبيلُ إلى طَيْفٍ يُزَاورُهُ

كَيْفَ السّبيلُ إلى طَيْفٍ يُزَاورُهُ

والنّوْمُ، في جُملةِ الأحبابِ، هاجرُهُ

الحبُّ آمرهُ ، والصونُ زاجرهُ ،

وَالصَّبْرُ أوّلُ مَا تَأتي أوَاخِرُهُ

أنَا الّذي إنْ صَبَا أوْ شَفّهُ غَزَلٌ

فللعفافِ ، وللتقوى مآزرهُ

وأشْرَفُ النّاسِ أهْلُ الحُبّ منزلةً ،

وَأشرَفُ الحُبّ مَا عَفّتْ سَرَائِرُهُ

ما بالُ ليليَ لا تسري كواكبهُ ،

وَطَيْف عَزّةَ لا يَعْتَادُ زَائِرُهُ

منْ لا ينامُ ، فلا صبرٌ يؤازرهُ

و لا خيالٌ ، على شحطٍ ، يزاورهُ

يَا سَاهِراً، لعِبَتْ أيْدِي الفِرَاق به

فالصبرُ خاذلهُ ، والدمعُ ناصرهُ

إنَّ الحبيبَ الذي هامَ الفؤادُ بهِ ،

يَنَامُ عَن طُول لَيلٍ، أنتَ ساهرُهُ

ما أنسَ لا أنسَ ، يومَ البينِ ، موقفنا

والشّوْقُ يَنهَى البُكَى عنّي وَيأمُرُهُ

و قولها ، ودموعُ العينِ واكفةٌ

هَذَا الفِرَاقُ الّذِي كُنّا نُحَاذِرُهُ

هلْ أنتِ ، يا رفقةَ العشاق ، مخبرتي

عن الخليطِ الذي زمتْ أباعرهُ

وَهَلْ رَأيتِ، أمَامَ الحَيّ، جَارِيَةً

كالجُؤذَرِ الفَرْدِ، تَقفُوهُ جآذِرُهُ

و أنتَ ، يا راكباً ، يزجي مطيتهُ

يَسْتَطْرِقُ الحَيَّ لَيْلاً، أوْ يَباكِرُهُ

إذا وصلتَ فعرضْ بي وقلْ لهمُ

هَلْ وَاعِدُ الوَعدِ يَوْمَ البَين ذاكِرُهُ

ما أعجبَ الحبَّ يمسي طوعَ جارية ً

في الحيِّ منْ عجزتْ عنهُ مساعرهُ

وَيَتّقي الحَيَّ مِنْ جَاءٍ وَغَادِيةٍ

كيفَ الوصول إذا ما نامَ سامرهُ

يا أيّها العاذِلُ الرّاجي إنَابَتَهُ،

و الحبُّ قدْ نشبتْ فيهِ أظافرهُ ،

لا تشغلنَّ ؛ فما تدري بحرقتهِ ،

أأنتَ عاذلهُ أمْ أنتَ عاذرهُ

و راحلٍ أوحشَ الدنيا برحلتهِ ،

و إنْ غدا معهُ قلبي يسايرهُ

هلْ أنتَ مبلغهُ عني بأنَّ لهُ

وداً ، تمكنَ في قلبي يجاورهُ

و أنني منْ صفتْ منهُ سرائرهُ ،

وَصَحّ بَاطِنُهُ، مِنهُ، وَظَاهِرُهُ

وَمَا أخُوكَ الذي يَدْنُو بِهِ نَسَبٌ،

لكنْ أخوكَ الذي تصفو ضمائرهُ

و أنني واصلٌ منْ أنتَ واصلهُ ،

و أنني هاجرٌ منْ أنتَ هاجرهُ

و لستُ واجدَ شيءٍ أنتَ عادمهُ ،

وَلَسْتُ غَائِبَ شَيْءٍ أنْتَ حَاضِرُهُ

وافى كتابكَ ، مطويا على نزهٍ ،

يَحَارُ سَامِعُهُ فِيهِ، وَنَاظِرُهُ

فالعينُ ترتعُ فيما خطَّ كاتبهُ ،

و السمعُ ينعمُ فيما قالَ شاعرهُ

فإنْ وقفتُ ، أمامَ الحيِّ أنشدهُ ،

ودَّ الخرائدُ لوْ تقنى جواهرهُ

أبا الحصين " وخيرُ القول أصدقهُ ، "

أنتَ الصديقُ الذي طابتْ مخابرهُ

لوْلا اعْتِذارُ أخِلاّئي بكَ انصَرَفوا

بوَجْه خَزْيَانَ لمْ تُقْبَلْ مَعَاذِرُهُ

أين الخَلِيلُ الذي يُرضِيكَ بَاطِنُهُ،

معَ الخطوبِ ، كما يرضيكَ ظاهرهُ

أمّا الكِتَابُ، فَإني لسْتُ أقْرَؤهُ

إلاّ تَبَادَرَ مِنْ دَمْعي بَوَادِرُهُ

يجري الجمانُ ، كما يجري الجمانُ بهِ ،

وَيَنْشُرُ الدّرَّ، فَوْقَ الدّرّ، نَاثِرُهُ

أنَا الذي لا يُصِيبُ الدّهرُ عِثْرَتَهُ،

ولا يبيتُ على خوفٍ مجاورهُ

يُمْسِي وَكُلّ بِلادٍ حَلّهَا وَطَنٌ،

وكلُّ قومٍ ، غدا فيهمْ ، عشائرهُ

و ما تمدُّ لهُ الأطنابُ في بلدٍ ،

إلاّ تَضَعْضَعَ بَادِيهِ وَحَاضِرُهُ

ليَ التخيرُ ، مشتطاً ومنتصفاً ،

وللأفاضل ، بعدي ، ما أغادرهُ

زاكي الأصول ، كريمُ النبعتين ؛ ومنْ

زَكَتْ أوَائِلُهُ طَابَتْ أوَاخِرُهُ

فمنْ " سعيدِ بنَ حمدانٍ " ولادتهُ ،

و منْ " عليِّ بن عبدِ اللهِ " سائرهُ

ألقَائِلُ، الفَاعِلُ، المَأمُونُ نَبوَتُهُ

والسيدُ الأيدُ ، الميمونُ طائرهُ

بَنى لَنَا العِزَّ، مَرْفُوعا دَعَائِمُهُ،

وشَّيدَ المجدَ ، مشتداً مرائرهُ

فَمَا فَضَائِلُنَا إلاّ فَضَائِلُهُ،

وَلا مَفَاخِرُنَا إلاّ مَفَاخِرُهُ

لقدْ فقدتُ أبي ، طفلاً ، فكانَ أبي ،

منَ الرجالِ ، كريمُ العودِ ، ناضرهُ

فهوَ ابنُ عمي دنيا ، حينَ أنسبهُ

لكِنّهُ ليَ مَوْلىً لا أُنَاكِرُهُ

ما زالَ لي نجوةً، مما أحاذرهُ ،

لاَ زالَ ، في نجوةٍ ، مما يحاذرهُ

مِنْهُ، وَعُمّرَ للإِسْلاَمِ عَامِرُهُ

وَقَد سَمَحتُ غَداةَ البَيْنِ، مُبتَدِئاً

مِنَ الجَوَابِ، بوَعدٍ أنتَ ذاكِرُهُ

بقيتَ ، ماغردتْ ورقُ الحمامِ ، وما

استهلَّ منْ مونق الوسميِّ باكرهُ

حَتى تُبَلِّغَ أقْصى مَا تُؤمّلُهُ،

من الأمُورِ، وَتُكفَى ما تُحاذِرُهُ

بقيتَ ، ماغردتْ ورقُ الحمامِ ، وما

استهلَّ منْ مونق الوسميِّ باكرهُ

حَتى تُبَلِّغَ أقْصى مَا تُؤمّلُهُ،

من الأمُور، وَتُكفَى ما تُحاذِرُهُ

و ظبيٍ غريرٍ ، في فؤادي كناسهُ ،

و ظبيٍ غريرٍ ، في فؤادي كناسهُ ،

إذا اكْتَنَسَ العِينُ الفَلاةَ وَحُورُهَا

تُقِرّ لَهُ بِيضُ الظِبَاءِ وَأدْمُهَا

و يحكيهِ ، في بعض الأمور ، غريرها

فَمِنْ خَلْقِهِ لَبّاتُهَا وَنُحُورُهَا،

وَمِنْ خُلْقِهِ عِصْيَانُهَا وَنُفُورُهَا

ألا مَا لِمَنْ أمْسَى يَرَاكَ وَللبَدْر،

ألا مَا لِمَنْ أمْسَى يَرَاكَ وَللبَدْر،

وَمَا لمَكَانٍ أنْتَ فِيهِ وَللقَطْرِ

تجللتَ بالتقوى ، وأفردتَ بالعلاَ ،

وَأهّلْتَ للجُلَّى ، وَحُلّيتَ بالفَخْرِ

وَقَلّدْتَني، لمّا ابتَدَأتَ بمَدْحَتي،

يداً لا أوفي شكرها ، أبد الدهرِ

فإنْ أنا لمْ أمنحكَ صدقَ مودتي

فَمَا لي إلى المَجدِ المُؤثّل من عُذْرِ

أيا بنَ الكرامِ الصيدِ ، جاءتْ كريمةً

" أيا بنَ الكرامِ الصيدِ والسادةِ الغرِّ "

فضلتَ بها أهلَ القريضِ ، فأصبحتْ

تَحيّةَ أهلِ البَدْوِ، مُؤنِسةَ الحَضرِ

وَمِثْلُكَ مَعدومُ النّظِيرِ من الوَرَى

و شعركَ معدومُ الشبيهِ من الشعرِ

كأنَّ على ألفاظهِ ، ونظامهِ

بَدَائِعَ مَا حَاكَ الرّبيعُ منَ الزّهْرِ

تَنَفّسَ فيه الرّوْضُ فاخضَلّ بالنّدى

و هبَّ نسيمُ الروضِ يُخبرُ بالفجرِ

إلى الله أشكُو مِنْ فِرَاقِكَ لوْعَةَ ،

طويتُ لها ، مني الضلوعَ ، على جمرِ

و حسرةَ مرتاحٍ إذا اشتاقَ قلبهُ ،

تَعَلّلَ بالشّكْوَى وَعَادَ إلى الصّبرِ

فعدْ يا زمانَ القربِ ، في خيرِ عيشةٍ ،

و أنعمَ بالٍ ، ما بدا كوكبٌ دري،

وعشْ "يابنَ نصرٍ" ما استهلتْ غمامةٌ ،

تَروحُ إلى عِزٍّ وَتَغدُو عَلى نَصْرِ

مستجيرُ الهوى بغير مجير ،

مستجيرُ الهوى بغيرِ مجيرِ ،

وَمُضَامُ الهَوَى بِغَيْرِ نَصِيرِ

مَا لِمَنْ وَكّلَ الهَوَى مُقْلَتَيْهِ

بِانْسِكَابٍ وَقَلْبَهُ بِزَفِيرِ

فَهْوَ مَا بَينَ عُمْرِ لَيْلٍ طَوِيلٍ،

يَتَلَظّى ، وَعُمُر نَوْمٍ قَصِير

لا أقولُ المسيرُ أرّقَ عيني

قدْ تناهى البلاءُ ، قبلَ المسير

يا كثيباً ، منْ تحتِ غصنٍ رطيبٍ ،

يتثنى ، منْ تحتِ بدرٍمنير

شَدّ مَا غَيّرَتْكَ بَعْدي، اللّيالي

يا قليلَ الوفا ، قليلَ النظير

لكَ وصفي ، وفيكَ شعري ؛ ولا أعـ

ـرفُ وصفَ المؤارةِ العيسجور

وَلِقَلْبي مِنْ حُسن وَجْهكَ شغلٌ

عَنْ هَوَى قاصِراتِ تِلكَ القُصُور

قد منحتُ الرقادَ عينَ خليٍّ

بَات خِلْواً مِمّا يُجِنّ ضَمِيري

لا بَلا اللّهُ مَنْ أُحِبّ بِحُبٍّ،

وَشَفَى كُلّ عَاشِقٍ مَهْجُور

يا أخي " يا أبا زهيرٍ " ألي عنـ

ـدَكَ عَوْنٌ عَلى الغَزَال الغَرير

إنَّ لي ، مذء نأيتَ ، جسمَ مريض

و بكا ثاكلٍ ، وذلَّ أسير

لمْ تزل مشتكايَ ، في كلِّ أمرٍ ،

وَمُعِيني، وَعُدّتي، وَنَصِيري

وَرَدَتْ مِنْكَ، يا بنَ عَمّي، هَدَايا

تتهادى في سندسٍ ، وحرير

بفوافٍ ، ألذَّ منْ باردِ الما

ءِ، وَلَفْظٍ كَاللؤْلُؤِ المَنْثُورِ

محكمٍ ، قصَّرَ " الفرزدقُ " و" الأخـ

ـطَلُ عَنْهُ، وَفَاقَ شِعْرَ جَرِيرِ

أنتَ لَيثُ الوَغَى ، وَحَتْفُ الأعَادي

وَغِيَاثُ المَلْهُوفِ وَالمُستَجِيرِ

طُلْتَ، في الضّرْبِ للطُّلى عن شَبيهٍ

وَتَعَالَيْتَ، في العُلا، عَنْ نَظِيرِ

كُنْتَ جَرّبْتَني، وَأنْتَ كَثِيرُ الـ

ـكَيْسِ، طبٌّ بِكُلّ أمْرٍ كَبِيرِ

و إذا كنتَ ، " يابنَ عمي " ، قنوعاً

بِجَوَابي، قَنِعْتَ بِالمَيْسُورِ

هَاجَ شَوْقي إلَيكَ، حينَ أتَتْني

«هَاجَ شَوْقُ المُتَيَّمِ المَهْجُورِ»

عَذيريَ مِن طوَالعَ في عِذاري،

عَذيريَ مِن طوَالعَ في عِذاري،

وَمِنْ رَدّ الشّبَابِ المُسْتَعَارِ

و ثوبٍ ، كنتُ ألبسهُ ، أنيقٍ

أجررُ ذيله، بينَ الجواري

و ما زادتْ على العشرينَ سني

فما عذرُ المشيبِ إلى عذاري

و ما استمتعتُ منْ داعي التصابي

إلى أنْ جَاءني داعي الوَقَار

أيا شيبي ، ظلمتَ ويا شبابي

لقَد جَاوَرْتُ، مِنكَ، بشَرّ جار

يُرَحِّلُ كُلّ مَنْ يَأوِي إلَيْهِ

و يختمها بترحيل الديار

أمرتُ بقصهِ ، وكففتُ عنهُ ،

وقرَّ على تحمُّلهِ قراري

وَقُلْتُ الشّيبُ أهوَنُ مَا أُلاقي

مِنَ الدّنْيا وَأيْسَرُ ما أُداري

وَلا يَبْقَى رَفِيقي الفَجْرُ حَتى

" يضمَّ إليهِ منبلجَ النهار

و إني ما فجعتُ بهِ لألقى"

"بهِ ملقى العثار منَ الشعار

و كمْ منْ زائرٍ بالكرهِ مني

كرهتُ فراقهُ بعدَ المزار

متى أسلو بلا خلٍّ وصولٍ

يُوَافِقُني، وَلا قَدَحٍ مُدَار

و كنتُ ، إذا الهمومُ تناوبتني ،

فزعتُ منَ الهموم إلى القفار

أنَختُ وَصَاحِبَايَ بذي طُلُوحٍ

طَلائِحَ، شَفَّهَا وَخْدُ القِفَار

وَلا مَاءٌ سِوَى نُطَفِ الأدَاوي،

وَلا زَادٌ سِوَى القَنَصِ المُثَار

فَلمَّا لاحَ بَعْدَ الأينِ سَلْعٌ،

ذكرتُ منازلي وعرفتُ داري

ألَمّ بِنا، وَجُنْحُ اللّيلِ داجٍ،

خيالٌ زارَ وهناً منْ نوارِ

أبَاخِلَةٌ عَلَيّ، وَأنتِ جارٌ،

وَواصِلَةٌ عَلى بُعْدِ المَزَارِ

تلاعبُ بي ، على هوجَ المطايا ،

خلائِقُ لا تَقُرّ عَلى الصَّغَارِ

و نفسٌ ، دونَ مطلبها الثريا

وَكَفّ دُونَهَا فَيضُ البحَارِ

أرى نفسي تطالبني بأمرٍ

قَلِيلٌ، دُونَ غَايَتِهِ، اقتِصَاري

و ما يغنيكَ منْ همٍ طوالٍ

إذا قرنتْ بأعمارٍ قصارِ

وَمُعْتَكِفٍ عَلى حَلَبٍ بَكِيٍّ،

يقوتُ عطاشَ آمالٍ غزارِ

يقولُ ليَ " انتظرْ فرجاً " ومن لي

بأنَّ الموتَ ينتظرُ انتظاري

عليَّ لكلِّ همٍ ، كلُّ عيسٍ

أمونُ الرحلِ موخدةُ القفارِ

وَخَرّاجٌ مِنَ الغَمَراتِ خِرْقٌ،

أبو شبلين ، محميُّ الذمارِ

شَدِيدُ تَجَنّبِ الآثَامِ وَافٍ،

عَلى عِلاّتِهِ، عَفُّ الإزارِ

فَلا نَزَلَتْ بيَ الجِيرَانُ إنْ لمْ

أُجَاوِرْهَا مُجَاوَرَةَ البحَارِ

أُصَاحِبْهَا بمَأمُونِ الفِرَارِ

وَلا صَحِبَتْنيَ الأمْلاكُ إنْ لمْ

أُصَبّحْهَا بمُلْتَفّ الغُبَارِ

بجيشٍ لا يحلُّ بهمْ مغيرٌ

وَرَأيٍ لا يَغِبّهُمُ مُغَارِ

شددتُ على الحمامةِ كورَ رحلٍ

بعيدُ حلهُ ، دونَ اليسارِ

تَحُفّ بهِ الأسِنّةُ، وَالعَوَالي،

و مضمرةُ المهاري ، والمهاري

يعدنَ ، بعيدَ طولِ الصونِ ، سعياً

لِمَا كُلّفْنَ مِنْ بُعْدِ المَغَارِ

و تخفقُ حوليَ الراياتُ حمراً ،

" وتتبعني الخضارمُ منْ "نزارِ

وَإنْ طُرِقَتْ بدَاهِيَةٍ نَآدٍ

تدافعها الرجالُ بكلِّ جارِ

عَزِيزٌ حَيثُ حَطّ السّيرُ رَحْلي،

تداريني الأنامُ ولا أداري

و أهلي من أنختُ إليهِ عيسي ،

وَدَاري حَيثُ كُنتُ مِنَ الدّيَارِ

تواعدنا بآذار

تواعدنا بآذار

لمسعىً غير مختار

وَقُمْنَا، نَسحَبُ الرَّيْط،

إلى حانةِ خمَّار ؛

فَلَمْ نَدْرِ، وَقَدْ فاحَتْ

لَنَا مِنْ جَانِبِ الدّار

بخمارٍ ، منَ القوم ،

نَزَلْنَا، أمْ بِعَطّار

فلما ألبسَ الليلُ ،

لنا ثوباً منَ القار

وَقُلْنَا أوْقِدِ النّارَ

لِطُرَاقٍ وَزُوّار

وَجَا خَاصِرَةَ الدّنّ

فأغنانا عن النار

وَمَا في طَلَبِ اللّهْو،

عَلى الفِتْيَان، مِنْ عَار

صبرتُ على اختيارِكَ واضطراري

صبرتُ على اختيارِكَ واضطراري

وَقَلّ، مَعَ الهَوَى ، فِيكَ ائْتِصَارِي

و كانَ يعافُ حملَ الضيمِ قلبي ،

فقرَّ على تحملهِ قراري

فديتكَ ، طالَ ظلمكَ واحتمالي

كما كثرتْ ذنوبكَ واعتذاري

ما آنَ أنْ أرتاعَ للشـ

ما آنَ أنْ أرتاعَ للشـ

ـيْبِ، المُفَوَّفِ في عِذاري

وَأكُفَّ عَنْ سُبُلِ الضّلا

ل، وَأكْتَسِي ثَوْبَ الوَقَارِ

أمْ قَدْ أمِنْتُ الحَادِثَا

تِ من الغوادي والسواري

إني أعوذُ ، بحسن عفـ

ـوِ اللهِ ، منْ سوءِ اختياري

هَل تَرَى النّعْمَةَ دَامَتْ

هَل تَرَى النّعْمَةَ دَامَتْ

لصغيرٍ أوْ كبيرِ

أوْ تَرَى أمْرَيْنِ جَاءَا

أوّلاً مِثْلَ أخِيرِ

إنما تجري التصاريـ

ـفُ بتقليبِ الدهورِ

ففقيرٌ منْ غنيٍّ ؛

وَغَنيّ مِنْ فَقِيرِ

منْ أينَ للرشإِ ، الغرير ، الأحور ،

منْ أينَ للرشإِ ، الغرير ، الأحور ،

في الخدِّ ، مثلُ عذارهِ المتحدر

قَمَرٌ، كَأنّ بعَارضَيْهِ كِلَيْهمَا

مِسْكاً، تَسَاقَطَ فَوْقَ وَرْدٍ أحمَر

وَوَارِدٍ مُوردٍ أنْساً، يُؤكّدُهُ

وَوَارِدٍ مُوردٍ أنْساً، يُؤكّدُهُ

صُدُوره عَنْ سَلِيمِ الورْدِ وَالصَّدَر

شدتْ سحائبهُ منهُ على نزهٍ

تقسّمَ الحُسنُ بَينَ السّمعِ وَالبَصَر

عذوبةٌ ، صدرتْ عنْ منطقٍ جددٍ ؛

كالماءِ يخرجُ ينبوعاً منَ الحجر

وروضةٌ منَ رياضِ الفكرِ ، دبَّجها

صوبُ القرائحِ لا صوبٌ من المطر

كَأنّمَا نَشَرَتْ أيْدِي الرّبيعِ بهَا

برداً من الوشيِ أو ثوباً من الحبر

ولي مِنّةٌ في رقابِ الضبَاب،

ولي مِنّةٌ في رقَابِ الضبَاب،

وأخْرى تَخص بَني جَعْفَر

" عشيةَ روَّحنَ من " عرقةٍ

وَأصْبَحْنَ فَوْضَى ، عَلى شَيْزَر

" وقد طالَ ما وردتْ " بالجباة

وَعَاوَدَتِ المَاءَ في تَدْمُرِ

قَدَدْنَ البَقِيعَةَ ، قَدّ الأدِيـ

ـمِ، وَالغَرْبُ في شَبَهِ الأشْقَرِ

و جاوزنَ " حمصَ " ؛ فلمْ ينتظرْ

نَ على موردٍ أو على مصدرِ

وَبالرَّسْتَنِ استَلَبَتْ مَوْرِداً،

كَوِرْدِ الحَمَامَةِ ِ أوْ أنْزَرِ

وَجُزْنَ المُرُوجَ، وَقَرْنَيْ حَمَاةَ

و "شيزرَ " ، والفجرُ لمْ يسفرِ

و غامضتِ الشمسً إشراقها

فَلَقتْ كَفَرْطَابَ بِالعَسْكَرِ

ولاقتْ بها عصبَ الدارعيـ

ـنَ بكلِّ منيعِ الحمى مسعرِ

عَلى كُلّ سَابِقَةٍ بِالرّدِيفِ،

وكلِّ شبيهٍ بها مجفرِ

و لما اعتفرنَ ولما عرقنَ

خَرَجْنَ، سِرَاعاً، مِنَ العِثْيَرِ

تُنَكِّبُ عَنْهُنّ فُرْسَانَهُنّ،

ونبدأُ بالأخيرِ الأخيَرِ

فلما سمعتُ ضجيجَ النسا

ءِ ناديتُ " حارِ" ، ألا فاقصرِ

أ "حارثُ " منْ صافحَ ، غافرٌ

لهنَّ ، إذا أنتَ لمْ تغفرِ

رَأى ابنُ عُلَيّانَ مَا سَرّهُ

فَقُلْتَ رُوَيْدَكَ لا تُسْرَرِ

فإني أقومُ بحقِّ الجوا

رِ ثُمّ أعُودُ إلى العُنْصُرِ

و يومٍ جلا فيهِ الربيعُ بياضهُ

و يومٍ جلا فيهِ الربيعُ بياضهُ

بأنْوَاعِ حَلْيٍ، فَوْقَ أثوَابِهِ الخُضْرِ

كأنَّ ذيولَ الجلنارِ ، مطلةً ،

فُضُولُ ذُيولِ الغانِياتِ من الأزْرِ

ووالله ، ما أضمرتُ في الحبِّ سلوةً ،

ووالله ، ما أضمرتُ في الحبِّ سلوةً ،

ووالله، ماحدثتُ نفسيَ بالصبرِ

و إنكَ في عيني ، لأبهى منَ الغنى ،

وإنكَ، في قلبي ، لأحلى منَ النصرِ

فيا حكمي المأمولَ جرتَ معَ الهوى

وياثقتي المأمونَ ، خنتَ معَ الدهرِ

سَأُثْني عَلى تِلكَ الثَّنَايَا، لأنّني

سَأُثني عَلى تِلكَ الثَّنَايَا، لأنّني

أقولُ على علمٍ ، وأنطقُ عنْ خبرِ

و أنصفها ، لا أكذبُ اللهَ ، أنني

يا طِيبَ لَيْلَةِ مِيلادٍ، لَهَوْتُ بهَا

يا طِيبَ لَيْلَةِ مِيلادٍ، لَهَوْتُ بهَا

بأحورِ ، ساحرِ العينين ، ممكورِ

وَالجَوُّ يَنْشُرُ دُرَّاً، غَيرَ مُنْتَظِمٍ،

والأرْضُ بَارِزَةٌ في ثَوْبِ كَافُورِ

وَالنَّرْجسُ الغضّ يحكي حسنُ منظرِهِ

صَفْرَاءَ صَافِيَةً في كَأسِ بَلّورِ

وَلي في كُلّ يَوْمٍ مِنْكَ عَتْبٌ وَلي في كُلّ يَوْمٍ مِنْكَ عَتْبٌ

وَلي في كُلّ يَوْمٍ مِنْكَ عَتْبٌ وَلي في كُلّ يَوْمٍ مِنْكَ عَتْبٌ

أقُومُ بِهِ مَقَامَ الاعْتِذَارِ

حمَلْتُ جَفَاكَ، لا جَلَداً، وَلَكِنْ

صبرتُ على اختياركَ واضطراري

جنى جانٍ ، وأنتَ عليهِ حانٍ ،

جنى جانٍ ، وأنتَ عليهِ حانٍ ،

وَعَادَ، فَعُدْتَ بالكَرَمِ الغَزِيرِ

صبرتَ عليهِ حتى جاءَ ، طوعاً ،

إلَيْكَ، وَتِلْكَ عَاقِبَةُ الصّبُورِ

فَإنْ تَكُ عَدْلَةٌ في الجِسْمِ كَانَتْ

فما عدلَ الضميرُ عن الضميرِ

و مثلُ " أبي فراسٍ " منْ تجافى

لهُ عَنْ فِعْلِهِ، مِثْلُ الأميرِ

بكيتُ ، فلما لمْ أرَ الدمعَ نافعي ،

بكيتُ ، فلما لمْ أرَ الدمعَ نافعي ،

رَجَعتُ إلى صَبرٍ، أمَرّ مِنَ الصّبرِ

و قدرتُ أنَّ الصبرَ ، بعدَ فراقهم ،

يساعدني ، وقتاً ، فعزيتُ عنْ صبري

ما زالَ معتلجَ الهمومِ بصدرهِ

ما زالَ معتلجَ الهمومِ بصدرهِ

حَتى أبَاحَكَ مَا طوَى مِن سِرّهِ

أضمرتُ حبكَ ، والدموعُ تذيعهُ ،

و طويتُ وجدكَ ، والهوى في نشرهِ

تردُ الدموعُ ، لما تجنُّ ضلوعهُ ،

تترى إلى وجناتهِ أو نحرهِ

من لي بعطفةِ ظالمٍ ، منْ شأنهِ

نسيانُ مشتغلِ اللسانِ بذكرهِ

يا ليتَ مؤمنهُ سلوى - ما دعتْ

ورقُ الحمامِ - مؤمني منْ هجرهِ

منْ لي بردِّ الدمعِ ، قسراً ، والهوى

يغدو عليهِ ، مشمراً ، في نصرهِ

أعيا عليَّ أخٌ ، وثقتُ بودهِ ،

وَأمِنْتُ في الحَالاتِ عُقْبَى غَدْرِهِ

وَخَبَرْتُ هَذا الدّهْرَ خِبْرَةَ نَاقِدٍ

حتى أنستُ بخيرهِ وبشرهِ

لا أشْتَرِي بَعْدَ التّجَرّبِ صَاحِباً

إلا وددتُ بأنني لمْ أشرهِ

منْ كلِّ غدارٍ يقرُّ بذنبهِ

فيكونُ أعظمُ ذنبهِ في عذرهِ

ويجيءُ ، طوراً ، ضرهُ في نفعهِ ،

جهلاً ، وطوراً ، نفعهُ في ضره

فصبرتُ لمْ أقطعْ حبالَ ودادهُ

و سترتُ منهُ ، مااستطعتُ ، بسترهِ

وَأخٍ أطَعْتُ فَمَا رَأى لي طَاعَتي

حَتى خَرَجتُ، بأمرهِ، عَنْ أمرهِ

و تركتُ حلوَ العيشِ لمْ أحفلْ بهِ

لمَّا رأيتُ أعزَّهُ في مره

وَالمَرْءُ لَيْسَ بِبَالِغٍ في أرْضِهِ،

كالصقرِ ليسَ بصائدٍ في وكرهِ

أنفقْ منَ الصبرِ الجميلِ ، فإنهُ

لمْ يَخشَ فَقراً مُنْفِقٌ مِنْ صَبرهِ

واحلمْ وإنْ سفهَ الجليسُ ، وقلْ لهُ

حُسْنَ المَقَالِ إذَا أتَاكَ بِهُجْرِهِ

وَأحَبُّ إخْوَاني إليّ أبَشَّهُم

بصديقهِ في سرهِ أو جهرهِ

لا خيرَ في برٍّ الفتى ما لمْ يكنْ

أصفى مشارب برهِ في بشرهِ

ألقى الفتى فأريدُ فائضَ بشرهِ

و أجلُّ أنْ أرضى بفائضِ برهِ

يارِبِّ مضطغنِ الفؤادِ ، لقيتهُ

بطلاقةٍ ، فَسَلَلْتُ مَا في صَدْرِهِ

و ما كنتُ أخشى أنْ أبيتَ وبيننا

و ما كنتُ أخشى أنْ أبيتَ وبيننا

" خليجانِ و" الدربُ " الأشمُّ و" آلسُ

ولا أنني أستصحبُ الصبرَ ساعةً

ولي عنكَ مناعٌ ودونكَ حابسُ

ينافسني فيكَ الزمانُ وأهلهُ

وَكُلُّ زَمَانٍ لي عَلَيْكَ مُنَافِسُ

شرَيْتُكَ من دهري بذي النّاس كلّهم

فلا أنا مَبخُوسٌ وَلا الدّهرُ بَاخِسُ

وَمَلّكتُكَ النّفسَ النّفيسَةَ طائِعاً،

و تبذلُ للمولى النفوسُ النفائسُ

تَشَوّقني الأهْلُ الكِرَامُ وأوْحَشَتْ

مَوَاكِبُ بَعْدِي عِنْدَهُمْ وَمَجالِسُ

وَرُبّمَا زَانَ الأمَاجِدَ مَاجِدٌ،

وَرُبّمَا زَانَ الفَوَارِسَ فَارِسُ

رفعتُ على الحسادِ نفسي ؛ وهلْ همُ

و ما جمعوا لوْ شئتُ إلا فرائسُ

أيدركُ ما أدركتُ إلاّ ابنُ همةٍ

يُمَارِسُ في كَسبِ العُلى ما أُمارِسُ

يضيقُ مكاني عنْ سوايَ لأنني

عَلى قِمّةِ المَجْدِ المُؤثَّلِ جَالِسُ

سبقتُ وقومي بالمكارمِ والعلاَ

و إنْ زعمتْ منْ آخرينَ المعاطسُ

سقى ثرى " حلبٍ " ما دمتَ ساكنها

سقى ثرى " حلبٍ " ما دمتَ ساكنها

يا بدرُ ، غيثان منهلٌ ومنبجسُ

أسِيرُ عَنهَا وَقَلبي في المُقَامِ بهَا،

كأنّ مُهرِي لِثُقلِ السّيرِ مُحتَبَسُ

هَذا وَلَوْلا الّذي في قَلْبِ صَاحِبِهِ

مِنَ البَلابِلِ لمْ يَفْلقْ بهِ فَرَسُ

كأنّما الأرْضُ والبُلدانُ مُوحشَةٌ،

و ربعها دونهنَّ العامرُ الأنسُ

مثلُ الحصاةِ التي يرمى بها أبداً

إلى السماءِ فترقى ثمَّ تنعكسُ

لِمَنْ أعاتِبُ ما لي أينَ يُذْهَبُ بي

لِمَنْ أُعاتِبُ ما لي أينَ يُذهَبُ بي

قَدْ صَرّحَ الدّهْرُ لي بِالمَنعِ وَاليَاسِ

أبْغي الوَفَاءَ بدَهْرٍ لا وَفَاءَ لهُ،

كَأنّني جَاهِلٌ بالدّهْرِ وَالنّاس

لمّا رَأتْ أثَرَ السّنَان بِخَدّهِ

لمّا رَأتْ أثَرَ السّنَان بِخَدّهِ

ظلتْ تقابلهُ بوجهٍ عابس

خَلْفَ السّنَانُ بهِ مَوَقِعَ لثْمِهَا،

بئسَ الخلافةُ للمحبِّ البائس

ما أنسَ قولتهنَّ ، يومَ لقيتني

ما أنسَ قولتهنَّ ، يومَ لقيتني

" أزرى السنانُ بوجهِ هذا البائس "

قالتْ لهنَّ ، وأنكرتْ ما قلتهُ

أجَمِيعُكُنّ عَلى هَوَاهُ مُنَافِسِي

إني ليعجبني ، إذا عاينتهُ ،

أثرُ السنان بصحن خدِّ الفارس

المَرْءُ رَهْنُ مَصَائِبٍ لا تَنْقَضِي

المَرْءُ رَهْنُ مَصَائِبٍ لا تَنْقَضِي

حَتى يُوَارَى جِسْمُهُ في رَمْسِهِ

فَمُؤجَّلٌ يَلقَى الرّدى في أهلِهِ،

وَمُعَجَّلٌ يَلقَى الرّدى في نَفسِهِ

تَنَاهَضَ القَوْمُ لِلْمَعَالي

تَنَاهَضَ القَوْمُ لِلْمَعَالي

لمّا رَأوْا نَحْوَهَا نُهُوضِي

تَكَلّفُوا المَكْرُمَاتِ، كَدَّاً،

تَكَلُّفَ الشِّعْرِ بالعَرُوضِ

أيا قلبي ، أما تخشعْ

أيا قلبي ، أما تخشعْ

وَيَا عِلْمي، أمَا تَنْفَعْ

أما حقي بأنْ أنظـ

ـرَ للدّنْيَا، وَمَا تَصْنَعْ

أمَا شَيّعْتُ أمْثَالي

إلى ضِيقٍ مِنَ المَضْجَعْ

أما أعلمُ أنْ لا بـ

ـدّ لي مِنْ ذلِكَ المَصْرَعْ

أيا غوثاهُ ، يا اللـ

ـهُ هذا الأمرُ ما أفظعْ

أبَى غَرْبُ هَذا الدّمْع إلاّ تَسَرُّعَا

أبَى غَرْبُ هَذا الدّمْع إلا تَسَرُّعَا

وَمَكْنُونُ هَذا الحُبّ إلاّ تَضَوُّعَا

وكُنْتُ أرَى أني مَعَ الحَزْمِ وَاحِدٌ،

إذا شئتُ لي مَضىً وَإن شِئتُ مَرْجِعَا

فَلَمّا استَمَرّ الحُبّ في غُلوَائِهِ،

رَعَيتُ مَعَ المِضْيَاعَةِ الحُبَّ ما رَعى

فَحُزْنيَ حُزْنُ الهَائِمِينَ مُبَرِّحاً،

و سريَ سرُّ العاشقينَ مضيعا

خَلِيليّ، لِمْ لا تَبكِياني صَبَابَةً ،

أأبْدَلْتُمَا بالأجرَعِ الفَرْدِ أجرَعَا

عليَّ ، لمنْ ضنتْ عليّ جفونهُ

غَوَاربُ دَمْعٍ يَشمَلُ الحيَ أجمَعَا

وَهَبْتُ شَبَابي، وَالشّبَابُ مَضَنَّةٌ،

لأبلجَ منْ أبناءِ عمي ، أروعا

أبيتُ ، معنى ، منْ مخافةِ عتبهِ ،

و أصبحُ ، محزوناً ، وأمسي ، مروعا

فَلَمّا مَضَى عَصْرُ الشّبِيبَةِ كُلُّهُ،

وَفَارَقَني شَرْخُ الشّبَابِ، مُوَدِّعَا

تَطَلّبْتُ بَينَ الهَجرِ وَالعَتْبِ فُرْجَةً ،

فحاولتُ أمراً ، لا يرامُ ، ممنعا

وَصِرْتُ إذا مَا رُمْتُ في الخَيرِ لَذّةً

تَتَبّعتُهَا بَينَ الهُمُومِ، تَتَبُّعَا

وَهَا أنَا قد حَلّى الزّمَانُ مَفَارِقي،

و توجني بالشيبِ تاجاً مرصعا

فلوْ أنني مكنتُ مما أريدهُ

منَ العيشِ ، يوماً ، لمْ يجدْ فيَّ موضعا

أما ليلةٌ تمضي ولا بعضُ ليلةٍ

أسُرّ بهَا هذا الفُؤادَ المُفَجَّعَا

أمَا صَاحِبٌ فَرْدٌ يَدُومُ وَفَاؤهُ

فيُصْفي لمن أصْفى وَيَرْعى لمنْ رَعى

أفي كُلّ دارٍ لي صَدِيقٌ أوَدُّهُ،

إذَا مَا تَفَرّقْنَا حِفِظْتُ وَضَيّعَا

أقمتُ بأرضِ الروم ، عامين ، لا أرى

منَ الناسِ محزوناً ولا متصنعا

إذا خِفتُ مِنْ أخوَاليَ الرّوم خُطّةً

تخوفتُ منْ أعمامي العربِ أربعا

و إن أوجعتني منْ أعاديَّ شيمةٌ

لَقِيتُ مِنَ الأحبَابِ أدْهَى وَأوْجعَا

ولوْ قدْ رجوتُ اللهَ لا شيءَ غيرهُ

رَجَعْتُ إلى أعْلى وَأمّلْتُ أوْسَعَا

لقد قَنِعُوا بَعدي من القَطر بالنّدى ،

و منْ لمْ يجدْ إلاَّ القنوعَ تقنعا

و ما مرَّ إنسانٌ فأخلفَ مثلهُ ؛

ولكنْ يزجي الناسُ أمراً موقعا

تنكرَّ "سيف الدين" لما عتبتهُ ،

وَعَرّضَ بي، تحتَ الكلامِ، وَقَرّعَا

فَقُولا لهُ مِنْ أصْدَقِ الوُدّ أنّني

جعلتكَ مما رابني ، الدهرَ مفزعا

و لوْ أنني أكننتهُ في جوانحي

لأوْرَقَ مَا بَينَ الضّلُوعِ وَفَرّعَا

فلاَ تغترر بالناس، ما كلُّ منْ ترى

أخُوكَ إذا أوْضَعتَ في الأمرِ أوْضَعَا

وَلا تَتَقَلّدْ مَا يَرُوعُكَ حَلْيُهُ

تقلدْ ، إذا حاربتَ ، ما كانَ أقطعا

وَلا تَقْبَلَنّ القَوْلَ من كلّ قائِلٍ

سأرضيكَ مرأى لستُ أرضيكَ مسمعا

و للهِ صنعُ قدْ كفاني التصنعا

أراني طريقَ المكرماتِ ، كما أرى ،

عَلِيٌّ وَأسْمَاني على كُلّ مَنْ سعَى

فإنَّ يكُ بطءٌ مرةً فلطالما

تَعَجّلَ، نحْوي، بالجَميلِ وَأسْرَعَا

و إنْ يحفُ في بعض الأمورِ فانني

لأشكرهُ النعمى التي كانَ أودعا

و إنْ يستجدَّ الناسَ بعدي فلمْ يزلْ

بذاكَ البديلِ ، المستجدِّ ، ممتعا

و ما تعرضَ لي يأسٌ سلوتُ بهِ

و ما تعرضَ لي يأسٌ سلوتُ بهِ

إلاّ تَجَدّدَ لي في إثرِهِ طمَعُ

و لا تناهبتُ في شكوى محبتهِ

إلاّ وَأكثَر مِمّا قُلتُ مَا أدَعُ

ما للعبيدِ منَ الذي

ما للعبيدِ منَ الذي

يقضي بهِ اللهُ امتناعُ

دُدْتُ الأسُودَ عَنِ الفَرَا

ئس ، ثمَّ تفرسني الضباعُ

المَجْدُ بالرَّقةِ مَجْمُوعُ،

المَجْدُ بالرَّقةِ مَجْمُوعُ،

وَالفَضْلُ مَرْئِيّ وَمَسْمُوعُ

إنَّ بها كلَّ عميمِ الندى

يداهُ للجودِ ينابيعُ

و كلَّ مبذولِ القرى ، بيتهُ ،

عَلى عُلا العَلْيَاءِ،، مَرْفُوع

لكنْ أتاني خبرٌ رائعٌ

يضيقُ عنهُ السمعُ والروعُ

أنّ بَني عَمّي، وَحَاشَاهُمُ،

شَعْبُهُمْ بالخُلْفِ مَصْدوع

مالعصا قومي قدْ شقها

تَفَارطٌ مِنهُمْ وَتَضْيِيع

بَني أبي، فَرّقَ مَا بَيْنَكُمُ

وَاشٍ، عَلى الشّحنَاءِ مَطبُوع

عُودوا إلى أحْسَنِ مَا كُنْتُمُ،

فأنتمُ الغرُّ المرابيعُ

لا يكملُ السؤددُ في ماجدٍ ،

لَيْسَ له عَوْدٌ وَمَرْجُوع

أنَبْذِلُ الودّ لأعْدَائِنَا،

و هوَ عن الإخوةِ ممنوعُ

أوْ نَصِلُ الأبْعَدَ مِنْ قَوْمِنَا،

وَالنّسَبُ الأقْرَبُ مَقْطُوع

لا يَثْبُت العِزّ عَلى فُرْقَةٍ،

غيركَ بالباطل مخدوعُ

هيَ الدّارُ من سَلمَى وَهاتي المَرَابعُ،

هيَ الدّارُ من سَلمَى وَهاتي المَرَابعُ،

فحتى متى ياعينُ ، دمعكِ هامعُ

ألمْ يَنهكِ الشّيبُ الذي حَلّ نازلاً

وَللشَيْبُ بَعدَ الجَهل للمَرْء رَادع

لئنْ وصلتْ " سلمى " حبالَ مودتي

فإنَّ وشيكَ البين ، لا شكَّ ، قاطعُ

" و إنْ حجبتْ عنا النوى " أم مالكٍ

لَقَدْ سَاعَدَتْهَا كِلَةٌ وَبَرَاقِع

و إن ظمئتْ نفسي إلى طيبِ ريقها

لقدْ رويتَ بالدمع مني المدامعُ

وَإنْ أفَلتْ تِلْكَ البُدورُ عَشِيّةً ،

فإنَّ نحوسي بالفراق طوالعُ

وَلمّا وَقَفْنا لِلْوَدَاع، غَدِيّةً ،

أشارتْ إلينا أعينٌ وأصابعُ

وَقالت أتَنْسَى العهدَ بالجِزْع وَاللّوَى

و ما ضمهُ منا النقا والأجارعُ

وَأجرَتْ دمُوعاً من جُفونٍ لِحَاظُها

شِفَارٌ، على قَلبِ المُحبّ قَوَاطِع

فقلتُ لها مهلاً فماالدمعُ رائعي ،

وَمَا هُوَ للقَرْمِ المُصَمِّمِ رَائِع

لَئنْ لمْ أُخَلّ العِيسَ وَهْيَ لوَاغِبٌ

حدابيرَ ، منْ طول السرى ، وظوالعُ

فما أنا منْ " حمدانَ " في الشرفِ الذي

له مَنْزِلٌ بَينَ السّمَاكَين طالِع

و لقدْ أبيتُ ، وجلُّ ما أدعو بهِ ،

و لقدْ أبيتُ ، وجلُّ ما أدعو بهِ ،

حَتى الصّبَاح، وَقد أقضّ المضْجَعُ

لا همَّ ، إنَّ أخي لديكَ وديعةٌ

مني وليسَ يضيعُ ما تستودعُ

مَحَلُّكَ الجَوْزَاءُ، بَلْ أرْفَعُ،

مَحَلُّكَ الجَوْزَاءُ، بَلْ أرْفَعُ،

وصدرُكَ الدهناءُ ، بلْ أوسعُ

وَقَلْبُكَ الرّحْبُ الّذِي لَمْ يَزَلْ،

للجدِّ والهزلِ ، به موضعُ

رفهْ بقرع العودِ سمعاً ، غدا

قرعُ العوالي جلَّ ما يسمعُ

"لئن جمعتنا ، غدوةً ، أرضُ " بالسِ

"لئن جمعتنا ، غدوةً ، أرضُ " بالسِ

فإنَّ لها عندي يداً لا أضيعها

أحبُّ بلاد اللهِ ، أرضٌ تحلها ،

إليَّ ؛ ودارٌ تحتويكَ ربوعها

أفي كلّ يومٍ ، رحلةٌ بعدَ رحلةٍ

تجرعُ نفسي ، حسرةً ، وتروعها

فَلي، أبَداً، قَلْبٌ كَثِيرٌ نِزَاعُه،

وَلي، أبَداً، نَفْسٌ قَلِيلٌ نُزوعُهَا

لحَى الله قَلْباً لا يَهِيم صَبَابَةً

إلَيْكَ، وَعَيْناً لا تَفِيضُ دُمُوعُهَا

أنظرْ إلى زهر الربيع ،

أنظرْ إلى زهر الربيع ،

و الماءُ في بركِ البديع ،

و إذا الرياحُ جرتْ عليـ

ـهِ في الذهابِ وفي الرجوع ،

نثرتْ على بيض الصفا

ئِح بَيْنَنَا حَلَقَ الدّروع

كيفَ أرجو الصلاحَ منْ أمر قومٍ

كيفَ أرجو الصلاحَ منْ أمرِ قومٍ

ضيعوا الحزمَ فيه أيَّ ضياعِ

فَمُطَاعُ المَقَالِ غَيْرُ سَدِيدٍ،

وسديدُ المقالِ غيرُ مطاعِ

مِنْ بَحْرِ شِعْرِكَ أغْتَرِفْ،

مِنْ بَحْرِ شِعْرِكَ أغْتَرِفْ،

و بفضلِ علمكَ أعترفْ

أنشدتني ؛ فكأنما

شققتَ عنْ درٍّ صدفْ

شِعْراً، إذَا مَا قِسْتُهُ

بجميعِ أشعارِ السلفْ

قصَّرنَ ، دونَ قراهُ تقـ

ـصِيرَ الحُرُوفِ عَنِ الأَلِفْ

إني أقُولُ بمَا عَلِمْتُ

إني أقُولُ بمَا عَلِمْتُ

وَلا أجُورُ وَلا أُخِيفْ

أما عليٌّ الجعفريْ

يُ فإنهُ الحرُّ العفيفُ

نسبٌ شريفٌ ، زانهُ

في أهلهِ خلقٌ شريفُ

أيا ظالماً ، أمسى يعاتبُ منصفا

أيا ظالماً ، أمسى يعاتبُ منصفا

أتلزمني ذنبَ المسيء تعجرفا

بَدَأتَ بتَنْمِيق العِتابِ، مَخَافَةَ الـ

ـعتابِ ، وذكري بالجفا ، خشيةَ الجفا

أوافي، على علاتِ عتبكَ ، صابراً

وألفى ، على حالاتِ ظلمكَ ، منصفا

و كنتُ ، إذا صافيتُ خلاً ، منحتهُ

بهجرانهِ وصلاً ، ومنْ غدرهِ وفا

فَهَيّجَ بي هذا الكِتَابُ صَبَابَةً ،

و جددَ لي هذا العتابُ تأسفا

فإنْ أدْنَتِ الأيّامُ داراً بِعِيدَةً

شفى القلبَ مظلومٌ منَ العتبِ واشتفى

فإنْ كُنْتُهُ أقْرَرْتُ بالذّنْبِ، تائِباً،

وَإنْ لم أكنْ أمسَكْتُ عنهُ، تأَلُّفَا

غلامٌ فوقَ ما أصفُ ،

غلامٌ فوقَ ما أصفُ ،

كَأنّ قَوَامَهُ أَلِفُ

إذا مَا مَالَ يُرْعِبُني

أخَافُ عَلَيْهِ يَنْقَصِفُ

و أشفقُ منْ تأودِهِ ،

أخافُ يُذِيبُهُ التّرَفُ

سُرُورِي عِنْدَهُ لُمَعٌ،

و دهري ، كلهُ ، أسفُ

وَأمْرِي، كُلُّهُ، أمَمٌ،

وَحُبّي وَحْدَهُ سَرَفُ

غَيري يُغَيّرُهُ الفَعَالُ الجَافي،

غَيري يُغَيّرُهُ الفَعَالُ الجَافي،

و يحولُ عنْ شيمِ الكريمِ الوافي

لا أرْتَضِي وُدّاً، إذا هُوَ لمْ يَدُمْ

عِندَ الجَفَاءِ، وَقِلّةِ الإنْصَافِ

تعسَ الحريصُ ، وقلَّ ما يأتي بهِ

عِوَضاً من الإلحَاحِ والإلحَافِ

إنَّ الغنيَّ هو الغنيُّ بنفسهِ

وَلَو أنّهُ عاري المَناكِبِ، حَافِ

ما كلُّ ما فوقَ البسيطةِ كافياً،

فإذا قَنِعتَ فكُلّ شيءٍ كافِ

وَتَعافُ لي طَمَعَ الحَرِيصِ أُبُوّتي،

و مروءتي ، وفتوتي ، وعفافي

ما كثرةُ الخيلِ الجيادِ بزائدي

شَرَفاً، وَلا عَدَدُ السّوَامِ الضّافي

خَيْلي، وَإنْ قَلّتْ، كَثيرٌ نَفعُها

بينَ الصوارمِ ، والقنا الرَّعافِ

و مكارمي عددُ النجومِ ؛ ومنزلي

مأوَى الكِرَامِ، وَمَنزِلُ الأضْيَافِ

لا أقتني لصروفِ دهري عدةً

حتى كأنَّ صروفهُ أحلافي

شِيَمٌ عُرِفتُ بهنّ، مُذْ أنَا يَافِعٌ،

وَلَقَدْ عَرَفتُ بِمِثْلِهَا أسْلافي

و مرتدٍ بطرةٍ ،

و مرتدٍ بطرةٍ ،

مُسْبَلَةِ الرّفَارِفِ

كَأنّهَا مُرْسَلَةٌ

مِنْ زَرَدٍ مُضَاعَفِ